الجزء الثالث

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن

تغمده الله برحمته

آمين

﴿ وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العربية الكبرى

﴿ على نفقة أصحابها ﴾

﴿ مصطفى البابى الحلبى وأخويه بكرى وعيسى ﴾

(بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)

وهي مكية بجماعهم وهي مائة واحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما ما روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فأنزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الر) تقدم تفسيره في أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أي المبين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله بركته وهداه ورشده فهذا من بان أي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) يعني هذا الكتاب (قرآنا عربيا) أي أنزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فأنزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا وعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شئ بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (لعلكم تعقلون) يعني تفهمون أيها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا وأصله في اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة

(سورة يوسف عليه السلام وهي مائة واحدى عشرة آية مكية وا[illegible] عشرة كو)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في اعجاز العرب أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (انا أنزلناه قرآنا عربيا) أي أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه [illegible] قرآنا [illegible] لو لا [illegible] آياته
(نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن

البيان والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أي بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا بانصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لان بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فانك لاترى اقتصاصه في كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن مايقص من الاحاديث وانما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليست في غيره والظاهر انه أحسن (٣) مايقتص في بابه كما يقال فلان أعلم الناس أي في فنه واشتقاق القص من قص أثره اذا تبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ماحفظ منه شيأ فشيأ (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به (اذقال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر اذقال (يوسف) اسم عبراني لاعربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لابيه) يعقوب (ياأبت) أبت شامي وهي تاء التانيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر كما في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من ياأبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في ياغلام (انى رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماؤها ببيان النبي عليه السلام جريان والذيال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء في (رأيتهم لى ساجدين) لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أي متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ

يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لايسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها ❁ وقوله تعالى (بما أوحينا اليك) يعني بايحائنا اليك يامحمد (هذا القرآن وان كنت) أي وقد كنت (من قبله) يعني من قبل وحينا اليك (لمن الغافلين) يعني عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبي وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عزوجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فانزل الله عزوجل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ۞ قوله عزوجل (اذقال يوسف لابيه) أي اذكر يامحمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لايجري فيه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به (ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جماد لاتعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما خبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كني عنها بكناية من يعقل فهو كقوله ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

ثم أعاد لفظ الرؤيا ثانيا فقال رأيتهم لى ساجدين فما فائدة هذا التكرار قلت معنى الرؤيا الاولى أنه رأى أجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية أنه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تاويلها ان اخوته وأبويه يخضعون له فلهذا (قال) يعقوب (يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك) يعنى لاتخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تاويلها (فيكيدوا لك كيدا) أى فيحتالوا فى اهلاكك فامره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق واللام فى فيكيدوا لك كيدا تاكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبى قتادة قال كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الامن يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه عن أبى رزين العقيلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعين وفى رواية جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا احدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى مذهب أهل السنة فى حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لايمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على أمور أخر يخلقها فى ثانى الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التى يجعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان فاذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له فى الحقيقة فهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيأ والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل فى منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم ٭ قوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك) يعنى يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أى وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعنى يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعى من العبد وذلك مختص بالانبياء أو ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعنى به تعبير الرؤيا سمى

وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة أو ثمانون (قال يابنى) بالفتح حيث كان حفص (لاتقصص رؤياك) هى بمعنى الرؤية الا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة وفرق بينهما بحرفى التأنيث كما فى القربة والقربى (على اخوتك فيكيدوا لك) جواب النهى أى ان قصصتها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدونى لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألاترى الى تأكيده بالمصدر وهو (كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد (وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء الذى دلت عليه رؤياك (يجتبيك ربك) يصطفيك والاجتباء والاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) أى تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها

وكان يوسف أعبر الناس بالرؤيا أو تأويل أحاديث الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة (و يتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أى جعلهم أنبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة وآل يعقوب أهله وهم نسله و غيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وانما علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب (كما أتمها على أبويك من قبل) أراد الجد وأبا الجد (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان فى يوسف واخوته) أى فى قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كل شئ آية مكى (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماؤهم يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا وأخوه وهم اخوته أيضا لان أمهما كانت واحدة وانما قيل أحب فى الاثنين لان أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف ساغ الامران والواو فى (ونحن عصبة) للحال أى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرفقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما

تأويلا لانه يؤول أمره الى ما رأى فى منامه يعنى يعلمك تأويل احاديث الناس فيما يرونه فى منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (و يتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم فى الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بان جعلهما نبيين وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عليم) يعنى بمصالح خلقه (حكيم) يعنى انه تعالى لا يفعل شيأ الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة فى بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه و بين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه ۞ قوله عز وجل (لقد كان فى يوسف واخوته) يعنى فى خبره وخبر اخوته وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين اسم احداهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالى وجاد وآشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف و بنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا (آيات للسائلين) وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما فى التوراة فعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيأ فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أوحاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته و بلواه مثل القائه فى الجب و بيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ (اذ قالوا) يعنى اخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعنى بنيامين وهما من أم واحدة (أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هى العشرة فما زاد وقيل هى ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هى ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم

بعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر (ان أبانا لفي ضلال مبين) يعني لفي خطأ بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير ولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء ۞ قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة أو التغريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه بان تفترسه الاسد والسباع أو يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أبيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوا من بعده) يعني من بعد قتل يوسف أو ابعاده عن أبيه (قوما صالحين) يعني تائبين فتتوبوا الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أبيكم فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهم أنبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبيا شاوروه في ذلك فاشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سنا (وألقوه في غيابت الجب) يعني ألقوه في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيأ وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم (يلتقطه بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشئ من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه (ان كنتم فاعلين) فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيأ من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء

الا

(ان أبانا لفي ضلال مبين) غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أو اطرحوه أرضا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا أقبل على الشئ أقبل بوجهه وجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفا على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه في غيابت الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني (يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق (ان كنتم فاعلين) به شيأ

(قالوايا أبانا مالك لاتأمناعلى يوسف وانا له لناصحون) أى لم تخافناعليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزمواعلى كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب ان لا يأمنهم عليه (ارسله معناغدا نرتع) نتسع فى أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة (ونلعب) نتفرج بما يباح كالصيد والرمى والركض وبالياء فيهما مدنى وكوفى وبالنون فيهما مكى وشامى وأبو عمرو بكسر العين حجازى من ارتعى يرتعى افتعال من الرعى (وانا له لحافظون) من ان يناله (٧) مكروه (قال انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء (واخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قالوا لئن أكله الذئب) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو فى (ونحن عصبة) أى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط أى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وأجابوا عن عذره الثانى دون الاول لان ذلك كان يغيظهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) أى عزموا على القائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما أرادوا القاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم ودلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فأخرجه جبريل وألبسه اياه

الابعده وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) بدؤا بالانكار عليه فى ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا أتخافنا عليه اذا أرسلته معنا (وانا له لناصحون) المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا العاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا لابيهم أرسله معنا فقال يعقوب انى ليحزننى أن تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (نرتع) الرتع هو الاتساع فى الملاذ يقال رتع فلان فى ماله اذا أنفقه فى شهواته والاصل فى الرتع أكل البهائم فى الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو وننشط (وانا له لحافظون) يعنى نجتهد فى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية أنه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر أن يصبر عنه ساعة والثانى قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى فى المنام أن ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب فى أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أى جماعة عشرة رجال (انا اذا لخاسرون) يعنى عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا أن يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون ۞ قوله عز وجل (فلما ذهبوا به) فيه اضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) يعنى وعزموا على أن يلقوه فى غيابة الجب

﴿ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام﴾

قال وهب وغيره من أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما تشتاق أن تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له أتسأل أباك أن يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب أن يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بنى قال نعم يا أبت انى أرى من اخوتى اللين واللطف فاحب أن تأذن لى وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فاذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض وأظهروا له ما فى أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكى بكاء شديدا فاخذه روبيل وجلد به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخى لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله فى وحل بينى وبين من يريد قتلى فادركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتى ما على هذا عاهدتمونى ألا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقونه فى هذا الجب اما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه فى البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى لاستتر به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال انى لم أر شيأ فالقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه أتدعونى فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه فى دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فى البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه واخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه فى الجب جعل يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فاجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرج له قميص ابراهيم الذى كساه الله اياه من الجنة حين ألقى فى النار فجعله يعقوب فى قصبة فضة وجعلها فى عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين ألقى فى الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيأ فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس فى الجب وقال محمد بن مسلم الطائفى لما ألقى يوسف فى الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى فرجا مما أنا فيه فما بات فيه واختلفوا فى قدر عمر يوسف يوم ألقى فى الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث فى الجب ثلاثة أيام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا) يعنى لتخبرن اخوتك قال أكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا فى ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا أن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحى والنبوة كما قال فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبيا فى ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من أرسل اليه قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحى ويكرمه بالنبوة والرسالة فى ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك

(وأوحينا اليه) قيل أوحى اليه فى الصغر كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا (لتنبئنهم بامرهم هذا) أى لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك

(وهم لايشعرون) انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع
فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه في غيابة الجب وقلتم
لابيه أكله الذئب و بعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لايشعرون باوحينا أي آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لايشعرون ذلك
(وجاؤا أباهم عشاء) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يبكون) (٩) حال عن الاعمش لاتصدق باكية بعد اخوة يوسف

يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحي الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك
الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى (وهم لايشعرون) يعني بايحائنا اليك
وأنت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد
حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لايشعرون
بانك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من
المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره ۞ قوله تعالى (وجاؤا أباهم عشاء يبكون) قال
المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجتراء على الاعتذار
بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون و يصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج
اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يابني هل أصابكم شئ في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا
انا ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعني ننتضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق
الرمي بالسهم وهو التناضل أيضا وسمي المتراميان بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أبعد
سهما وقال السدي يعني نشتد و نعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين أينا أسرع عدوا وأخف حركة وقال
مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعني عند ثيابنا (فأكله الذئب)
يعني في حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما أنت بمؤمن لنا) يعني وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعني في
قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لاتصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا في قولنا هذا
وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك أمارة تدل على صدقنا (وجاؤا على
قميصه) يعني قميص يوسف (بدم كذب) أي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها
على قميص يوسف ثم جاؤا أباهم وفي القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله
الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت
أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا أن
نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهي قرابة لي
فأخذوني وأتوا بي اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على
صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) يعني بل زينت لكم أنفسكم
أمرا وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من
السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما ركبتموه من يوسف وهونتموه في أنفسكم
وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فأكله الذئب كانه قال ليس الامر كما تقولون أكله الذئب
بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر جميل) أي فشأني صبر جميل وقيل معناه فصبري
صبر جميل والصبر الجميل الذي لاشكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لاتحدث بمصيبتك ولا تزكين

فلما سمع صوتهم فزع
وقال مالكم يابني هل
أصابكم في غنمكم شئ قالوا
لا قال فما بالكم وأين
يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا
نستبق) أي نتسابق في
العدو أو في الرمي والافتعال
والتفاعل يشتركان
كالارتماء والترامي وغير
ذلك (وتركنا يوسف
عند متاعنا فأكله الذئب
وما أنت بمؤمن لنا)
بمصدق لنا (ولو كنا صادقين)
ولو كنا عندك من أهل
الصدق والثقة لشدة
محبتك ليوسف فكيف
وأنت سيء الظن بنا غير
واثق بقولنا (وجاؤا على
قميصه بدم كذب) ذي
كذب ووصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب
وعينه كما يقال للكذاب
هو الكذب بعينه والزور
بذاته روى انهم ذبحوا
سخلة واطخوا القميص
بدمها وزل عنهم ان يمزقوه
وروى ان يعقوب عليه
السلام لما سمع بخبر
يوسف صاح باعلى صوته

وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه و بكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت
كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على
وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره ومحل على قميصه النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم (قال) يعقوب
عليه السلام (بل سولت) زينت أو سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جميل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري
صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو ما لاشكوى فيه الى الخلق

نفسك (والله المستعان على ما تصفون) يعنى من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون ﴿ قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سموا سيارة لسيرهم فى الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذى كان فيه يوسف وكان فى قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما ألقى يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء فذلك ﴿ قوله عز وجل (فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قال والوارد الذى هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها فى البئر ودلوتها اذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوى بسند متصل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطر الحسن و يقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد ابن اسحق ذهب يوسف وأمه بثلثى الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا ابتسم رأيت النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصوره قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر كأحسن ما يكون من الغلمان (قال) يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر (يا بشراى) يعنى يقول الوارد لاصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ يا بشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعنى انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر وأصحابه والقول الاول أصح لان مالك بن ذعر هو الذى أسره بضاعة وأصحابه (والله عليم بما يعملون) يعنى من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا الرؤياه ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده فى الجب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه نزولا قريبا من البئر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد أبق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشئ بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير فى وشروه وفى وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شئ واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير فى وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (بثمن بخس) قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدى بخس أى حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعنى منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس أى زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس أى ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبى بخس أى قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس فى اللغة هو نقص الشئ على سبيل الظلم والبخس والباخس الشئ الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم فى ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون ما دونها عددا فاذا بلغت أربعين درهما وهى أوقية وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس

(والله المستعان) أى أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف فى الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فأرسلوا واردهم) وهو الذى يرد الماء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعى (فأدلى دلوه) أرسل الدلو ليملأه فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه (قال يا بشرى) كوفى نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا أوانك غيرهم يا بشراى على اضافتها الى نفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافا الى نفسه (هذا غلام) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة أو لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) حال أى أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أى قطع (والله عليم بما يعملون) بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما

عباس

(وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف أو معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق و يروى ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كأنه قيل في أي شئ زهدوا فيه (وقال الذي اشتراه من

عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيأ منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت اربعين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل و يحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبق أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن نزوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات و يوسف عليه الصلاة والسلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من أهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أكرمي مثواه) يعني أكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل أكرميه في المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعني ان أردنا بيعه بعناه بربح أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ (أو نتخذه ولدا) يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لابيها استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وأبو بكر في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) يعني كما مننا على يوسف بان أنقذناه من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أي مكناه في الارض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الكناية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شئ وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (آتيناه حكما وعلما) يعني آتينا

مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه (أكرمي مثواه) اجعلي منزلته ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي أحسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذه ولدا) أي نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك

(وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا ليوسف) أي كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو احدى وعشرون (آتيناه حكما وعلما) حكمة

وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت يوسف أن يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشئ الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه و يأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيت مكى بناء على الضم هِيتَ مدنى وشامى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) أى ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد

(١٢)

قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخونه فى أهله (انه لا يفلح الظالمون) الخائنون أو الزناة أو أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف أن يهم بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أى لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلا فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هى راودتنى عن نفسى ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا فى دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف فى

يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها فى الدين وقيل حكما يعنى اصابة فى القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذى يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغى والعلم هو العلم النظرى (وكذلك) يعنى وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزى المحسنين) قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) يعنى ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقتِ الابوابَ) أى أطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا فى ستر وخفية أو انها أغلقتها لشدة خوفها (وقالت هيتَ لكْ) أى هلم وأقبل قال أبو عبيدة كان الكسائى يقول هى لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشئ وقيل هى بالعبرانية وأصلها هيتالج أى تعال فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التنور ولغة العرب الترك فى الغساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتنى اليه (انه ربى) يعنى ان العزيز قطفير سيدى (أحسَنَ مثوايَ) أى أكرم منزلتى ولا أخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى أحسن مثواى يعنى انه آوانى ومن بلاء الجب نجانى (انه لا يفلح الظالمونْ) يعنى ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة ۞ قوله عز وجل (ولقد همت بهْ وهم بها لولا أن رأى برهان ربهْ) الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين الاول فى ذكر أقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشئ اذا أردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به أى أرادته وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشرى هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو ابن ضابئ البرجى

همت ولم أفعل وكدت وليتنى ۞ تركت على عثمان تبكى حلائله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أى وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها قال البغوى وأما همه بها فروى عن ابن عباس انه قال حل

الهميان وجلس منها مجالس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف و بيده الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوى والقول ماقاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا فى الانبياء من غير علم قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر عن جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هى أول ما يسيل على خدى فى قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطامعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهى امرأة حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذى ذكره وسيأتى الكلام على تفسير البرهان الذى رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ماقاله المفسرون فى هذه الآية أما المقام الثانى فى تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة و بيان عصمته من هذه الخطيئة التى ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم أو يعمل به و يدل على صحة هذا ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له عشرة لفظ مسلم وللبخارى بمعناه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد فى رواية أو محاها ولن يهلك على الله الا هالك قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية فى هم يوسف اذاً وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا و يكون قوله وما أبرئ نفسى الآية أى ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل و برئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبى عبيدة ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أى ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل فى قوله وهم بها أى بزجرها ووعظها وقيل هم بها أى همها امتناعه وقيل هم بها أى نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم مازال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله وأما الامام فخر الدين فذكر فى هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر الدين الرازى ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين و به نقول وعنه نذب فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى مانقله بعض المفسرين عن الأئمة

المعتقدين أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيأ من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شئ لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيأ علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شئ كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك أيضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتى قطعن أيديهن والمولود الذى شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان ان يوسف ادّعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب الىّ مما يدعونني اليه وأما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقولها أنا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيد يوسف وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد أن يقول ذلك وأما ما روى عن ابن عباس أنه جلس منها مجلس الخائن فحاشى ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فائدة قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين أحدهما انه تعالى أعلم يوسف أنه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك الوجه الثانى أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان فى ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان فى علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت هى الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فأثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون فى قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدى نودى يا يوسف أتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيأ ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يطاق ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل فى قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك

(كذلك) نصب أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أى الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى أى الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى (١٥) الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وان كان جمعه فى قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها لدى الباب) وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا فى أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ماجزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أى ليس جزاؤه الا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه أراد بها سوأ لانها قصدت العموم أى كل من أراد باهلك سوأ لحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هى راودتنى عن نفسى) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة فى ان ثبت قول يوسف وبطل قولها

عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا فى حائط فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن على بن الحسن قال كان فى البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف تستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيأ فأنا أحق أن استحيى من ربى فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه وأما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله (كذلك) يعنى كما أريناه البرهان كذلك (لنصرف عنه السوء) يعنى الاثم (والفحشاء) يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله (انه) يعنى يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله عز وجل ۞ قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قميصه من دبر) يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألفيا سيدها لدى الباب) يعنى فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعنى لزوجها (ماجزاء من أراد باهلك سوأ) يعنى الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت (الا أن يسجن) أى يحبس فى السجن ويمنع التصرف (أو عذاب أليم) يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان المحب لا يشتهى ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها أراد ان يبرهن عن نفسه (قال) يعنى يوسف (هى راودتنى عن نفسى) يعنى طلبت منى الفحشاء فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى (وشهد شاهد من أهلها) يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا فى ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا فى المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوى بغير سند والذى جاء فى الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم

(ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر فى مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهى تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان التى للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد (فلما رأى) قطفير (قميصه قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ماجزاء من أراد باهلك سوأ او ان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولامها (ان كيدكن عظيم) لانهن ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (اعرض عن هذا) الامر واكتمه ولاتحدث به ثم قال لراعيل (واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء علقها وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (فى المدينة) فى مصر (امرأت العزيز) يريد قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى (عن نفسه) لتنال شهوتها منه (قد شغفها حبا) تمييز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب

مخرجة فى الصحيح قيل كان هذا الصبى شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا رأى وقال السدى هو ابن عم المرأة فحكم فقال (ان كان قميصه قد من قبل) أى من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) أى من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وانما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى فى نفى التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ماوجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفى التهمة عنه من وجوه منها انه كان فى الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا ينبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف يعدو هاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزينت بأكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف فى المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما رأى قميصه قد من دبر) يعنى فلما رأى قطفير زوج المرأة قميص يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعنى قال لها زوجها قطفير (انه) يعنى هذا الصنيع (من كيدكن) يعنى من حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ماهو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن فى هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد فى اتمام مرادهن مالا يقدر عليه الرجل فى هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعنى يا يوسف (أعرض عن هذا) يعنى اترك هذا الحديث ولا تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفرى لذنبك) يعنى توبى الى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو برئ منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو برئ وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين ۞ قوله عز وجل (وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة فى مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من أشراف مصر امرأة العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعنى قد

علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيأ سواه (انا لنراها فى ضلال مبين) يعنى فى خطأ بين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمى قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن أن يرينه وقيل ان امرأة العزيز أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا (أرسلت اليهن) يعنى انها لما سمعت بأنهن يلمنها على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مائدة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتى عيرنها (وأعتدت لهن متكأ) يعنى ووضعت لهن نمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعنى طعاما وانما سمى الطعام متكأ لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس و يتكئ عليها فسمى الطعام متكأ على الاستعارة و يقال اتكأنا عند فلان أى طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شئ يقطع بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتى عيرنها بحب يوسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعنى وأعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واختبأته فى مكان آخر (فلما رأينه) يعنى النسوة (أكبرنه) يعنى أعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوى بغير سند وقال اسحق بن أبى فروة كان يوسف اذا سار فى أزقة مصر تلألأ وجهه على الجدران و يقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هالهن أمره وبهتن اليه وفى رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أى حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة فى اللغة والهاء فى أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة فى اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أى حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناه وجعلنا الهاء فى قوله أكبرنه هاء الوقف لا هاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فزعت فربما أسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن من أمر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازى وعندى أنه يحتمل وجها آخر وهو انهن انما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهى عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمنه ووقع الرعب والمهابة فى قلوبهن

(انا لنراها فى ضلال مبين) فى خطأ و بعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت) وهيأت افتعلت من العتاد (لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن عند رؤيته و يشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكانوا لا يأكلون فى ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصرى وعاصم وحمزة و بضمها غيرهم (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع

وقلن لحت حاصت فى الخدو العوانق (وقطعن أيديهن) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها أى أردن ان يقطعن الطعام الذى فى أيديهن ودهشن لما رأينه فخدشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقرأ أبو عمرو وحاشا الله نحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله (ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز فى الطباع ان لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه تعنى انكن لم تصورنه حق صورته والا لعذرتننى فى الافتتان (١٨)

به (وقد راودته عن نفسه فاستعصم) والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها وهذا بيان جلى على أن يوسف عليه السلام برئ مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان ثم قلن له أطع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما آمره) الضمير راجع الى ما وهى موصولة والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما فى قوله أمرتك الخير أو ما مصدرية والضمير يرجع الى يوسف أى ولئن لم يفعل أمرى اياه أى موجب أمرى ومقتضاه (ليسجنن) ليحبسن والالف فى وليكونا بدل من نون التأكيد الخفيفة (من الصاغرين) مع السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبى وأبق منى وسفك دمى بالفراق فلا يهنأ ليوسف الطعام والشرب والنوم ههنا كما منعنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثلى فى الحرير على السرير أميرا حصل فى الحصير على الحصير حسيرا فلما سمع يوسف تهديدها (قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أجبت مولاتك أو افتتنت كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجأ الى ربه فقال رب السجن أحب الى من ركوب المعصية (والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى الله فى طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء فلما كان فى قوله والا تصرف عنى كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم)

الآية

قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعنى وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما أحسسن الا بالدم وقال قتادة أبن أيديهن حتى ألقينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب ماتت جماعة منهن (وقلن) يعنى النسوة (حاش لله ما هذا بشرا) أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا (ان هذا الا ملك كريم) يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز فى النفوس أن لا شئ أحسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التى تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك ۞ قوله تعالى (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) يعنى قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتننى فى محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتاها الكنعانى حبا وانما قالت فذلكن اخ بعد قيامه من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعنى فامتنع من ذلك الفعل الذى طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا لائمة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما آمره) يعنى وان لم يطاوعنى فيما دعوته اليه (ليسجنن) أى ليعاقبن بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعنى من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك (قال رب) أى يا رب (السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما أضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا أو لانه كان بحضرتهن قال بعضهم لو لم يقل السجن أحب الى لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد أن يسأل الله العافية (والا تصرف عنى كيدهن) يعنى ما أردن منى (أصب اليهن) أى أمل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعنى من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم والجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعنى فاجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعنى لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعنى بحاله وفى

بحاله وحالهن (ثم بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي والضمير في لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليسجننه) لابداء عذر الحال وارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها وقد طمعت أن يذلله السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس والوجل من اليأس الى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفي بخبره اذا منعت من نظره (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجن فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أي شرابيه (اني أراني) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أي عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) بتأويل ما رأيناه (انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين الى أهل السجن فانك تداوي المريض وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فأحسن الينا بتأويل ما رأينا وقيل انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اني رأيت كأني في بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها

الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلته البلية بكيد النساء ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الأمر مع الاعتراف بأنه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به ۞ قوله عز وجل (ثم بدا لهم) يعني للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك انهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم بأني قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر الى الناس واما أن تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما رأوا الآيات) يعني الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجننه) أي ليحبسن يوسف في السجن (حتى حين) يعني الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن نزوان العمليق ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على أن يسما الملك في طعامه وشرابه فأجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما أحضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الأحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فتراءيا له رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيئا انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا علي ما رأيتما فقصا عليه ما رأياه فذلك قوله تعالى (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (اني أراني أعصر خمرا) يعني عنبا سمي العنب خمرا باسم ما يؤول اليه يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأني في بستان واذا فيه أصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منها (نبئنا بتأويله) أي أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤول اليه أمر هذه الرؤيا (انا نراك من المحسنين) يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واذا احتاج أحد جمع له شيأ وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف بن صفي الله

يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رأيا يوسف قالا انا قد أحببناك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أنشد كما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من ذلك بلاء وأحبني أبي فألقيت في الجب وأحبتني امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما أن درجته في العلم أعلى وأعظم مما اعتقدا فيه وذلك أنهما طلبا منه علم التعبير ولا شك أن هذا العلم مبني على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم أن أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) قيل أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا أخبرتكما خبره في اليقظة وقيل أراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتأكلانه الا نبأتكما بتأويله يعني أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه (قبل أن يأتيكما) يعني قبل أن يصل اليكما وأي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به (ذلكما مما علمني ربي) يعني ان هذا الذي أخبرتكما به وحي من الله أوحاه الي وعلم علمنيه (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهر انه من أهل بيت النبوة وان آباءه كلهم كانوا أنبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة أظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا للنبوة واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي لفظة من في قوله من شئ زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شئ أي شئ كان

يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكرهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به الي ولم أقله عن تكهن وتنجم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به الي لاني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) وهي الملة الحنيفية وتكريرهم للتوكيد وذكر الآباء ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لانه كان فيه ثم تركه (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شئ) أي شئ كان صنما أو غيره ثم قال

(ذلك)التوحيد(من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون)فضل الله فيشركون به ولا ينتبهون (ياصاحبي السجن) ياساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والتكاثر أي أن تكون أرباب شتى يستعبدك هذا ويستعبدك هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ماتعبدون) خطاب لهما ولمن كان على (٢١) دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أي سميتم مالا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لاتعبدون الا الأسماء لامسميات لها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ماأنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (ان الحكم) في أمر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألاتعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لايعلمون) وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا أمكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال (ياصاحبي السجن اما أحدكما) يريد الشرابي (فيسقي ربه) سيده (خمرا) أي يعود الى عمله (واما الآخر) أي الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) روي أنه قال للاول مارأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني مارأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال مارأيت شيأ فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ماتستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرني عند ربك) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه

من ملك أوجني أوانسي فضلا أن نشرك به صنما لايسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقناه من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لايشكرون) يعني ان أكثرهم لايشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال (ياصاحبيِ السجنِ) يريد ياصاحبي في السجن فأضافهما الى السجن كما تقول ياسارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز أن يريد ياساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يعني أآلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لاتضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعني ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لامثل له ولا يشبهه شيء من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لايغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ۞ ثم بين عجز الاصنام وأنها لاشيء البتة فقال (ماتعبدون من دونه) يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية في المخاطبة لانه أراد جميع من في السجن من المشركين (الا أسماء سميتموها) يعني سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جمادات خالية عن المعنى لاحقيقة لها (أنتم وآباؤكم) يعني من قبلكم سموها آلهة (ماأنزل الله بها من سلطان) يعني ان تسمية الاصنام آلهة لاحجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ماأنزل الله بها من سلطان (ان الحكم الا لله) يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لاشريك له في ذلك (أمر ألاتعبدوا الا اياه) لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي سميتموها آلهة (ذلك الدين القيم) يعني عبادة الله هي الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لايعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال (ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا) يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه أولا والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعو به الملك ويرده الى منزلته التي كان عليها (وأما الآخر فيصلب) يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه (فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالا مارأينا شيأ انما كنا نلعب قال يوسف (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) يعني فرغ من الامر الذي سألتماعنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما شيأ أم لم تريا (وقال) يعني يوسف (للذي ظن) يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (أنه ناج منهما) يعني ساقي الملك (اذكرني عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في

الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الشرابي (ذكر ربه) أن يذكره لربه أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفى الحديث رحم الله أخى يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا (فلبث فى السجن بضع سنين) أى سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع (وقال الملك انى (٢٢) أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما دنا

السجن غلام محبوس ساقط الوسائط لحبسه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) فى هاء الكناية فى فأنساه الى من تعود قولان أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثانى وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله فى دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهى منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيآت المقربين ۞ فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكر ربه ۞ قلت بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فأما النسيان الذى هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه ۞ وقوله سبحانه وتعالى (فلبث فى السجن بضع سنين) اختلفوا فى قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع فى هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها فى السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التى قالها ما لبث فى السجن ما لبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبى مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالى أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت منى أن استغثت بالآدميين فوعزتى وجلالى لالبثنك فى السجن بضع سنين قال يوسف وهو فى ذلك عنى راض قال نعم قال اذا لا أبالى وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمس سنين التى كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم ير منهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شئ فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التى رآها فذلك قوله تعالى (وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى) يعنى يا أيها الاشراف أخبرونى بتأويل رؤياى (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعنى ان كنتم

فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف فى الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذى ليس بعده سمانة والسبب فى وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض وفى الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لان الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (يا أيها الملأ) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء (أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام فى للرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أو لان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن فى قوته فى العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فضعف بها تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به تحسنون

متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايدا في وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير (وقال الذي نجا) من القتل (منهما) من صاحبي السجن (وادّكر) بالدال هو الفصيح وأصله اذتكر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أي تذكر يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه (فأرسلون) وبالياء يعقوب أي فابعثوني اليه لاسأله فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس) الى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك و يخلصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحفص بحركه وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين (فما حصدتم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الا قليلا مما تأكلون) في تلك السنين

تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعني أخلاط مشتبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجا منهما) يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (وادكر بعد أمة) يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك بعد أمة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمي الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (أنا أنبئكم) يعني أخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا (فأرسلون) فيه اختصار تقديره فارسلني أيها الملك فارسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة (يوسف) أي يا يوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلي أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فما حصدتم فذروه في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد و يقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن) هو من اسناد المجاز جعل أكلهن مسنداً اليهن (ماقدمتم لهن) أي في السنين المخصبة (الاقليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبؤن (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي يجاب مستغيثهم أو من الغيث أي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان **يعصرون** حمزة فأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا كثير الخير (٢٤) غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول) ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) أي الملك (فاسأله ما بال النسوة) أي حال النسوة (اللاتي قطعن أيديهن) انما تثبت يوسف وتأنى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمي به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذران كان لحليما ذا أناة ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب

في

واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربي بكيدهن عليم) أي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازيهن عليه فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ماخطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني

(ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس (يأكلن) يعني يفنين (ماقدمتم لهن) يؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام (الا قليلا مما تحصنون) يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت من فلان فأغاثني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب ﴿ قوله عز وجل (وقال الملك ائتوني به) وذلك أن الساقي لما رجع الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف أن الذي قاله كائن لا محالة فقال ائتوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما لها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاء من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وراسل الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء ﴿ وقوله (ان ربي بكيدهن عليم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و(قال) لهن (ماخطبكن) أي ما شأنكن وأمركن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعني النسوة جميعا مجيبات للملك (حاش لله) يعني معاذ الله (ماعلمنا عليه من سوء) يعني من خيانة في شيء من الاشياء (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعزرنها وقيل خافت أن يشهدن عليها فأقرت فقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا

في قوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما أنه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تأكيد هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) يعني اني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم اني افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقوله امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم أتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملأ فماذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما أنه كان في السجن وذلك أنه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي اشارة للغائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من ردي الرسول ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي لم أخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني أني لو كنت خائنا لما خلصني الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لان الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله (وما أبرئ نفسي) من قول من على قولين أيضا أحدهما أنه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه أكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب خاف أن يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففي قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيآت المقربين (ان النفس لامارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك

عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بانه لم يتعلق بشئ مما قذف به ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أي امتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أني لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب في حرمته وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ليعلم الملك أني لم أخن العزيز (وأن الله) أي وليعلم أن الله (لا يهدي كيد الخائنين) لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين أن ما فيه من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها في عموم الاحوال أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم (ان النفس لامارة بالسوء) أراد الجنس أي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات

(الا ما رحم ربي) الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ويجوز أن يكون ما رحم في معنى الزمان أي الا وقت رحمة ربي يعني انها أمارة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة أو هو استثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس

يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) أجعله خالصا لنفسي (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحتسب (قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شئ روى أن الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق اني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه

الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس أمارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة وقوله (الا ما رحم ربي) قال ابن عباس معناه الا من عصم ربي فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا الاستثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم ﴿ قوله تعالى (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف أستخلصه لنفسي أي أجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشئ من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه وثباته على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيأ أسبابه فألهم الملك ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بلا معاودة فأجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلواء وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان أيضا قال يوسف هذا لسان آبائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فأجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقي أيها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فأقبل عليه الملك و(قال انك اليوم لدينا مكين أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها

الملك

الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان كافتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذ سبع سنبلات خضر طريات ناعمات ممتلئات حبا وماء والى جانبهن سبع أخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك أى شئ هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الثرى والماء اذ هبت ريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيأ فما شأن هذه الرؤيا وان كان عجبا فما هو بأعجب مما سمعت منك وما ترى فى تأويل رؤياى أيها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك (قال) يعنى يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) يعنى على خزائن الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أى اجعلنى على خزائن أرضك التى تحت يدك وقال الربيع ابن أنس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها (انى حفيظ عليم) أى حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتينى وقال الكلبى حفيظ بتقديره فى السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد من النهى عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أوتيتها عن غير مسئلة أعنت عليها أخرجاه فى الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فأما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحى من الله أو بغيره وربما أفضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم فى تزكية النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله انى حفيظ عليم على انه عالم

(قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) ولنى على خزائن أرضك يعنى مصر (انى حفيظ) أمين أحفظ ما تستحفظنيه (عليم) عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء أحكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفى الحديث رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز أن يتولى الانسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبى أو العالم أنه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل ما رأى وكان فى حكم التابع له

بما يحتاج اليه فى مصالح الدنيا أيضا مع كمال علمه بمصالح الدين ﴿ قوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعنى وكما انعمنا على يوسف بان أنجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وأدنى منزلته كذلك مكناله فى الارض يعنى أرض مصر ومعنى التمكين هو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوأ منها حيث يشاء) لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثين فراشا وستين مارباو ضرب له عليه كلة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان للملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاءه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف فى ملكه دبر فى جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت السنين المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أول أوان القحط فهلك فى السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه فى السنة المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر فى أيدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والانعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق بايدى الناس عبد ولا أمة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فى هؤلاء قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت أنسى الجائع وأمر يوسف طباخى الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) يعنى نختص بنعمتنا وهى النبوة من نشاء يعنى من عبادنا (ولا نضيع أجر المحسنين) قال ابن عباس يعنى الصابرين (ولأجر الآخرة) يعنى ولثواب الآخرة (خير) يعنى أفضل

(وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف فى الارض) أرض مصر وكانت أربعين فرسخا فى أربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة (يتبوأ منها حيث يشاء) أى كل مكان أراد أن يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكى (نصيب برحمتنا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) فى الدنيا (ولأجر الآخرة خير

للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم فادبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس و باع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر فى الثانية ثم بالدواب فى الثالثة ثم بالعبيد والاماء فى الرابعة ثم بالدور والعقار فى الخامسة ثم باولادهم فى السادسة ثم برقابهم فى السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين أكثر من حمل بعير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم) بلا تعريف (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة وروى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبى حزين لفقد ابن كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاله من أمه يستأنس به فقال ائتونى به ان صدقتم (ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذا (قال ائتونى باخ لكم من أبيكم الا ترون انى أوفى الكيل) أتمه

من أجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) يعنى يتقون مانهى الله عنه وفيه دليل على أن الذى أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله فى الدنيا من الملك ۞ قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطى أحدا أكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بآل يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغنى أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين أن قذفوه فى الجب و بين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع فى القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان فى تلك الساعة فى قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبرونى من أنتم وما أمركم فانى قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبى من أنبياء الله تعالى قال وكم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبينا قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عند أبينا لانه أخو الذى هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا أيها الملك اننا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فائتونى باخيكم الذى من أبيكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه فى وجوههم والجهاز بفتح الجيم هى اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من أهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام وأكرمهم فى النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه فى سفرهم (قال ائتونى باخ لكم من أبيكم) يعنى الذى خلفتموه عنده وهو بنيامين (ألا ترون انى أوفى الكيل) يعنى انى أتمه ولا أبخس منه شيأ وأزيدكم حمل بعير آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك

(وأنا خير المنزلين) كان قد أحسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع اليه (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) فلا أبيعكم طعاما (ولا تقربون) أى فان لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل فى حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو بمعنى النهى (قالوا سنراود عنه (٣٠) أباه) سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده (وانا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال

(وأنا خير المنزلين) يعنى خير المضيفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف (فان لم تأتونى به) يعنى بأخيكم الذى من أبيكم (فلا كيل لكم عندى) يعنى لست أكيل لكم طعاما (ولا تقربون) يعنى ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادى وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعنى اخوة يوسف (سنراود عنه أباه) يعنى سنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من عنده (وانا لفاعلون) يعنى ما أمرتنا به ۞ قوله عز وجل (وقال لفتيانه) يعنى وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه وأتباعه (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذى أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهى الاوعية التى يحمل فيها الطعام وغيره (لعلهم يعرفونها) يعنى يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى اذا رجعوا الى أهلهم (لعلهم يرجعون) الينا واختلفوا فى السبب الذى من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه مسرعا وقيل انه خاف أن لا يكون عند أبيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم فى رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها فى رحالهم لانهم أنبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا) انا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقرؤا عليه منى السلام وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبانا (منع منا الكيل) وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيهم المتخلف عند أبيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثانى انه سيمنع منا الكيل فى المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم تحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (فأرسل معنا أخانا) يعنى بنيامين (نكتل) قرئ بالياء يعنى يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعنى نكتل نحن جميعا واياه معنا (وانا له لحافظون) يعنى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعنى يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه فى يوسف وضمنتم لى حفظه وقلتم وانا له لحافظون ثم فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فالله خير حفظا) يعنى ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى

قد دعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف (وقال لفتيانه) كوفى غير أبى بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كأخوة واخوان فى أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أى لغلمانه الكيالين (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أوعيتهم وكانت نعالا أو ادما وورقا وهو أليق بالدس فى الرحال (لعلهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمنا (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا أبانا منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلى أى يكتل أخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) عن أن يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعنى انكم قلتم فى يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يأمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفى غير أبى بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال

أوتمييز ومن قرأ حفظا فهو تمييز لاغير (وهو أرحم الراحمين) فارجوا أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) ما للنفي أي ما نبغي في القول ولا نتجاوز الحق أو ما نبغي شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أي أي شئ نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها أي ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) في رجوعنا الى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شئ مما تخافه (ونزداد كيل بعير) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر (٣١) لا يتعاظمه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكي (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذن الله في ذلك فهو اذن منه (لتأتنني به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الاتيان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعوا منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من العام لا يكون الا في النفي فلابد من تأويله بالنفي (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام (قال) بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشئ والاعجاب به نقصا فيه وخللا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل انه أحب أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لاهلاكهم

والاعتماد عليه في جميع الامور (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه الى ذلك ۞ قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل أن يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعني انهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس في متاعهم (قالوا يا أبانا ما نبغي) يعني ماذا نبغي وأي شئ نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أي شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا) يقال مار أهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى أنا نشتري لاهلنا الطعام ونحمله اليهم (ونحفظ أخانا) يعني بنيامين مما نخاف عليه حتى نرده اليك (ونزداد كيل بعير) يعني ونزداد لاجل أخينا على أحمالنا حمل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعني ان ذلك الحمل الذي نزداده من الطعام هين على الملك لانه قد أحسن الينا وأكرمنا بأكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا وأهلنا (قال) يعني قال لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) يعني لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه (لتأتنني به) دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتنني به (الا أن يحاط بكم) قال مجاهد الا أن تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندي لان العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعني فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما نقول وكيل) يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كان الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما بعد ما توكلت علي وفوضت أمرك الي وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا أمره اليه ۞ قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) وذلك أنهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدي أراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد

أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين أخرجه أبو داود وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى قال المازري أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا فساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وقيل لابد من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالملدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازري وهذا غير مسلم لانا بينا في كتب علم الكلام أنه لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا أن المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بأن يكون مفسدا لبعض بأولى من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية ألجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بأن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من أطباء الاسلام بانبعاث الجواهر فقد أخطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا أن الله تعالى لم يأذن له في اظهاره ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله (وما أغني عنكم من الله من شيء) يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (ان الحكم الا لله) يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في أموره كلها الى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماء أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغني عنكم من الله من شيء (الا حاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء

منقطع

(وما أغني عنكم من الله من شيء) أي ان كان الله أراد بكم سوأ لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقته عليهم

(وانه لذو علم) يعني قوله وما أغنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك
(ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم

منقطع ليس من الاول في شئ ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشئ الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه ۞ قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فانا أجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه و يشم ريحه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسأضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما رأينا مثل هذا فذلك قوله آوى اليه أخاه يعني ضمه وأنزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لامك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه (وقال) له (اني أنا أخوك) يعني يوسف (فلا تبتئس) يعني فلا تحزن وقال أهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعني فلا تحزن بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشئ مما أعلمتك به ثم انه أوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي علي فاذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد أن أشهرك بامر فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فاني لا أفارقك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى

أحسنتم فانزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قال) له (اني أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فانا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فان حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فاني أدس صاعي في رحالك ثم أنادي عليك بانك سرقته لينهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل (فلما جهزهم بجهازهم) هيأ أسبابهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) السقاية هي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب

خرجوا من العمارة فأرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعنى نادى مناد وأعلم معلم والأذان فى اللغة الاعلام (أيتها العير) وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير والبغال وقال الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير أى تذهب وتجىء وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير أراد أصحاب العير (انكم لسارقون) فقفوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بأمر يوسف أم لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم أقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لاخيه انه أخوه قال لست أفارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنبا الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه الا انهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعنى المؤذن وأصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعنى بالصواع (حمل بعير) يعنى من الطعام (وأنا به زعيم) أى كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فى قوله الحميل غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيأ قلت لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة أو لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعنى اخوة يوسف (تالله) التاء بدل من الواو ولا تدخل الا على اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على أمرين أحدهما انهم ما جاؤا لاجل الفساد فى الارض والثانى انهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم انهم شدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذى زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد فى حقه ممتنع وأما الثانى وهو انهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فثبتت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعنى أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعنى فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين (قالوا) يعنى اخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله) يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله أن يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفى قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى القطع فى شرعنا

(ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد آذنه أى أعلمه وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم (أيتها العير) هى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجىء والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم

فاراد يوسف ان ياخذ بحكم أبيه فى السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاءله على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعنى هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزى الظالمين) يعنى مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزى الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا ان أخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزى الظالمين يعنى السارقين ۞ قوله عز وجل (فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير ان اخوة يوسف لما أقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف لابد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيأ قال اخوته والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) انما أنث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ماصنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل مازال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه فى البرية ان الذى وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أى مثل ذلك الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا فى حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا اخوة يوسف بان حكموا ان جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه فى أوصاف المخلوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو فى موضع فعل الله معرى من المعانى المذمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيده تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئته بالذى يكون من أجل أن المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمره له من الذى يقع به من الكيد فهو من الله تعالى أستراده هو ما ختم الله به عاقبته والذى وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى الامر على غير ما قدروا من اهلاكه وحلول أبيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفى لطفه سماه كيدا لانه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير أن يشعروا بذلك ۞ وقوله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) يعنى فى حكم الملك وقضائه لانه كان فى حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفى قيمة المسروق يعنى فى حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده فى حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك (الا أن يشاء الله) يعنى أن ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفى هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته

(فهو جزاؤه) تقرير للحكم أى فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره (كذلك نجزى الظالمين) أى السراق بالاسترقاق (فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء اخيه) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه لان التأنيث يرجع الى السقاية أو لان الصواع يذكر ويؤنث الكاف فى (كذلك) فى محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه اياه (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم فى دين الملك أى فى سيرته للسارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يستعبد (الا أن يشاء الله) أى ما كان ليأخذه الا بمشيئة الله وارادته فيه (نرفع درجات) بالتنوين كوفى (من نشاء) أى فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع

درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف
قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل دجاجة فأعطاها

على اخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس
فوق كل عالم عالم الى أن ينتهي العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي
الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن يتهم العالم نفسه
ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه ۞ قوله تعالى
(قالوا) يعني اخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر
الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه الذي هلك كان سارقا
أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة
وهذه السيرة لانهما من أم أخرى غير أمنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام
فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده أبي أمه صنم وكان يعبده فأخذه يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق
لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ
دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء
وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته
حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فأتاها فقال لاخته يا أختاه سلمي الي يوسف فوالله
ما أقدر على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال لها والله ما أنا بتاركه عندك فقالت دعه
عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها
بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير
لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لي يعني
يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف
ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب
السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) في هاء الكناية
ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أنتم
شر مكانا) روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه
وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى
فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون
المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم (قال أنتم شر مكانا)
يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة (والله
أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون ۞ قوله عز وجل (قالوا) يعني اخوة يوسف (يا أيها العزيز)
يخاطبون بذلك الملك (ان له أبا شيخا كبيرا) قال أصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه الصلاة والسلام
لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم
اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم بأخ لكم من أبيكم فبعتموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك
هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت
مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب
لم يقم لغضبه شئ وكان اذا صاح ألقت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد

لسائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم أفعل به ما شئت منه فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يابني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم (فأسرها) أي مقالتهم انه سرق كأنه لم يسمعها (يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا) تمييز أي أنتم
شر منزلة في السرق لانكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون
أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في السن أو في القدر

(فخذ أحدنا مكانه) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (انا نراك من المحسنين) الينا فأتم احسانك أو من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول به وحذف من (انا اذا لظالمون) اذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم (فلما استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر في استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلصوا) انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوي نجوى أو فوجا نجيا أي مناجيا المناجاة بعضهم بعضا أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته فالنجي يكون بمعنى المناجي كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن أخيهم (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل أو في العقل والرأي وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) ما صلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) في الانصراف اليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم الا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم

يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردن علينا أخانا أو لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه أو خذ بيده فأتى له فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال أنتم يا معشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل أن يكون كبيرا في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء (فخذ أحدنا مكانه) يعني بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك (انا نراك من المحسنين) يعني في أفعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا وأخذت أحدنا مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعني قال يوسف أعوذ بالله معاذا (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحرزا عن الكذب لانه يعلم أن أخاه ليس بسارق (انا اذا لظالمون) يعني ان أخذنا بريئا بذنب غيره فان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة أن يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها وأصحها أنه انما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لا عن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء وهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عباده ۞ قوله عز وجل (فلما استيأسوا منه) يعني أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أيسوا من أخيهم أن يرد عليهم وقال أبو عبيدة استيأسوا أي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا في يوسف لانه نهاهم عن قتله (ألم تعلموا أن أباكم) يعني يعقوب (قد أخذ عليكم موثقا) يعني عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) يعني قصرتم في أمر يوسف حتى ضيعتموه (فلن أبرح الارض) يعني الارض التي أنا فيها وهي أرض مصر والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة (حتى يأذن لي أبي) يعني في الخروج من أرض مصر فيدعوني اليه (أو يحكم الله لي) برد أخي علي أو بخروجي معكم وترك أخي أو يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم حتى استرد أخي (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى أبيكم) يعني يقول الاخ الكبير

فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) وقرئ سرق أي نسب إلى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (إلا بما علمنا) من سرقته وتيقنا إذ الصواع استخرج

الذي عزم على الإقامة بمصر لإخوته الباقين ارجعوا إلى أبيكم يعقوب (فقولوا) له (يا أبانا إن ابنك سرق) إنما قالوا هذه المقالة ونسبوه إلى السرقة لأنهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر لا في حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا إلا بما علمنا) يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا إخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمناه وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق بزعمهم فيكون المعنى إن ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لا أنا نشهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أي نسب إلى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج إلى تأويل ومعناه أن القوم نسبوه إلى السرقة إلا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الأولى وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا يعني وما قلنا هذا إلا بما علمنا فإنا رأينا إخراج الصواع من متاعه وقيل قال لهم يعقوب هب أنه سرق فما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده أن السارق يسترق إلا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الأنبياء قبله يعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب إخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما إذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم إعلام الملك بهذا الحكم لظنهم أنه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعني ما كنا نعلم أن ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه أن حقيقة الحال غير معلومة لنا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني واسأل أهل القرية إلا أنه حذف المضاف للإيجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان فيها جرى حديث السرقة والتفتيش (والعير التي أقبلنا فيها) يعني واسأل القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وإنا لصادقون) يعني فيما قلناه وإنما أمرهم أخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في إزالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لأنهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لأبيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حمل أخيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم إلى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق (فصبر جميل) تقدم تفسيره في أول السورة * وقوله (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) يعني بيوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر وإنما قال يعقوب هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج وقيل إن يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من أول الأمر وهو رؤيا يوسف وقوله يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الأمر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا (إنه هو العليم) يعني بحزني ووجدي عليهم (الحكيم) فيما يدبره ويقضيه * قوله تعالى (وتولى عنهم) يعني وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) الأسف أشد الحزن وإنما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك

من وعائه (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني مصر أي أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة (والعير التي أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وإنا لصادقون) في قولنا فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه وإلا فمن أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) بيوسف وأخيه وكبيرهم (إنه هو العليم) بحالي في الحزن والأسف (الحكيم) الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلف ونحوه اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبا بنبأ وإنما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا أوجع (وابيضت عيناه) إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل كان قد يدرك

أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك

يقول أتبكي كل قبر رأيته ✽ لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى ✽ فدعني فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا الى الله لا منه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يا رب ارحم أسفي على يوسف وقد ذكر ابن الانباري عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا الهي ارحم أسفي أو أنت راء أسفي أو هذا أسفي فنادى الاسف في اللفظ والمنادى سواه في المعنى ولا مأثم اذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أي اشكو الى الله شدة أسفي على يوسف ولم يشكه الى أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكو بثي وحزني الى الله (وابيضت عيناه من الحزن) أي عمي من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأ ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كانها بيضاء من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أي مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال اني رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي أطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلاء قال فله من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالي بما لقيت ان رأيته ۞ قوله عز وجل (قالوا) يعني اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم (تالله تفتؤ تذكر يوسف) يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر عن حبه يقال ما فتئ يفعل كذا أي ما زال ولا محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ✽ ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي لا أبرح قاعدا ۞ وقوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعني دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعني فاسدا لا عقل له والحرض الذي فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم وأصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعني لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (أو تكون من الهالكين) يعني من

ادراكا ضعيفا (من الحزن) لان الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه (قالوا تالله تفتؤ) أي لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لا تفتأ لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا (أو تكون من الهالكين

الاموات فان قلت كيف حلفوا على شئ لم يعلموا حقيقته قطعا قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر أى نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عند ما رأى قولهم له وغلاظتهم عليه (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) أصل البث اثارة الشئ وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان همًا فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث أشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكو حزنى العظيم وحزنى القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك اما تستحى ان تشكو الى غيرى فقال انما أشكو بثى وحزنى الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب مالى أراك قد تهشمت بالضعف وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبواك فقال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله ثم قال أى رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصرى وقوست ظهرى فاردد على ريحانتى أشمهما شمة قبل ان أموت ثم اصنع ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك أتدرى لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى أمر مناديا ينادى من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أفطر أمر أن ينادى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدى أمه وهى تخور فلم يرحمها فان قلت هل فى هذه الروايات ما يقدح فى عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيآت المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصبهم وشرف رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره الى الله فابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى فى النار فصبر ولم يشك الى أحد واسمعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض أمره الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمى بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيأ مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل فى الدنيا والدرجات العلا فى الآخرة مع من سلف من أبويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذما ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن وما نقول الا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على أحد من الناس ﴿ وقوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى أنه تعالى من رحمته واحسانه يأتى بالفرج من حيث لا أحتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك

قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله) البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أى ينشره أى لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربى داعيا له وملتجئا اليه فخلونى وشكايتى وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) وأعلم من رحمته انه يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب وروى أنه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيرك فرج عنى

الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه واعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق واني وأنتم سنسجد له وقال السدي لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني يعقوب (يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة أن يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت أنه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاؤه وعيل صبره وأظهر نفسه لاخوته على ماسنذكره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تيأسوا) أي ولا تقنطوا (من روح الله) يعني من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعني ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك ﴿قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني على يوسف (قالوا ياأيها العزيز) يعنون ياأيها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أي الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعني هي قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها القلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما لنقصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فأوف لنا الكيل) يعني أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى انا نريد أن تقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردىء (وتصدق علينا) يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردىء ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المساحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت

(يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة (ولا تيأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه) ان الامر والشأن (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم أنه متقلب في رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في نعمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فأوف لنا الكيل) الذي هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا أو هب لنا أخانا

حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد فى تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه أن يجريهم على عادتهم من المسامحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد أن يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغى الثواب قل اللهم اعطنى وتفضل على وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعنى برد أخينا الينا (ان الله يجزى المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا فى السبب الذى من أجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته رقة على اخوته فباح بالذى كان يكتم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه ببيعه من مالك وفى آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بأمتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليه لم يتمالك أن بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدرى من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا فى حبسه ولا أرادوه قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منكم يا بنى راحيل خيرا (اذ أنتم جاهلون) هذا يجرى مجرى العذر لهم يعنى انكم انما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه أمر يوسف ۞ قوله عز وجل (قالوا أئنك لأنت يوسف) قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما أئنك لأنت يوسف وقرئ على الخبر وحجته ما قال ابن عباس أيضا فى رواية أخرى عنه أن اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما أظهر الاسم فى قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكأنه قال أنا يوسف المظلوم الذى ظلمتمونى وقصدتم قتلى بان ألقيتمونى فى الجب ثم بعتمونى بابخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال (وهذا أخى) وهم يعرفونه لانه قصد به أيضا وهذا أخى المظلوم كما ظلمتمونى ثم صرت أنا وهو الى ما ترون وهو قوله (قد من الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة فى ديننا ودنيانا (انه

(ان الله يجزى المتصدقين)
ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر
وتضرعوا اليه وطلبوا منه
أن يتصدق عليهم ارفضت
عيناه ولم يتمالك أن عرفهم
نفسه حيث قال (قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف) أى
هل علمتم قبح ما فعلتم
بيوسف (وأخيه اذ أنتم
جاهلون) لا تعلمون قبحه
أو اذ أنتم فى حد السفه
والطيش وفعلهم باخيه
تعريضهم اياه للغم بافراده
عن أخيه لابيه وأمه
وايذاؤهم له بانواع الاذى
(قالوا أئنك) بهمزتين
كوفى وشامى (لأنت
يوسف) اللام لام الابتداء
وأنت مبتدأ ويوسف خبره
والجملة خبر ان (قال أنا
يوسف وهذا أخى) وانما
ذكر أخاه وهم قد سألوه عن
نفسه لانه كان فى ذكر أخيه
بيان لما سألوه عنه (قد من
الله علينا) بالالفة بعد
الفرقة وذكر نعمة الله
بالسلامة والكرامة ولم
يبدأ بالملامة (انه

من يتق) الفحشاء (و يصبر) عن المعاصى وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره فى دنياه وعقباه (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا لخاطئين) وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لاتثريب عليكم) لا تعيير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو بيغفر والمعنى لاأثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة مافرط منهم يقال غفر الله لك و يغفر لك على لفظ الماضى والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ماترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم وروى ان أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله فاتل عليه قال لاتثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك و يروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحى منك لما فرط منافيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الاولى و يقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أى اذا رحمتكم وأنا الفقير القتور فما ظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصى هذا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) يصر بصيرا تقول جاء البناء محكما أى صار أو يأت الى وهو بصير قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى

من يتق و يصبر) يعنى يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل يتق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى أجر من كان هذا حاله (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم فى حقه (تالله لقد آثرك الله علينا) أى اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا أى اختارك و يستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل الذى أعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل فى ذلك وأجيب عنه بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان أفضل ممن خص بالنبوة فقط (وان كنا لخاطئين) يعنى وما كنا فى صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطئ خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن يكون آثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآى لان خاطئين أشبه بما قبلها (قال) يعنى يوسف (لاتثريب عليكم) يعنى لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب أى لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفى محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى ماقبله فيكون التقدير لاتثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وأنا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لاتثريب عليكم اليوم و يبتدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثانى ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لاتثريب عليكم و يبتدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لاتثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال أبى بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصى هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى فى النار عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى قصبة من فضة وسد رأسها وجعلها فى عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما ألقى يوسف فى البئر عريانا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامره ان يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى فى الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصى هذا (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحى الله اليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه

قميصه ليحدر بحه فيزول بكاؤه و ينشرح صدره و يفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف و يقوى البصر فهذا القدرة يمكن معرفته من جهة العقل ۞ وقوله (وأتونى باهلكم أجمعين) قال الكلبى كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين ما بين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى أرض كنعان (قال أبوهم) يعنى قال يعقوب لولد ولده (انى لاجد ريح يوسف) قيل ان ريح الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ريح الجنة فعلم أنه ليس فى الارض من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك أنه من ريح يوسف فلذلك قال انى لاجد ريح يوسف (لولا أن تفندون) أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأى وقال ابن الانبارى أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعى اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والفند فيكون المعنى لولا أن تفندونى أى تنسبونى الى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلومونى وقيل تجهلونى وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعنى أولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان أولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله انك لفى ضلالك القديم) يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون أن يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدى قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فانا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حى فافرحه كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعنى فالقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعنى فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ۞ قوله تعالى (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) يعنى قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه وأخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به و بيوسف استغفر لنا أى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعنى فى صنيعنا (قال سوف أستغفر لكم ربى) قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما أتوا الى أخيهم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبى سوف

كنعان و بينهما مسيرة ثمانين فرسخا (وأتونى باهلكم أجمعين) لينعموا بآثار ملكى كما اغتموا باخبار هلكى (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولد ولده ومن حوله من قومه (انى لاجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى (قالوا) أى أسباطه (تالله انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قديما فى افراط محبتك ليوسف أو فى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات (فلما أن جاء البشير) أى يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (قال ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف أستغفر لكم ربى

استغفر

انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم فى صدق التوبة أو الى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم
ثم ان يوسف وجه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند
والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا (٤٥) على يوسف آوى اليه) ضم اليه

أستغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعنى لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربى قال أصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجىء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بينى و بينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعنى ضم اليه (أبويه) قال أكثر المفسرين هو أبوه يعقوب وخالته ليا وكانت أمه قد ماتت فى نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وأمه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول أصح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول فى قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعنى البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثانى الاستيطان بها أى ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل أن يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعنى على السرير الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى منصبا فى النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه ثم فى معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثانى انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغى أن يكون الا لله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان فى الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف

(أبويه) واعتنقهما قيل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والخالة أم كما ان العم أب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم أنزلهم فى مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم اليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بالجواز أو من القحط وروى انه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا أبتى بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بينى و بينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم ستمائة ألف وخمسمائة و بضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى
وكانت الذرية ألف ألف ومائتا ألف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم فى ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا لله لاجله وقيل وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة أيضا واختلف فى استنبائهم

كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك أبلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل أن يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا أن أباهم قد سجد له سجدوا له أيضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (وقال) يعني وقال يوسف عندما رأى ذلك (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يعني هذا تصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر (قد جعلها ربي حقا) يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد أربعون سنة وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين ألقي في الجب سبع عشرة سنة وأقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة ۞ وقوله (وقد أحسن بي) يعني أنعم علي يقال أحسن بي والي بمعنى واحد (اذ أخرجني من السجن) انما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من السجن وان كان الجب أصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد أن قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) يعني أفسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب أن ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أي حسن الاستخراج تنبيها على ما أوصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بأبيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه (انه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم) في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعا

(وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها) أي الرؤيا (ربي حقا) أي صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون (وقد أحسن بي) يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه (اذ أخرجني من السجن) ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) أي أفسد بيننا وأغرى (ان ربي لطيف لما يشاء) أي لطيف التدبير (انه هو العليم الحكيم) بتأخير الآمال الى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف

(رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض اذلم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت وليي فى الدنيا والآخرة) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى (توفنى مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التسترى مسلما اليك أمرى وفى عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء انظر الامم اليهم (وألحقنى بالصالحين) من آبائى أو على العموم (٤٧) روى ان يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يابنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانية مراحل فقال أمرنى جبريل قال أوما تسأله نت قال أنت أبسط اليه منى فاسأله فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى وروى ان يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشأم لى جنب أبيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبى قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب أن يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران

وعشرين سنة فى أهنأ عيش وأنعم بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق فى الارض المقدسة بالشأم فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده فى تابوت من ساج حتى قدم به الشأم فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولدا فى بطن واحد فدفنا فى قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمه رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) أى يارب (قد آتيتنى من الملك) يعنى من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع فى المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) يعنى تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعنى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه (أنت وليى) يعنى معينى ومتولى أمرى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما) أى اقبضنى اليك مسلما واختلفوا اهل هو طلب للوفاة فى الحال أم لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة فى الحال قال قتادة لم يسأل نبى من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى القول الثانى انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت فى الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفنى اذا توفيتنى على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس فى اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة فى الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لا نفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضرر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أولى ۞ وقوله (وألحقنى بالصالحين) أراد به بدرجة آبائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفى التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم ومنشا ورحمة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه فى النيل فى صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن فى محلتهم رجاء بركته حتى هموا أن يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه فى النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن فى الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه فى وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام فى الارض المقدسة ۞ قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق (من أنباء الغيب) يعنى أخبار الغيب (نوحيه اليك) يعنى الذى

(وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيهم في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم (وما تسألهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (ان هو الا ذكر) ما هو الا موعظة (للعالمين) (٤٨) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يمرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي وما يؤمن أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجمهور على أنها نزلت في المشركين لانهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية من اثبات قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق الا الله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشملهم (من عذاب الله أو تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل عليه انى هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعو الى الله على بصيرة) أي أدعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه أي أدعو الى سبيل الله أنا ويدعو اليه من اتبعني أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على أنا يخبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى

أخبرناك به من أخبار يوسف وحي أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فعلم بذلك ان الذي أتى به هو وحي الهي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر ۞ وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعني وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) يعني حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب (وهم يمكرون) يعني بيوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له (وما تسألهم عليه من أجر) يعني على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من أجر يعني أجرا وجعلا على ذلك (ان هو) أي ما هو يعني القرآن (الا ذكر) يعني عظة وتذكيرا (للعالمين وكأين من آية) يعني وكم من آية دالة على التوحيد (في السموات والارض يمرون عليها) يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) أي لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بأعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يعني أن من ايمانهم أنهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية أخرى عنه أيضا انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعني عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) يعني فجأة (وهم لا يشعرون) يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلي) يعني طريقي التي (أدعو) اليها وهي توحيد الله عزوجل ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه الطريق المؤدي الى الله عزوجل والى الثواب والجنة (الى الله) يعني الى توحيد الله والايمان به (على بصيرة) يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل (أنا ومن اتبعني) يعني ومن آمن بي وصدق بما جئت به أيضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله أدعو الى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن اتبعني يعني أنا على بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله

عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم ۞ وقوله (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله يعنى تنزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما أنا من المشركين) يعنى وقل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ۞ قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) يعنى وما أرسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك (من أهل القرى) يعنى انهم من أهل الامصار والمدن لا من أهل البوادى لان أهل الامصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادى قال الحسن لم يبعث نبى من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم (أفلم يسيروا فى الارض) يعنى هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء بهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعنى فعلنا هذا باوليائنا وأهل طاعتنا اذا نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما فى الدار الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى الآخرة لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا يعقلون) يعنى يتفكرون و يعتبرون بهم فيؤمنون ۞ قوله عز وجل (حتى اذا استيأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائى كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أهل المعانى كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أى لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو على والضمير فى قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير فى وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى فى قوله أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أى مكذبى الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل أنهم قد كذبوا فى وعد قومهم اياهم الايمان أى وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا أنهم قد كذبوا أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون أو رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم فى الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه

(وسبحان الله) وأنزهه عن الشركاء (وما أنا من المشركين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة أو ليست فيهم امرأة (نوحى) بالنون حفص (اليهم من أهل القرى) لانهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة) أى ولدار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وآمنوا به (أفلا تعقلون) وبالياء مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (حتى اذا استيأس الرسل) يئسوا من ايمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن الرسل ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفى أى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه

الطبيعة البشرية وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احداهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على ان أهل الكفر ظنوا مالا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا أنهم قد كذبوا بالتشديد وجهه ظاهر وهو أن معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعنى وأيقنوا يعنى الرسل أن الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطؤا النصر أتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى وظنوا ان الرسل ظن حسبان ان ربهم قد كذبهم فى وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم وطول البلاء بهم لأنهم كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكناية فى وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت ياعروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ماوعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم من قومهم يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة ﴿وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعنى جاء نصر الله النبيين (فنجى من نشاء) من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنجى المؤمنين المطيعين (ولا يرد بأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى المشركين ﴿قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم) يعنى فى خبر يوسف واخوته (عبرة) أى موعظة (لاولى الالباب) يعنى يتعظ بها أولوا الالباب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ماليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القائه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال فى أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال فى آخرها لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وأن فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعنى ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن

(جاءهم نصرنا) للانبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب (فنجى) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل الباقون فننجى (من نشاء) أى النبى ومن آمن به (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) الكافرين (لقد كان فى قصصهم) أى فى قصص الانبياء وأممهم أو فى قصة يوسف واخوته (عبرة لأولى الالباب) حيث نقل من غاية الحب الى غيابة الجب ومن الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار

(ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمت (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه في الدنيا لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبيائه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فايما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت

يفتريه أو يختلقه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شئ) يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شئ تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم (وهدى) يعني الى كل خير (ورحمة) يعني أنزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الرعد)

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ۞ ثم قال تعالى (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار والقصص التي قصصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي أنزل اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني مشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الرؤية ترجع الى السماء يعني وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان

عينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك في الدين أحرى أن تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم

*(سورة الرعد مكية وهي ثلاث وأربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضي الله عنهما (تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب) أريد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها (والذي انزل اليك من ربك) أي القرآن كله (الحق) خبر والذي (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذي رفع السموات) أي خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذي رفع السموات (بغير عمد) حال وهو جمع عماد وعمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان أو الى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لعمد أي بغير عمد مرئية

الرؤية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح ۞ وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد (كل يجري لأجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس أراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وفيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعني انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يعني أنه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بلقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم ۞ قوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منبسطة كالاكف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى أصدق قيلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وأرساه غيره اذا أثبته قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الارض (وأنهارا) يعني وجعل في الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا (يغشي الليل النهار) يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (لآيات) أي دلالات (لقوم يتفكرون) يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها أن يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها ۞ قوله عز وجل (وفي الارض قطع متجاورات) يعني متقاربات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة

(ثم استوى على العرش) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان (وسخر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كل يجري لأجل مسمى) وهو انقضاء الدنيا (يدبر الأمر) أمر ملكوته وربوبيته (يفصل الآيات) يبين آياته في كتبه المنزلة (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه (وهو الذي مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسي) جبالا ثوابت (وأنهارا) جارية (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أي الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (يغشي الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيرا يغشي حمزة وعلي وأبو بكر (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان لها صانعا عليما حكيما قادرا (وفي الارض قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه

الربع وهذه كثيرة الريع (وجنات) يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستتر بأشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو أبيه يعني انهما من أصل واحد (وغير صنوان) هي النخلة المنفردة بأصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق (يسقى بماء واحد) يعني أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض في الاكل) يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ۞ وقوله تعالى (ان في ذلك) يعني الذي ذكر (لآيات لقوم يعقلون) يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته ۞ قوله تعالى (وان تعجب فعجب قولهم) العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال ما رأوا فعجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم (أئذا كنا ترابا) يعني بعد الموت (أئنا لفي خلق جديد) يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ۞ ثم ان الله تعالى قال في حقهم (أولئك الذين كفروا بربهم) وفيه دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك الاغلال في أعناقهم) يعني يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجيء وقته والمراد بالسيئة هنا هي العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت من قبلهم المثلات) يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم

على قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان (تسقى بماء واحد) وبالياء عاصم وشامي (ونفضل بعضها على بعض) وبالياء حمزة وعلي (في الاكل) في الثمر وبسكون الكاف نافع ومكي (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها (وان تعجب) يا محمد من قولهم في انكار البعث (فعجب قولهم) خبر ومبتدأ أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) في محل الرفع بدل من قولهم قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكافرون المتمادون في كفرهم (وأولئك الاغلال في أعناقهم) وصف لهم بالاصرار أو من جملة الوعيد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي عقوبات أمثالهم من

المكذبين بما لم يعتبروا بها ولا يستهزؤا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أى ظالمين لانفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أو هما جميعا فى المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما

أى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) ما فى هذه المواضع الثلاثة موصولة أى يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الارحام أى ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فانها دليل تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عندنا والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك أو مصدرية أى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شئ خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) العظيم الشأن الذى كل شئ دونه (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء فى الحالين مكى

المثلاث المثلة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعنى للمصرين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ۞ قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعنى من أهل مكة (لولا) أى هلا (أنزل عليه) يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعنى مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) أى ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شئ (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادى هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعى والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادى هو الله يهدى من يشاء وقال عكرمة فى رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى ولكل قوم نبى يهديهم وقال أبو العالية الهادى هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادى هو القائد الى الخير لا الى الشر ۞ قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل أنثى يعنى من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعنى وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا فى الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد فى الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة فى وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان فى الغذاء زيادة فى مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا فى أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعى وقال حماد بن أبى سلمة انما سمى هرم بن حيان هرما لانه بقى فى بطن أمه أربع سنين وعند مالك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شئ عنده بمقدار) يعنى بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على أكمل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذى لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر فى الحس (الكبير) أى العظيم الذى يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعنى المنزه عن صفات النقص المتعالى عن الخلق وفيه

دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزهه عن جميع النقائص ۞ قوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى مستو منكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى أنه قد استوى فى علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أى مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) أى ذاهب بالنهار فى سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبى السارب المتصرف فى حوائجه قال ابن عباس فى هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برىء من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشئ اذا أظهرته وأخفيته اذا كتمته وسارب بالنهار أى متوار داخل فى السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به الالسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا فى ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرا فى النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعنى لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكورا لان واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بنى آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر أمثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله عز وجل وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لا يدعه يدخل فى فيه شئ من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة أملاك موكلون بالعبد فى ليله وخمسة غيرهم فى نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعنى يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من أمر الله بأمر الله واذنه ما لم يجئ القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شئ يأتيه يؤذيه الا قال له الملك وراءك الا شئ باذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أى يحفظون عليه الحسنات والسيآت وهذا على قول من يقول ان الآية فى الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيآت وقال عكرمة الآية فى الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير فى قوله له راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فى معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن ابن زيد نزلت هذه الآية فى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد وكانت قصتهما على ما رواه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فى نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من أجمل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالى ان

(سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى فى علمه (ومن هو مستخف بالليل) متوار (وسارب بالنهار) ذاهب فى سربه أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من فى معنى الاثنين والضمير فى (له) مردود على من كانه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه والاصل معتقبات فادغمت التاء فى القاف أو هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (من بين يديه ومن خلفه) أى قدامه ووراءه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أى من أجل ان الله تعالى أمرهم بحفظه أو يحفظونه من باس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له

أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لى بعدك قال ليس ذلك لى انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلنى على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فما تجعل لى قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك لى اليوم قم معى أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى الى أربد بن ربيعة اذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة فى يوم صحو قائظ فأحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأنها عليك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يمنعنى الله من ذلك وأبناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج فى أصل اذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض فى الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعنى ملك الموت لانفذتهما برمحى فأرسل الله اليه ملكا فلطمه فأرداه فى التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر بن الطفيل فمات بالطعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل فى شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أى بأمر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ۞ وقوله (ان الله لا يغير ما بقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة يعنى لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التى أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعنى من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى (واذا أراد الله بقوم سوأ) يعنى هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعنى لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعنى وليس لهم من دون الله من وال يلى أمرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم ۞ قوله عز وجل (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا أراد الله بقوم سوأ ذكر فى هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذى يعنى الله الذى يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفى كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع فى نزول المطر الثانى انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن فى جرينه يعنى بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له فى نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان فى غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان فى مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا أمطرت قحطت واذا لم تمطر أخصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعنى بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالى من الماء وأصل السحب الجر وسمى السحاب سحابا اما لجر الريح له أو لجره الماء أو لانجراره فى سيره (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذى يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغاير المعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما لملك من الملائكة وانما أفرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته

(ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) فلا يدفعه شئ (وما لهم من دونه من وال) من دون الله ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كأنه فى نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أى خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى
يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله

وجبريل

وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ماهو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف و يضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان أصابه صاعقة فعلى ديته وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء في نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الارفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني و يسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شئ واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون في الله) يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فتله نزلت في شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك أمن در أم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني اليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيأ بل قال أجيب محمدا الى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى شيأ بل قال أخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه و ينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيأ اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت و برقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا ومن أين علمتم ذلك قالوا قد أوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان أربد لما جادل في الله

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الصاعقة نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ في كل شئ واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم و يردون الوحدانية باتخاذ الشركاء و يجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد

(وهو شديد المحال) أي المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا
كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون (له دعوة الحق) أضيفت الى الحق
الذي هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي
الداعي سؤله فكانت دعوته

ملابسة للحق لكونه حقيقا بانه يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى

أهلكه الله بالصاعقة وقيل انه واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تمم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم
يجادلون في الله (وهو شديد المحال) أي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يحل به محلا اذا أراد به سوأ وقيل
هو من قولهم يحل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه
فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل
المحال من الحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن
معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل
معناه شديد الجدال وذلك انه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدالا منهم ۞ قوله تعالى (له
دعوة الحق) يعني لله دعوة الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال
صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما
تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل
والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوته ملابسة
للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالا نفع فيه ولا جدوى فيرد
دعاءه الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن
الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما قلت أما على قصة
أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر
ابن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على
مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء
الخالص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي
الاصنام التي يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشيء) يعني لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر ان
دعوهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعني الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط
كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ
فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة
جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشرب به فيبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه
شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه
منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا يفيده منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي
يرى الماء من بعيد بعينيه فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن
عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء
يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم
ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء

والنفع بخلاف مالا ينفع ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لان الفعل بحروفه يدل على المصدر بصيغته وعلى الزمان وبالضرورة على المكان
والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه الى الماء أي كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه
وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام في
ليبلغ متعلق بباسط كفيه (وما هو ببالغه) وما الماء ببالغ فاه

فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ۞ ثم ختم هذا بقوله (وما دعاء الكافرين) يعني أصنامهم (الا في ضلال) يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ۞ قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا في اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من أنس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ۞ وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ۞ قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فامره الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أفاتخذتم من دونه) يعني من دون الله (أولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا)

(وما دعاء الكافرين الا في ضلال) في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من في السموات والارض) سجود تعبد وانقياد (طوعا) حال يعني الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق (وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو تلقين أي فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم

وكيف غيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوي الظلمات والنور) يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيأ فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا اخلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكاري أي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون أيضا لا يخلقون شيأ حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الأمر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شئ) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شئ مما يصح أن يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شئ من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شئ وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته ﴿وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية جمع وادوهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار مائها وانما نكر أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فالمهموز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلأ جمع جدب على غير قياس وقياسه أجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي أخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء وقوله ورعوا كذا في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى

الظلمات والنور) ملل الكفر والايمان يستوى كوفي غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار (خلقوا كخلقه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) أي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوه فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور (أنزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الله

الذي علم الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار (فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رابيا) منتفخا مرتفعا على وجه السيل (ومما توقدون عليه) و بالياء كوفي غير أبي بكر ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض أي و بعضه زبد (في النار) حال من الضمير في عليه أي ومما توقدون عليه ثابتا في النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون (أومتاع) من الحديد والنحاس والرصاص تتخذ منها الاواني وما يتمتع به في الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أي زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعت له ومما توقدون خبره أي لهذه الفلزات اذا أغليت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (٦١) (فاما الزبد فيذهب جفاء) حال أي متلاشيا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفء الرمي وجفوت الرجل صرعته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلي والاواني (فيمكث في الارض) فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الامثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضرب به الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به و ينفعهم بانواع المنافع و بالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفات وذلك ما كث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمى به و بزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للابدان والاودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا و يبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان و يبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل الاحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للاعمال الممدة بالاخلاص المعدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب و بعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل والله أعلم في

الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الارض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيا به قلبه و يحفظه و يعمل به و يعلمه غيره فينتفع به و ينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم النوع الثاني من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها افادة لغيرها وهي امساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيء المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثاقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم ۞ وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحبب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا (رابيا) يعني عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومما توقدون عليه في النار) الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء ليذوب (ابتغاء حلية) يعني اطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما (أومتاع) يعني أو طلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به و يقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع (زبد مثله) يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضائعا باطلا والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل و يذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب (فيمكث في الارض) يعني يثبت و يبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الامثال) قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات

الاحوال فمن يتدبر حقه وباطله ويجعل المثل للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وإن علا في وقت فإنه يذهب هو وأهله والحق يبقى هو وأهله وقيل هذا مثل المؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لهم في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شيء فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك اذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه واما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني يذهب البواطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق الجيدة كذلك يضرب الله الامثال ۞ وقوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شيء (ومأواهم) يعني في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعني وبئس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم ۞ قوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو حمزة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (انما يتذكر أولو الالباب) يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار ۞ قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل أراد بالعهد ما أخذه على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصل

(للذين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهي صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين وقوله (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين أي لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من نوقش الحساب عذب (ومأواهم جهنم) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة بعدما ضرب من المثل في أن حال من علم (أنما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كمن هو أعمى) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولو الالباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولي الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بينهم بالايمان ولا يفرق بين أحد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسأ له في اثره الاثر هنا الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين أحدهما ان يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيه والثاني ان يزيده في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومثراة في المال ومنسأة في الاثر أخرجه الترمذي ۞ وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني انهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تتشمت به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو أن يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام أركانها وهيآتها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك أداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك أداء الزكاة فالاولى أن يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيآت ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل

وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر (ويخشون ربهم) أي وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب في الجزع (وأقاموا الصلاة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أي من الحلال وان كان الحرام رزقا عندنا (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها في السر أفضل والفرائض لان المجاهرة بها أفضل نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم أو اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا واذا أذنبوا تابوا واذا هربوا انابوا واذا رأوا منكرا امروا بتغييره. فهذه ثمانية اعمال تشير الى ثمانية أبواب الجنة

رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عليهم حلموا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى **(أولئك)** يعني من أتى بهذه الاعمال (لهم عقبى الدار) يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب **(جنات عدن)** بدل من عقبى الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو ماتت عنه وروى انه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فأمسكها رجاء ان تحشر في جملة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور وقال ابن عباس يريد به التحية من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبى الدار) يعني فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة (ويفسدون في الارض) يعني بالكفر والمعاصي **(أولئك)** يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لان منقلب

(أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها **(جنات عدن)** بدل من عقبى الدار (يدخلونها ومن صلح) أي آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرئ صلح والفتح أفصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد أبو كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه (فنعم عقبى الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الابعاد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها

الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار ۞ قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحيوة الدنيا) يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحيوة الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة الى الآخرة (الا متاع) أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدي اليه من أناب) يعني ويرشد الى دينه والايمان به من أناب بقلبه ورجع اليه بكليته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة أعين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروى عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدري ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بأرض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب

غيره (وفرحوا بالحيوة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجلة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه (الذين آمنوا) هم الذين أو محله النصب بدل من من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة في

عن أبي هريرة قال إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرج بلجامه وهيئته كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرؤا إن شئتم وظل ممدود ۞ وقوله تعالى (وحسن مآب) يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون إليه في الآخرة وهي الجنة ۞ قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم) يعني كما أرسلنا يا محمد إلى هذه الأمة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك إلى أمم قد خلت ومضت (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) يعني لتقرأ على أمتك الذي أوحينا إليك من القرآن وشرائع الدين (وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهيل ابن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني أنهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرجع أبو جهل إلى المشركين وقال إن محمدا يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته (هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها (وإليه متاب) يعني وإليه توبتي ورجوعي ۞ قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم. وقيل إنه مر بهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفسح فإنها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح نركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست بأهون على ربك من سليمان أو أحي لنا جدك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله عن أمرك أحق أو باطل فإن عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله من عيسى فأنزل الله هذه الآية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعني شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) فأحيوا واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وإنما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو أن قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن وهو كقول الشاعر

فأقسم لو شيء أتانا رسوله ۞ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شيء أتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو مقدم تقديره الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فيهم كما قال ولو أننا نزلنا إليهم

الملائكة

(وحسن مآب) مرجع بالرفع والنصب تدلك على محالها (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الإرسال أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (في أمة قد خلت من قبلها أمم) أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء أنهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء (قل هو ربي) ورب كل شيء (لا إله إلا هو) أي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (وإليه متاب) مرجعي فيثيبني على مصابرتكم متابي ومآبي في الحالين يعقوب (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الأرض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف فجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة

الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى (بل لله الامر جميعا) يعني في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل (أفلم ييأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد ألم ييأس ألم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب اذ يأسرونني * ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

يعني ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

ألم ييأس الاقوام اني أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

يعني ألم يعلم الاقوام قال قطرب يئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بشئ ويقينك به ييئسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع من كلام العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرأب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) يعني من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية قولين أحدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والاعمال الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا أحيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (أو تحل) يعني السرايا والبلية (قريبا من دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد ۞ قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من قبلك (فأمليت للذين كفروا) يعني فامهلتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعني فكيف كان عقابي لهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعني أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير أو شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان أحسنت ويعاقبها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي جعلوها لله شركاء (قل سموهم) يعني له وقيل صفوهم بما

الآية (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشئ عالم بانه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة علي رضي الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السنات وهذه والله فرية ما فيها مرية (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبا من دارهم) أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيامة أو ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي لا خلف في موعده (ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أي الاصنام (قل سموهم) أي سموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال

(أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض) على أم المنقطعة أي بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء والمراد نفي أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضلل الله فما له من هاد) من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب في الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه (وما لهم من الله من واق) من حافظ من عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون) صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقبى الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة (يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب) أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع.

يستحقون أن يطلبوا أهل هي أهل لان تعبد (أم تنبئونه) يعني أم تخبرون الله (بما لا يعلم في الارض) يعني انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون لمخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له وقيل معناه بل بباطل من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ﴿ وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الايمان (ومن يضلل الله فما له من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر القراء (لهم عذاب في الحيوة الدنيا) يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) يعني أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع (وما لهم من الله) يعني من عذاب الله (من واق) يعني من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الانهار أكلها دائم) لا ينقطع أبدا (وظلها) يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روي الا أن الذي نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من آيتين احداهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ﴿ وقوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا) يعني ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقبى الكافرين النار) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) فالمراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذين أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الاحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن

الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن بجملته لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد باهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أي قل يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرك به) شيأ (اليه أدعو) أي الى الله والى الايمان به أدعو الناس (واليه مآب) يعني مرجعي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم في الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعني بانك على الحق وان قبلتك الكعبة هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى (مالك من الله من ولي ولا واق) يعني من ناصر ولا حافظ ۞ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا في نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فما لهم أن يقترحوا عليه شيأ واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل

(قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمنكرين أي قل انما أمرت فيما أنزل الي بان أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (اليه أدعو) خصوصا لا أدعو الى غيره (واليه) لا الى غيره (مآب) مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاركهم فيها فقيل (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مالك من الله من ولي ولا واق) أي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أي ليس في وسعه اتيان الآيات على ما يقترحه قومه وانما ذلك الى الله (لكل أجل

كتاب) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقد
كانوا يستعجلون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاه كتابا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا
يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبته فيه وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل
ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وذلك انهم لما
اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا وما
سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد
ابن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا
ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على
صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة
ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب
أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم
يقول الملك يارب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا
ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة
مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله
غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذى قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدرة
وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه فى الازل فيستحيل زيادتها أو نقصانها وكذلك يستحيل
أن ينقلب السعيد شقيا والشقى سعيدا وقد صح فى فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد فى العمر فكيف
الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله عالم
بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت فى وقت معين
استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك
على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد فى الحديث فى فضل صلة الرحم من انها تزيد فى
العمر بأجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة فى عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه
فى الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثانى منها أنها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة فى اللوح
المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا أن يصل رحمه فان وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله فى الازل
ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت أى بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور
الزيادة وأما انقلاب الشقى سعيدا والسعيد شقيا فيتصور فى الظاهر أيضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من
الشقاوة الى السعادة وكذا العاصى ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ
بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل فى هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت
وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلى الذى لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحو اذهاب أثر الكتابة
وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الآية على ظاهرها وجعلها عامة فى كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله
ما يشاء فى الرزق والاجل وكذا القول فى السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر
وابن مسعود فانهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر انه كان

كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (ويثبت) بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه ويثبت مدنى وشامى وحمزة وعلى

يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فامحني منها وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو مايشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله مايشاء من ديوان الحفظة مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت مافيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله مايشاء يعني من جاء أجله فيذهبه ويثبت من لم يجئ أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله مايشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت مايشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله مايشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله مايشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو مايشاء ويثبت مايشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيأ ولا يثبت شيأ الا ماسبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر ﴿مسئلة﴾ استدلت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو أن يعتقد شيأ ثم يظهر له خلاف مااعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله مايشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه مايشاء ويثبت مايشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شئ منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ماهو خالق وماخلقه وماهم عاملون (واما نرينك) يعني يامحمد (بعض الذي نعدهم) يعني من العذاب (أو نتوفينك) يعني قبل أن نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعني ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعني وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم

۞ قوله عز وجل (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) يعني أولم ير كفار مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنا نأتي الارض يعني أرض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه

(وعنده أم الكتاب) أي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وماوعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب (وعلينا الحساب) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتي الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ماوعدناك من النصرة والظفر

فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا نأتي الارض فننقصها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا نأتي الارض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد أشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقريره أن يقال أولم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز ايصال الكلام بما قبله * وقوله تعالى (والله يحكم لا معقب لحكمه) يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غيره بتغيير ولا نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين مكروا بانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه أي هو من خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من أراد الله ضره اذا كان الامر كذلك وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعني ان جميع اكتساب العباد وتأثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين (وسيعلم

(والله يحكم لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) أي كفار الامم الخالية بانبيائهم والمكر ارادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم

الكفار لمن عقبى الدار) يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس حجازي وأبو عمرو (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) المراد بهم كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا ولهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الآية (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بما أظهر من الادلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقال ابن سلام في نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه اليك) في موضع الرفع صفة للنكرة (لتخرج الناس) بدعائك اياهم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى

الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعني أبا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عقبى الدار) والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ﴿قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعني ومن عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم وقيل انهم مؤمنوا أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام﴾

وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخر الآيتين وهي احدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الر كتاب أنزلناه اليك) يعني هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا

(باذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (الى صراط) بدل من النور بتكرير العامل (العزيز) الغالب بالانتقام (الحميد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدنى وشامى على هو الله و بالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد) (٧٤)

وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون و يؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة و يصدون عن سبيل الله) عن دينه (و يبغونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والاصل و يبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك فى ضلال بعيد) عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الاسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لانه هو الذى يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعنى الذين أو هم الذين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا متكلما بلغتهم (ليبين لهم) ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما أن ينزل بجميع الالسنة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فتعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى بالتعيين لانهم أقرب اليه ولانه أبعد من التحريف والتبديل (فيضل الله من يشاء) من آثر سبب الضلالة (ويهدى من يشاء) من آثر سبب الاهتداء (وهو العزيز) فلا يغالب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (أن أخرج قومك) بأن أخرج أو أى أخرج لان الارسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج قومك (من الظلمات الى النور

(باذن ربهم) يعنى بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحميد) يعنى الى دين الاسلام وهو دينه الذى أمر به عباده والعزيز هو الغالب الذى لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال أبو عمرو وقراءة الخفض على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى ملكا وما فيهما عبيده (وويل للكافرين) يعنى الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذى له ما فى السموات وما فى الارض وعبدوا من لا يملك شيأ البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما فى السموات وما فى الارض (من عذاب شديد) يعنى معد لهم فى الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (و يصدون عن سبيل الله) أى و يمنعون الناس عن قبول دين الله (و يبغونها عوجا) يعنى و يطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائدين عن القصد وقيل الهاء فى و يبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام (أولئك) يعنى من هذه صفته (فى ضلال بعيد) يعنى عن الحق وقيل يجوز أن يراد فى ضلال بعيد ذى بعد أو فيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعنى بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى (ليبين لهم) يعنى ما يأتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب و بلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بألسنتهم و يدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم فى عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم فى ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهله واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ فى اجتهاد المجتهدين فى تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء و يهدى من يشاء) يعنى ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادى المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعنى الذى يغلب ولا يغلب (الحكيم) فى جميع أفعاله ۞ قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) المراد بالآيات المعجزات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) أى أن أخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر

وذكرهم بايام الله) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها أو بايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على البلايا (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذ الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام أى انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من نعمة الله أى اذكروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر فى البقرة يذبحون وفى الاعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (واذ تأذن ربكم) أى آذن ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد ولا بد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يا بنى اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر فتأهب للمزيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما لئن شكرتم بالجد فى الطاعة لأزيدنكم بالجد فى المثوبة

الى نور الايمان (وذكرهم بايام الله) قال ابن عباس وأبى بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله فى الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب أى بوقائعهم وانما أراد بما كان فى أيام الله من النعمة والنقمة فاخبر بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله وقيل بايام الله فى حق موسى أن يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدى القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد أن كانوا مملوكين (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بايام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أى اذكروا انعام الله عليكم فى ذلك الوقت الذى أنجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) فان قلت قال فى سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذفت الواو فى سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفى التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءنى القوم زيد وعمرو اذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا فى هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لا أنه تفسير للعذاب (ويستحيون نساءكم) يعنى يتركونهن أحياء (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن أى أعلم ولا بد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل وآذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعنى يا بنى اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) يعنى نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم فى الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهى ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تتأكد محبة العبد

لله عزوجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر (ان عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها (وقال موسى ان تكفروا) يعني يا بني اسرائيل (أنتم ومن في الارض جميعا) يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم بحرمانها الخير كله (فان الله لغني) يعني عن جميع خلقه (حميد) أي محمود في جميع أفعاله لانه متفضل وعادل (ألم يأتكم نبأ) يعني خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك أمر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم (والذين من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شئ ألا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان نفسه أبا أبا الى آدم لانه لا يعلم أولئك الآباء الا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الايدي والافواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد أي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقروا بانهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقروا بان الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) يعني يوجب الريبة أو يوقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم قالوا أولا انا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني مجيبين لاممهم (أفي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه (فاطر السموات

(ولئن كفرتم) ما أنعمت به عليكم (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي أما في الدنيا فسلب النعمة وأما في العقبى فتوالي النقم (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الارض جميعا) والناس كلهم (فان الله لغني) عن شكركم (حميد) وان لم يحمده الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لابد لكم منه (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضميران يعودان الى الكفرة أي أخذوا أناملهم باسنانهم تعجبا أو عضوا عليها تغيظا أو الثاني يعود الى الانبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد (مريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفي شك (فاطر السموات

والارض

الارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجئ مع من الا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكأن ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أى القوم (ان أنتم) ما أنتم (الا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعنى الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا

(قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالايمان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الاتيان بالآية التى قد اقترحتموها ليس الينا ولا فى استطاعتنا وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايذائكم ألا ترى الى قوله (ومالنا أن لا نتوكل على الله) معناه وأى عذر لنا فى أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم مضمر أى حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسلهم) سبلنا ورسلهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن فى ملتنا) أى ليكونن أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم

الارض) يعنى وهل تشكون فى كونه خالق السموات والارض وخالق جميع مافيهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعنى ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصى دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعنى الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعنى الامم مجيبين للرسل (ان أنتم) يعنى ما أنتم (الا بشر مثلنا) يعنى فى الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعنى ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التى كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعنى بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) يعنى ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان أنتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعنى بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعنى وليس لنا مع ماخصنا الله من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا فى ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى فى دفع شرور أعدائهم عنهم (ومالنا أن لا نتوكل على الله) يعنى أن الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا أنه لا يصيبنا شئ الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه فى دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعنى وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتمونا) يعنى به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثانى فيه اشارة الى السعى فى التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين ۞ قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) يعنى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم أيها الرسل من بلادنا وأرضنا واما عودكم فى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره أنهم كانوا على ملتهم فى أول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب وفيه وجه آخر وهو أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أممهم فلما ارسلوا اليهم أظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله فقالوا لهم لتعودن فى ملتنا ظنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على أن الرسل من أول الامر انما نشؤا على التوحيد لا يعرفون غيره (فأوحى اليهم ربهم) يعنى ان الله تعالى

لنهلكن الظالمين) القول مضمراً وأجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أى أرض الظالمين وديارهم
فى الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك والاسكان أى ذلك الامر حق (لمن خاف مقامى) موقفى وهو موقف الحساب
أو المقام مقحم أو خوف قيامى عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابى
وبالياء يعقوب (واستفتحوا) (٧٨) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى اليهم (وخاب كل جبار)

وخسر كل متكبر بطر (عنيد) مجانب للحق معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظناً منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى (من ماء صديد) ما يسيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لماء لانه مبهم فبين بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون

الاساغة كقوله لم يكد يراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه
هو
الموت من كل مكان) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان
كل واحد منها مهلكا (وما هو بميت) لانه لو مات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً
أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى الاجساد

أوحى الى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعنى أن عاقبة أمرهم الى الهلاك ولا تخافوهم (ولنسكننكم الارض من بعدهم) يعنى من بعد هلاكهم (ذلك) يعنى ذلك الاسكان (لمن خاف مقامى) يعنى خاف مقامه بين يدى يوم القيامة فأضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف أفعالها الى أنفسها كقولهم ندمت على ضربى اياك وندمت على ضربك مثله (وخاف وعيد) أى وخاف عذابى ﴿ قوله عز وجل (واستفتحوا) يعنى واستنصروا قال ابن عباس يعنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك انهم لما أيسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعنى وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم فى حق الانسان وقيل الجبار الذى لا يرى فوقه أحداً وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى يأبى أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو المعجب بما عنده وقيل العنيد الذى يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعنى هى أمامه وهو صائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد يعنى أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعنى أنه سيأتيك (ويسقى) يعنى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أى يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه (ولا يكاد يسيغه) أى لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعنى ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أى يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أى قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلى فى جوفه عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب به قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله ووقعت فروة رأسه أى جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذى عليها ﴿ وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) يعنى ان الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورائه) يعنى امامه (عذاب غليظ) أى شديد قيل

(مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الرياح مدني (في يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف

(لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (ألم تر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد (أن الله خلق السموات والارض) خالق مضافا حمزة وعلى (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقهما عبثا (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بانه قادر على اعدام الموجود وايجاد المعدوم (وما ذلك على الله بعزيز) بممتنع (وبرزوا لله جميعا) ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فقال الضعفوء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء وأتباعهم (انا كنا لكم تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا

هو الخلود في النار ﴿ قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيأ في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم أنهم أتعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الرياح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدرون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطوع لله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم واماتتهم وايجاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يميتكم يا معشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت ﴿ قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعني وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضاء وأورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعني الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (انا كنا لكم تبعا) يعني في الدين

(فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ) فهل تقدرون على دفع شئ مما نحن فيه ومن الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذي هو عذاب الله أو هما للتبعيض أي فهل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الاغناء عنهم (قالوا) لهم مجيبين معتذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أي لو هدانا الله الى الايمان في الدنيا لهديناكم اليه أي لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لاغنيناكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى انهم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام ولا ينفعهم الجزع ويقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام ولا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وانما يقولون ذلك حيث ان تبلغهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضي الامر) حكم بالجنة والنار لاهليهما وفراغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفتكم) كذبتكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا أن دعوتكم) لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبتم لي) فاسرعتم اجابتي (فلا تلوموني) لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى أمر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله لهديناكم كما مر (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة بمصرخي حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياآن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (اني كفرت بما أشركتمون) ما مصدرية (من قبل) متعلق باشركتمون أي كفرت اليوم باشراككم اياي مع

(٨٠)

والانقياد (فهل أنتم) يعني في هذا اليوم (مغنون عنا) يعني دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا (قالوا) يعني الرؤساء والقادة والمتبوعون للتابعين (لو هدانا الله لهديناكم) يعني لو أرشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم الى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (مالنا من محيص) يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ۞ قوله تعالى (وقال الشيطان) يعني ابليس (لما قضي الامر) يعني لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأخذ أهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (ان الله وعدكم وعد الحق) فيه اضمار تقديره فصدق في وعده (ووعدتكم فأخلفتكم) يعني الوعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (وما كان لي عليكم من سلطان) يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به (الا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) يعني ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى بجانبي ومتابعتي من غير حجة ولا دليل (ما أنا بمصرخكم) يعني بمغيثكم ولا منقذكم (وما أنتم بمصرخي) يعني بمغيثي ولا منقذي مما أنا فيه (اني كفرت بما أشركتمون من قبل) يعني

كفرت

كفرت بجعلكم اياى شريكاله فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد مايعتقده الكفار فيه من كونه شريكالله وتبرأ من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى فيأذن الله لى ان أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى ظهر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ماهو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية ﴿وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل ان بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة ﴿قوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم تر أى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى اياك فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شبها والمثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولا فى شئ آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيه شئ بشئ آخر (كلمة طيبة) هى قول لا اله الا الله فى قول ابن عباس وجمهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعنى كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرونى عن شجرة شبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة قال فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها النخلة فقال مامنعك ان تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت ان أتكلم أو أقول شيأ فقال عمر لان تكون قلتها أحب الى من كذا وكذا وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى قال عبد الله بن عمر ووقع فى نفسى انها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهى يارسول الله قال هى النخلة وفى رواية عن ابن عباس انها شجرة فى الجنة وفى رواية أخرى عنه انها المؤمن ٭ وقوله (أصلها ثابت) يعنى فى الارض (وفرعها) يعنى أعلاها (فى السماء) يعنى ذاهبة فى السماء

الله من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أومن قبل متعلق بكفرت وما موصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول أشركنى فلان أى جعلنى له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ماسيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على برزوا (باذن ربهم) متعلق بادخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (تحيتهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة وتسليم الملائكة عليهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) أى وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدا محذوف أى هى كشجرة طيبة

(أصلها ثابت) أى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاه ورأسها (فى السماء) والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الاركان وكما ان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملا فالمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا ولكن الاشجار لاتراد الا للثمار فما أقوات النار الا من الاشجار اذا اعتادت الاخفار فى عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان

الله تعالى لطرب مثل المؤمن شجرة فاخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة فقال عمر يابنى لوكنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى كل شجرة لايطيب ثمرها وفى الحديث انها شجرة الحنظل (اجتثت من فوق الارض) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو فى مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أى يديمهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (فى الحيوة الدنيا) حتى اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود وغيرذلك (وفى الآخرة) الجمهور على ان المراد به فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس

(تؤتى أكلها) يعنى ثمرها (كل حين باذن ربها) يعنى بامر ربها والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعنى من وقت طلعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال على بن أبى طالب ثمانية أشهر يعنى ان مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت أن يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعنى غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فأكلها دائم فى كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت فى قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة فى الارض الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذى هو عال فى السماء الوجه الثالث أن ثمر النخلة يأتى فى كل حين ووقت وكذلك مايكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة فى كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان فى غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمى بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لاتحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس فى وجه الحكمة فى تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لاتسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لايتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان ۞ وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعنى ان فى ضرب الامثال زيادة فى الافهام وتصوير المعانى وتذكيرا ومواعظا لمن تذكر واتعظ ۞ قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعنى الحنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفى رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه أيضا انها الثوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لايقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء (اجتثت) يعنى استؤصلت وقطعت (من فوق الارض مالها من قرار) يعنى مالهذه الشجرة من ثبات فى الارض لانها ليس لها أصل ثابت فى الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لاخير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هى الحنظلة أخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح ۞ قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة فى الآية المتقدمة أخبر فى هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هى الكلمة الطيبة وهى شهادة أن لا اله الا الله فى قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة فى الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال فى هذه الآية ويضل الله الظالمين يعنى بالكلمة الخبيثة وهى كلمة الشرك فى قول جميع المفسرين ۞ وقوله (فى الحيوة الدنيا) يعنى فى القبر عند السؤال (وفى الآخرة) يعنى يوم القيامة

القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ماروى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى عذاب القبر زاد فى رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المنافق وفى رواية وأما الكافر فيقول لا أدرى كنت أقول مايقول الناس فيه فيقال لادريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد فى رواية انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع فى قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له فى النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا فى الجنة فيراه فيقول دعونى حتى أذهب فابشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع فى قبره أتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدرى فيقال له لادريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول مايقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين وأخرجه النسائى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدرى فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كانما على رؤسنا الطير وبيده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفى رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره وان كان الكافر فذكر موته قال فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك

يثبتهم على القول الثابت فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل وأزل (٨٤) (ويضل الله الظالمين) فلا

(ويفعل الله مايشاء) ولا اعتراض عليه فى تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين (ألم ترالى الذين بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكرالى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل مالزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا فى العبادة أو فى التسمية (ليضلوا عن سبيله) وبفتح الياء مكى وأبو عمرو (قل تمتعوا) فى الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع ان يقضى العبد مااستطاع من شهوته (فان مصيركم الى النار) مرجعكم اليها (قل لعبادى الذين آمنوا) خصهم بالاضافة اليه تشريفا وبسكون الياء شامى وحمزة وعلى والاعشى (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) المقول محذوف لان قل تقتضى مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة الانفاق وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم

فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان مادينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ماهذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافرشوا له من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد فى رواية ثم يقيض له أعمى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنه يقول مايبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل مانعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا أنامت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفنتمونى فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى أخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى انما يثبتهم فى القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق فى الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها فى قلبه أعظم فينبغى للعبد المسلم أن يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله فى جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل أن يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت فى القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت فى القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير ﴿ وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعنى أن الله تعالى لايهدى المشركين الى الجواب بالصواب فى القبر (ويفعل الله مايشاء) يعنى من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه فى جميع أفعاله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله عز وجل (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) ﴿ (خ) عن ابن عباس فى قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفى رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعنى من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعنى دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعنى المستقر (وجعلوا لله أندادا) يعنى أمثالا وأشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعنى ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا فى الدنيا أياما قلائل (فان مصيركم الى النار) يعنى فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعنى أقيموا وليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها تمام أركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهذا

مج (سراوعلانية) انتصابا على الحال أى ذوى سر وعلانية يعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه

ولا خلال) أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله بفتحهما مكى و بصرى والباقون بالرفع والتنوين (الله) مبتدأ (الذى خلق السموات والارض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائبين وهو حال من الشمس والقمر أى يدأبان فى سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض أى آتاكم بعض جميع ما سألتموه أو وآتاكم من كل شئ سألتموه ومالم تسألوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقى يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كل عن أبى عمرو وما سألتموه نفى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أو ما موصولة أى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال

الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الانفاق فى جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق فى جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعنى ينفقون أموالهم فى حال السر وحال العلانية وقيل أراد بالسر صدقة التطوع و بالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعنى لا فداء فى ذلك اليوم (ولا خلال) يعنى ولا خلة وهى المودة والصداقة التى تكون مخالة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة انما هى الاعمال اما ان يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلة فى هذه الآية وفى الآية التى فى سورة البقرة وأثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفى الخلة محمولة على نفى الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراه أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوالا مختلفة ففى بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفى بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالة لله فى محبته ﴿قوله عز وجل (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم أنه تقدم تفسير هذه الآية فى مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذى لا يعجزه شئ أراده فقوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعنى من السحاب سمى السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أى بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها فى جلب ذلك الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهى من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعنى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به فى سقى الزرع والثمرات ولا فى الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده فى تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب فى السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبهما فى طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان فى طاعة الله أى فى مسيرهما وتأثيرهما فى ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل و به يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعنى يتعاقبان فى الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم (وآتاكم من كل ما سألتموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التى أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتى على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه شيئا فحذف شيئا اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو

على التكثير يعني وآتاكم من كل شيء سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرتها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلوم كفار) يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ۞ قوله سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يامن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) يعني أبعدني وبني أن نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثاني أن الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أيضا أن يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلمها أنه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها وأما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول أن ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن أذن الله أن يدعو له فكأنه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار

كتابه

(وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدها وبلوغ آخره هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (واذ قال ابراهيم) واذكر اذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد) أي البلد الحرام (آمنا) ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة انه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يامن أهلها وفي الثاني أن يخرجه من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وبعدني أي ثبتني وأدمني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الاسلام (وبني) أراد بنيه من صلبه (أن نعبد الاصنام) من ان نعبد الاصنام

كتابه ﴿ وقوله تعالى (رب انهن) يعني الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيأ حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني فانه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر

اذا حاولت في أسد فجورا ﴿ فاني لست منك ولست مني

أراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه فانه مني حكمه حكمي جار مجراي في القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف أنهما غير مغفور لهما تبرأ منهما والوجه الآخر ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على أن تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف وفي رواية بقدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس

(رب انهن أضللن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسبيب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم (فمن تبعني) على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا اني أسكنت من ذريتي) بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادي مكة (غير ذي زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل ممنعا يهابه كل جبار أو لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لانه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه

فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته أخرجه البخارى بأطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية فقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى من للتبعيض أى بعض ذريتى وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه واد بين جبلين جبل أبى قبيس وجبل اجياد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحترم عنده مالا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان يعنى امتنع منه وقيل سمى محرما لان الزائرين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لانه أعتق من الجبابرة ومن الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه وأعلمه أن له هناك بيتا قد كان فى سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى جرى فى سابق علمك أنه سيحدث فى هذا المكان (ربنا ليقيموا الصلوة) اللام فى ليقيموا متعلقة بأسكنت يعنى أسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل وأولاده بهذا الوادى الذى لازرع فيه ليقيموا أى لاجل أن يقيموا أولكى يقيموا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال البغوى جمع الوفد (تهوى اليهم) تحن وتشتاق اليهم قال السدى رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزى أفئدة من الناس أى قلوب جماعة من الناس فلهذا جعله جمع فؤاد قال ابن الانبارى وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من فى قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعى يقال هوى يهوى هويا اذا سقط من علو الى سفل وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانبارى معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة فى هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفى هذا بيان أن حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم ينتفعون بمن يأتى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام فى هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته (وارزقهم من الثمرات) يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ ۞ وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعنى لعلهم يشكرون هذه النعم التى أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن يعنى من البكاء وقيل ما نخفى يعنى من الحزن المتمكن فى القلب وما نعلن يعنى ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا

(ربنا ليقيموا الصلوة) اللام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك (فاجعل أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض لما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند أو للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس ونكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها فى الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة (تهوى اليهم) تسرع اليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقا (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بان تجلب اليهم من البلاد الشاسعة (لعلهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات فى واد ليس فيه شجر ولا ماء (ربنا) النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله (انك تعلم ما نخفى وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن

(وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام أو من كلام ابراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شئ ما (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) على بمعنى مع وهو فى موضع الحال أى وهب لى وأنا كبير (اسمعيل واسحق) روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وروى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها

أعظم لانها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربى لسميع الدعاء) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته واضافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون فى ذريته كفار عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء) بالياء فى الوصل والوقف مكى ووافقه أبو عمرو وحمزة فى الوصل الباقون

لا يضيعنا (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) قيل هذا من تتمة قول ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق فى الدعاء فى وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عند ما بشر باسحق وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد فى الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لان الذى صح فى الحديث أنه دعا بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فى وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (ان ربى لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلنى مقيم الصلاة) يعنى ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها فى أوقاتها (ومن ذريتى) أى واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التى هى للتبعيض فى قوله ومن ذريتى لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتى وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لى) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شئ الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولوالدى) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت أراد انهما ان أسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعنى واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعنى يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على

بلا ياء أى استجب دعائى أو عبادتى وأعتزلكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لى ولوالدى) أى آدم وحواء أو قاله قبل النهى واليأس عن ايمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أى يثبت أو أسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا بمثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكما جاء فى الامر يا أيها الذين آمنوا

آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم (انما يؤخرهم) أى عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أى أبصارهم لا تقر فى أماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) صفر من الخير لاتعى شيأ من الخوف والهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب

فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا عقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذر لا ظرف اذ الانذار لا يكون فى ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أى الكفار (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) أى ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) أى حلفتم فى الدنيا أنكم اذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار أخرى يعنى كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ومالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات واقاء الملائكة بلا بشرى فانهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديته بفى نحو قر فى الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وبجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا

حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترى الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا فى حق الله محال فلابد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى اثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبى صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجهله بصفاته (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ماترى فى ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبى عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيمة بخلاف الحال المعتادة فاخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعى وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنعى رؤسهم) الاقناع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعو رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أى لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواء) أى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم ولا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية فارغة لا تعى شيأ ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء أى مترددة تهوى فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (وأنذر الناس) يعنى وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى (ربنا أخرنا الى أجل قريب) يعنى أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فيمنعهم ذلك وهو قوله تعالى (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فاجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعنى فى دار الدنيا (مالكم من زوال) يعنى مالكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم)

يعنى

(وتبين لكم) بالاخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام أى تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله وانما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أى أهلكناهم وانتقمنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أى صفات مافعلوا ومافعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم (٩١) الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو مافعلوه من تأييد الكفر وبطلان الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو الى المفعول أى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فعبر عن أمر النبى عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن أماكنها فان مخففة من ان واللام مؤكدة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن أنا ورسلى مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف الى وعده وهو المفعول الثانى له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول الثانى على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله عزيز) غالب لا يماكر

يعنى بالكفر والمعاصى ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعنى وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا اياهم (وضربنا لكم الامثال) يعنى الامثال التى ضربها الله عز وجل فى القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ماجرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل فى خلاص نفسه من العقاب والهلاك ۞ قوله سبحانه وتعالى (وقد مكروا مكرهم) اختلفوا فى الضمير الى من يعود فى قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ماذكره الله تعالى بقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى بسبب مكرهم بك * وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعنى جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعنى وان كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى الآية قول آخر وهو انها نزلت فى نمرود الجبار الذى حاج ابراهيم فى ربه فقال نمرود ان كان مايقوله ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أصعد الى السماء فاعلم مافيها فعمد الى أربعة أفراخ من النسور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات أربعا فى أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما أحمر وقعد هو فى التابوت وأقعد معه رجلا آخر وأمر بالنسور فربطت فى أطراف التابوت من أسفل فجعلت النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوما أجمع حتى بعدت فى الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودى أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه فى التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها فى بحر فى الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا بالدم قال كفيت اله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات الى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ماوعد به رسله من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه ومهلك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (ان الله عزيز) أى

(ذوانتقام) **لاوليائه** من أعدائه وانتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) على الظرف للانتقام أو على اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب (وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين

غالب (ذوانتقام) يعني من أعدائه ۞ قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما أنه تبدل صفة الارض والسماء لا ذاتهما فأما تبديل الارض فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شئ الا ذهب وتمد مد الاديم وأما تبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المائل الى حمرة كأن النار ميلت بياض وجهها الى الحمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد بتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء وقال أهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة يتكفؤها بالهمز بيده أي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كمثله شئ ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالظلمة أي الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شئ قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ۞ وقوله تعالى (وبرزوا) يعني وخرجوا من قبورهم (لله) يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ۞ قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعني

(في الاصفاد) متعلق بمقرنين أي يقرنون في الاصفاد أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود أو الاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه (٩٣) الا الاسامي والمسميات ثمة نعوذ بالله من

مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شددته معه في رباط واحد (في الاصفاد) يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال أبو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سرابيلهم) يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطرآن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعني تعلوها وتجللها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا أنما هو اله واحد) يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليذكر أولو الالباب) يعني وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولو العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الحجر﴾

(مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله سبحانه وتعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمع بما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ كأنك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ (يود الذين كفروا) وقيل ما في ربما بمعنى حين أي رب حين يود يعني يتمنى الذين كفروا والان التمني هو تشهي حصول ما يود واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما ان

سخطه وعذابه من قطرآن زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناه (وتغشى وجوههم النار) تعلوها باشتمالها وخص الوجه لانه أعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس مجرمة أو مطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا (وليعلموا أنما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كله (وليذكر أولو الالباب) ذوو العقول ﴿سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان (ربما) بالتخفيف مدني وعاصم وبالتشديد غيرهما وما هي الكافة لانها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم وانما جاز (يود الذين كفروا) لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة

الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ودوا وودادتهم تكون عند النزع أو يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين أو اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وتمني الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم. وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان

حسنا وانما قلل برب لان أهوال القيامة تشغلهم عن التمني فاذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعنى بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرفه أهل اللغة لانها وضعت للتقليل (ذرهم) أمر اهانة أي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسط لتأكيد لصوق

ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته فيأمر الله بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وابراهيم يعني النخعي فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كأنه قال ربما ود ۞ قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعني دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلههم الامل) يعني ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعني اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الا ولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ (ما تسبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي آكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون)

الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تأكيدا لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفا وقوله كتاب معلوم أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين ألا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها (وما

يستأخرون) وانما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال

قوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة (ياأيها الذي نزل عليه الذكر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا ياأيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه ياأيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه انك لمجنون في ادعائك الرسالة (لوما) قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا (تأتينا بالملائكة) يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (ما ننزل الملائكة الا بالحق) يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا (انا نحن نزلنا الذكر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم ياأيها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم (وانا له لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما الا أن القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى أقرب مذكور أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده

يستأخرون) أي عنه وحذف لأنه معلوم وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (ياأيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن (انك لمجنون) يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم انك لأنت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي أن الله نزل عليك الذكر (لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لو ركبت مع لا وما لامتناع الشئ لوجود غيره أو للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب المعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا (ما ننزل الملائكة) كوفي غير أبي بكر تنزل الملائكة أبو بكر تنزل الملائكة أي تتنزل غيرهم (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) القرآن (وانا له لحافظون) وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم ياأيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع وأنه هو الذي نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله وانا له لحافظون دليلا على أنه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعصمك

(ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين) أى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا فى الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية (٩٦) لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا به يستهزؤن) يعزى نبيه عليه السلام (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) أى كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء فى شيع الاولين نسلكه أى الكفر أو الاستهزاء فى قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة فى الاصلح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) بالله أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضت طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت ابصارنا) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو من السكر سكرت مكى أى حبست كما يحبس النهر من الجرى والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا قالوا هو شئ نتخايله لا حقيقة له ولقالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى

فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين) لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون وأساؤا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار فى قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة فى الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وفى الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى فى شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله فى شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) السلوك النفاذ فى الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشئ فى الشئ كادخال الخيط فى المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء فى قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أى ندخله فى قلوب المجرمين يعنى مشركى مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهى أبين آية فى ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر فى قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال فى قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أى كذلك نسلك الباطل والضلال فى قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير فى قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ۞ وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يعرجون يعنى يصعدون والمعارج المصاعد وفى المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثانى انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون فى ذلك الباب فينظرون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس سدت أبصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة ۞ قوله سبحانه وتعالى

ولقد

(ولقد جعلنا فى السماء بروجا) البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعنى منازلهما وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه البروج وهى نجوم على ماصورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) يعنى المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذى أوجد كل شئ وخلقه وصوره (وحفظناها) يعنى السماء (من كل شيطان رجيم) أى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لايحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فما منهم من احد يريد أن يسترق السمع الا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث فى الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الامن استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فاتبعه) أى لحقه (شهاب مبين) والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لاجل مافيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس فى قوله الامن استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فى البوادى (خ) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

(فصل) اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما انها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك فى بدء أمره فكان ذلك أساس النبوة صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه فى الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمى بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمى ويعضده ماروى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال أول من فزع للرمى بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بنى علاج وكان أدهى العرب فقالوا له ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر ويعرف بها الانواء

السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (ولقد جعلنا فى السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أى السماء (للناظرين وحفظناها) أى السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو مرمى بالنجوم (الامن استرق السمع) أى المسموع ومن فى محل النصب على الاستثناء (فاتبعه شهاب) نجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قيل كانوا لايحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها

من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها، ويوالقه طي الدنيا وهلاك الحلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر أراده الله من الخلق قال الزجاج و يدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كانه كوكب في اثر عفرية ❁ مسوم في سواد الليل منقض

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم و يدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم أومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى أوليائهم و يرمون فما جاؤابه على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه و يزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالعير يرهقها الغبار وجحشها ❁ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدري يتبعه ❁ نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء و بعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بان الله أخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض (وألقينا فيها رواسي) يعني جبالا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فاثبتها بالجبال (وأنبتنا فيها) أي في الارض لان أنواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور لقوله تعالى (من كل شئ موزون) وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معايشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشئ الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه

(والارض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) في الارض جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل شئ موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن

الاشياء كلها بالوزن وقيل معنى موزون متناسب فى الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون
الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف
وقيل ان جميع ماينبت فى الارض والجبال نوعان أحدهما مايستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون
والثانى النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن
(وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهو مايعيش به الانسان مدة حياته فى الدنيا من المطاعم والمشارب
والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعنى الدواب والوحش والطير تم منتفعون بها ولستم لها
برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها او تكون من
فى قوله تعالى ومن لستم بمعنى مالا من لمن يعقل ومالمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل
كقوله تعالى فمنهم من يمشى على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها او يدخل معهم
مالا يعقل من الدواب والوحش (وان من شئ الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى
يخزن فيه الشئ للحفظ يقال خزن الشئ اذا أحرزه فقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لانه
سبب الارزاق والمعايش لبنى آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه فى حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره
قوله تعالى (وماننزله الا بقدر معلوم) يعنى بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر
يقال لاتنزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من
السماء كل عام بقدر واحد لايزيد ولاينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم
خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لاينتفع به كالبرارى والقفار
والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده انه قال فى العرش تمثال جميع
ماخلق الله فى البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن
عباس يعنى للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها
الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود فى تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح
السحاب فتحمل الماء فتمجه فى السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح
المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله
ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر فى هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فأنزلنا من السماء ماء
قال أبو بكر بن عياش لاتقطر قطرة من السماء الا بعد أن تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم
وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقح وان ألقحت غيرها لان معناه النسبة كما يقال: درهم
وازن أى ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمغن لانه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى
ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازى عنه بان قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى
اللقحة ومن أفاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أى ذات لقاح وقيل ان الريح فى
نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابا ثقالا أى حملت فعلى
هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقحت اذا أتت بالخير
كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد فى بعض الاخبار أن الملاقح الرياح الجنوب وفى بعض الآثار ماهبت
رياح الجنوب الا وأنبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح
قال اللهم انى أسألك خيرها وخير مافيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما أرسلت به
وروى البغوى بسنده الى الشافعى الى ابن عباس قال ماهبت ريح قط الا جثا النبى صلى الله عليه وسلم على

(وجعلنا لكم فيها) فى الارض (معايش) مايعيش به من المطاعم جمع معيشة وهى بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من فى محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور فى لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أى وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب فى جوفها كأنها لاقحة بها من
لقحت الناقة حملت وضدها العقيم الريح حزة

ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات ۞ وقوله سبحانه وتعالى (فأنزلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقيناكموه) يعني جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيناه (وما أنتم له) يعني للمطر (بخازنين) يعني أن المطر في خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بمانعين (وانا لنحن نحيي ونميت) يعني بيدنا احياء الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا لنحن يفيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بأن نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك و يبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتعهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فاذا فني جميع الخلائق رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه ۞ قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فأنزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزى ۷ نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله و بالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني فيهما وقال الاوزاعي أراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت والمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شئ من أحوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يعني على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ما ماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي (من صلصال) يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم اذا أنتن (من حمأ) يعني من الطين الاسود

(مسنون)

(فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفي عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وانا لنحن نحيي ونميت) أي نحيي بالايجاد ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الآجال ونحيي للجزاء على الأعمال على التقديم والتأخير اذ الواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر (وان ربك هو يحشرهم) أي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من حمأ) صفة

(مسنون) أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخمره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حمأ مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة انسان أجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا ﴿ قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا استر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا احدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور ﴿ قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة) أي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (اني خالق بشرا) سمي الآدمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد (من صلصال من حمأ مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) يعني عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لما كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيأتي الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشرا أمرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعني الذين أمروا بالسجود لآدم (أجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا بأسرهم ثم عند هذا بقي احتمال آخر وهو انهم سجدوا في أوقات متفرقة أو في دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حالا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى

بالماء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض (والجان) أبا الجن كآدم للناس أو هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره (خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس ثمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص (فقعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الارض يعني اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون

(الا ابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير التارك ملوما وقال فى الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى اباك السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب

اسجدوا لآدم فسجدوا (الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين) يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فسجدوا (قال) يعنى قال الله (يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال) يعنى ابليس (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابليس نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه أفضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أى طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون فى السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التى عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمر الا انقطاع له (قال رب فانظرنى) يعنى أخرنى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة له فى بلائه وشقائه وعذابه وانما سمى يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عينت وسألت الانظار اليه (قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم فى قوله بما وما مصدرية وجواب القسم (لأزينن) والمعنى فباغوائك اياى لأزينن لهم فى الارض وقيل هى باء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لأزينن (لهم فى الارض) يعنى لأزينن لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولأغوينهم أجمعين) يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال (الا عبادك منهم المخلصين) يعنى المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من أخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا لله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل

يوم الدين حدا للعنة لانه أبعد غاية يضرب بها الناس فى كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة فى السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب فانظرنى) فاخرنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن لهم والمعنى أقسم باغوائك اياى (لأزينن لهم) المعاصى ونحوه قوله بما أغويتنى لأزينن لهم فبعزتك لأغوينهم فى أنه اقسام الا أن أحدهما اقسام بصفة الذات والثانى بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا والآية حجة على المعتزلة فى خلق الافعال وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر (فى الارض) فى الدنيا التى هى دار الغرور وأراد انى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو فى السماء فأنا على التزيين لاولاده فى الارض أقدر (ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) بكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه

بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اما ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أى الجانبين رجح أخذ به (قال) يعنى قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لا تنفلت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى يؤدى الى كرامتى ورضوانى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعانى ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصتى أى الذين هداهم واجتباهم من عباده (الامن اتبعك من الغاوين) يعنى الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يامرهم به (وان جهنم لموعدهم أجمعين) يعنى موعد ابليس وأشياعه وأتباعه (لها) يعنى لجهنم (سبعة أبواب) يعنى سبع طبقات قال على بن أبى طالب تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشئ وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار قال الضحاك فى الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة المجوس وفى السادسة أهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ۞ قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين فى جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك فى قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصى والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية فى الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التى فى الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجرى هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل أن كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجرى فى جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجرى من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة (بسلام آمنين) يعنى ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن فى القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة فى الغل لانها كامنة فى القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى

(قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين) (١٠٣) أى هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على الى على يعقوب من علو الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (ان المتقين فى جنات وعيون) وبضم العين مدنى وبصرى وحفص المتقى على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال فى الشرح ان دخل أهل الكبائر فى قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن فى القلب أى ان كان لاحدهم غل فى الدنيا على آخر نزع الله ذلك فى الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها

التوادد والتحاب (اخوانا) حال (على سرر متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا (لا يمسهم فيها نصب) في الجنة تعب (وماهم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف (ونبئهم) وأخبر أمتك على نبئ عبادي ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجيء واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أي ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لامتناعهم من الاكل أو لدخولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام عليم) هو اسحق لقوله في سورة هود وبشرناها باسحق (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر) أي أبشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي أي ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي استفهام ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكي والاصل تبشرونني فادغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع

الجنة وقد بقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (اخوانا) يعني في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه أخوة النسب (على سرر) جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء الى الجابية (متقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا اعياء (وماهم منها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان ۞ قوله سبحانه وتعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند (وأن عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وادخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أني وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة ۞ قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أي وأخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (اذ دخلوا عليه) يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما (قال) يعني ابراهيم (انا منكم وجلون) أي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) يعني لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشرتموني) يعني بالولد (على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو

(قالوا بشرناك بالحق) باليقين الذي لا لبس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصري وعلى (من رحمة ربه الا الضالون) الا المخطؤن طريق الصواب أو الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون أى لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها (قال فما خطبكم) فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كأنه قيل الا قوما قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعنى انهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرمى في أنه في معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (انا لمنجوهم أجمعين) مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (الا امرأته) مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وهنا قد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا أو بمجرمين والا امرأته متعلق بمنجوهم

فكيف يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (انها لمن الغابرين) الباقين في العذاب قيل لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أى لا أعرفكم أى ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقوني بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكون ويكذبونك (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) في الاخبار بنزوله بهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) في آخر الليل أو بعد ما يمضى شئ صالح من الليل (واتبع أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى

استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعنى بالصدق الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا تكثر ذريته وهو اسحق (فلا تكن من القانطين) يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير (قال) يعنى ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعنى من ييأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة (قال) يعنى ابراهيم (فما خطبكم) يعنى فما شأنكم وما الامر الذي جئتم فيه (أيها المرسلون) والمعنى ما الامر الذي جئتم به سوى ما بشرتموني به من الولد (قالوا) يعنى الملائكة (انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى لهلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعنى أشياعه وأتباعه من أهل دينه (انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته) يعنى امرأة لوط (قدرنا) يعنى قضينا وانما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك (انها لمن الغابرين) يعنى لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفى اثبات ومن الاثبات نفى فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك أن الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زى شبان مرد حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعنى لا أعرفكم ولا أعرف من أى الاقوام أنتم ولا لاى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعنى الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنى جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه (وأتيناك بالحق) يعنى باليقين الذي لا شك فيه (وانا لصادقون) يعنى فيما أخبرناك به من اهلاكهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشئ وبعضه (واتبع أدبارهم) يعنى واتبع آثار أهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعنى حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع

والتوقف لان من يلتفت لابد له فى ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضى اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) وقت دخولهم فى الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى لان من أساء الى ضيفى فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أى ولا تذلون باذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان وبالياء فيهما يعقوب (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتى) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك انهم لفى سكرتهم) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وهو أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا بالاخف لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمى (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (فجعلنا عاليها سافلها) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين كانهم يعرفون باطن الشئ بسمة ظاهرة

فى السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شئ وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف أحد منهم فيناله العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى الى الشام وقيل الى الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعنى وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر الذى قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعنى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم فى المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا فى غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفى) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعنى فيهم يقال فضحه يفضحه اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فى أمرهم (ولا تخزون) يعنى ولا تخجلون (قالوا) يعنى قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم ننهك عن العالمين) يعنى أولم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل معناه أولم ننهك أن تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا فى أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه (هؤلاء بناتى) أزوجكم اياهن ان أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبى كالوالد لامته (ان كنتم فاعلين) يعنى ما آمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمى فحذف الخبر لان فى الكلام دلالة عليه (انهم لفى سكرتهم) يعنى فى حيرتهم وضلالتهم وقيل فى غفلتهم (يعمهون) يعنى يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعنى حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذى نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره فى سورة هود (ان فى ذلك) يعنى الذى نزل بهم من العذاب (لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التأويل ما روى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان فى ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست فى فلان الخير وهى على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث

(وانهما) وان هذه القرى يعنى آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين و بالليل (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر والشأن كان أصحاب الايكة أى الغيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتقمنا منهم) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا (وانهما) يعنى قرى قوم لوط والايكة (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء

وهو ما يوقعه الله فى قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثانى ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس فى علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين فى اللغة المتثبتين فى نظرهم حتى يعرفوا سمة الشئ وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر فى سمة الدلائل تقول توسمت فى فلان كذا أى عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعنى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفى ولا زائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (لآية للمؤمنين) يعنى المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان أصحاب الأيكة لظالمين) يعنى كان أصحاب الايكة وهى الغيضة واللام فى قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعنى بالعذاب وذلك أن الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم جميعا (وانهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الايكة (لبامام مبين) يعنى بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمى الطريق اماما لانه يؤم و يتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذى يريده ۞ قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة وولدها والآيات التى كانت فى الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعنى عن الآيات (معرضين) يعنى تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) يعنى خوفا من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف (فأخذتهم الصيحة) يعنى العذاب (مصبحين) يعنى وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعنى من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادى ۞ قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعنى لاظهار الحق والعدل وهو أن يثاب المؤمن والمصدق و يعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لآتية) يعنى وان القيامة لتأتى ليجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (فاصفح الصفح الجميل) الخطاب للنبى صلى الله عليه

لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر واديهم وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعوا الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبيون فى ابن الزبير وأصحابه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أى ينقبون فى الجبال بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) فى اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة) أى القيامة لتوقعها كل ساعة (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك و يجازيك واياهم على حسناتك وسيا آتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح الصفح الجميل) فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا

وسلم أى فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلاقى من أذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالى من الجزع والخوف (ان ربك هو الخلاق العليم) يعنى انه سبحانه وتعالى خالق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم ۞ قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) قال ابن الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير فى يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسين بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدنى شئ ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت فى يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله أعلم وفى المراد بالسبع المثانى أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وفى رواية عنه وابن عباس وفى رواية الاكثر بن عنه وأبى هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفى رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة فى آخر بن ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى أخرجه أبو داود والترمذى (ق) عن أبى سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته أخرجه البخارى وفيه زيادة أما السبب فى تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثانى فلانها سبع آيات باجماع أهل العلم واختلفوا فى سبب تسميتها بالمثانى فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى فى الصلاة فتقرأ فى كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث مذكور فى فضل الفاتحة وقيل سميت مثانى لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك قال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخى لانها تثنى أهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عنانى وقال الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثانى لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هى السبع المثانى دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكر فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سوره لابد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثانى فى تفسير قوله سبعا من المثانى انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفى رواية عنه وابن عباس وفى رواية عنه وسعيد بن جبير وفى رواية عنه السبع الطوال هى سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا فى السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هى سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المئين مكان الانجيل وأعطانى مكان الزبور المثانى وفضلنى ربى بالمفصل أخرجه البغوى باسناد الثعلبى قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثانى لان الفرائض والحدود والامثال

وهو يحكم بينكم (ولقد آتيناك سبعا) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثانى) هى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما يتكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة لآية وأما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كانها تثنى على الله واذا جعلت السبع مثانى فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثانى فمن للتبعيض (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشئ على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فاوراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله

الامثال والخبر والعبر ثنيت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكية وأجيب عن هذا الايراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الا عطف الشئ على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما متعنا به ازواجا) يعني اصنافا (منهم) يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شئ فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتناول هذه الآية قيل انما يكون ماد اعينيه الى الشئ اذا أدام النظر اليه مستحسنا له فيحصل له من ذلك تمني ذلك الشئ المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى الشئ من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففيه النهي عن الالتفات الى أموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي مريم ما قاتلا لا يموت قال النار (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الاغنياء فما كان احد أكثر هما مني كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت ۞ وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعني لين جانبك (للمؤمنين) وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم يا محمد (اني انا النذير المبين) لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى اني أنا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين البين النذارة (كما أنزلنا على المقتسمين) يعني أنذركم عذابا كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد

(لا تمدن عينيك) أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) أي لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل) لهم (اني أنا النذير المبين) أنذركم ببيان و برهان ان عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم أهل الكتاب

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي أو أريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي انذر العضين الذين يجزؤن (١١٠)

القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثناعشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه

بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا اعقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوه عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) ﴾ (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشئ اذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن أجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعني أنهم جعلوا القرآن سحرا (فوربك لنسألنهم أجمعين) أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لا اله الا الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يعني سؤال استعلام وقوله لنسألنهم أجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروي عن ابن عباس أيضا أنه قال في الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون في بعض المواقف ولا يسئلون في بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهر ويروى عنه أمضه وقال الضحاك اعلم وأصل الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وقوله سبحانه وتعالى (انا كفيناك المستهزئين) أكثر

وسلم أوفي القرآن أو في كتب الله (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو المفسر بن الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما امرت به (واعرض عن المشركين) هو امر استهانة بهم (انا كفيناك المستهزئين) الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات والعاص بن وائل دخل في اخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطلب عمي والاسود بن عبد يغوث

المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ماللنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيري فاني أنا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزؤن بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث ابن أسد بن عبد العزى بن زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلاطلة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة قال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبالا له وعليه برد يماني وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر ان يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل الى أخمص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيأ غيرك فمات وهو يقول قتلني محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فاصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه أكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو

جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والحرث بن قيس امتخط قيحا ومات (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) فيك أو في القرآن أو في الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم

كفيتني ما أكره فانا عبدك و بين يديك فافعل بي ما تشاء ۞ قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وروى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النحل﴾

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الامر وهو متوقع المجيء بعد ما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا (فلا تستعجلوه) يعني وقوعا والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجيء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون ۞ قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وانما سمى الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل

(واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة

﴿سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن اشراكهم فما موصولة أو مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره)

الملائكة

على من يشاء من عباده أن أنذروا) أن مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) اعلموا بان
الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا أنا فاتقون فخافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو
بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهو قوله (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) وبالتاء في
الموضعين حمزة وعلي وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أي فاذا هو
منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لا حس به ولا حركة أو فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بدله منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هي الازواج الثمانية وأكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيها دفء) وهو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنها تأكلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل

من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج
والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه (ولكم فيها جمال حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها
بالعشي (وحين تسرحون) ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي
لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت بإراحتها وتسريحها الافنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند
الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع

الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة
وتبليغ الوحي الى الخلق (أن أنذروا) يعني بان أعلموا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) أي فخافون وقيل معناه
مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون)
تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت
في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله
يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم
والصحيح ان الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم أولى وفيها
بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله
الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم ۞ قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه
وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته
ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر
الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي
تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز أيضا أن
يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين
يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها
جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير
ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من
اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل
والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنها تأكلون) يعني من لحومها فان قلت
قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت
الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز
وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب وأكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج
الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الاكل وقدم
منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل ۞ وقوله سبحانه
وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام (جمال) أي زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة رد الابل
بالعشي الى مراحها حيث تأوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسرح اذا أخرجوها بالغداة الى
المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ
وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من

بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى
المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك
يفرح أربابها وتتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على
التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منه وقت التسريح لان النعم تقبل من
المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون
ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في
الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أثقالكم) الاثقال جمع ثقل
وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى
اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى
الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين
(لم تكونوا بالغيه) يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه (الا بشق الانفس) يعني بالمشقة والجهد والعناء
والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها (ان
ربكم لرؤف رحيم) يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع ﴿ قوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير
لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل اسم
جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها

﴿فصل﴾ احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه
للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا أيضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة
الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريمه فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى
بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال
لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول
الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد واسحاق واحتجوا
على اباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرسا فأكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة
فأكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية
وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا
قد أصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب من أباح
لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص
هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في
الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية
بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل
الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل
والبغل والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت
السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغل والحمير فأخذنا بهما جمعا بين النصين والله أعلم ﴿ وقوله تعالى
(ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته

وضرورياته

(وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) و بفتح الشين أبو جعفر وهما لغتان في معنى
المشقة وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عليه
شقا وحقيقته راجعة الى
الشق الذي هو الصدع
وأما الشق فالنصف كأنه
يذهب نصف قوته لما يناله
من الجهد والمعنى وتحمل
أثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه لو لم يخلق الابل الا
بجهد ومشقة فضلا أن
تحملوا أثقالكم على ظهوركم
أو معناه لم تكونوا بالغيه
بها الا بشق الانفس وقيل
أثقالكم أبدانكم ومنه
الثقلان للجن والانس
ومنه وأخرجت الارض
أثقالها أي بني آدم (ان
ربكم لرؤف رحيم) حيث
رحمكم بخلق هذه الحوامل
وتيسير هذه المصالح
(والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة) عطف
على الانعام أي وخلق هذه
للركوب والزينة وقد
احتج أبو حنيفة رحمه الله
على حرمة أكل لحم الخيل
لانه علل خلقها للركوب
والزينة ولم يذكر الاكل
بعد ما ذكره في الانعام
ومنفعة الاكل أقوى
والآية سيقت لبيان النعمة
ولا يليق بالحكيم أن يذكر
في مواضع المنة أدنى النعمتين
ويترك أعلاهما وانتصاب
زينة على المفعول له عطفا
على محل لتركبوها وخلق
ما لا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره

ضرور يانه على سبيل التفصيل ذكر بعده مالا ينتفع به الانسان فى الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات
الله عزوجل فى البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهذا ذكرها
على الاجمال وقال بعضهم و يخلق مالا تعلمون يعنى مما أعد الله لاهل الجنة فى الجنة ولاهل النار فى النار مما
لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة فى قوله و يخلق مالا تعلمون يعنى السوس فى
النبات والدود فى الفواكه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال
طريق قصد وقاصد اذا أداك الى مطلوبك وفى الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان
طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائر) يعنى
ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين
اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال
عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع (ولوشاء لهداكم أجمعين)
فيه دليل على ان الله تعالى ماشاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشئ لانتفاء
غيره فقوله ولوشاء لهداكم أجمعين معناه ولوشاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيد انه تعالى ماشاء هدايتهم
فلاجرم ماهداكم ﴿ قوله عزوجل (هو الذى أنزل من السماء ماء) لماذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على
عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على
العباد فقال وهو الذى أنزل من السماء يعنى والله الذى خلق جميع الاشياء هو الذى أنزل من السماء ماء يعنى
المطر (لكم منه) يعنى من ذلك الماء (شراب) يعنى تشربونه (ومنه) يعنى ومن ذلك الماء (شجر) الشجر فى
اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر أصناف ماجل وعظم وهو
الذى يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة فى الشتاء و ينبت فى الربيع ومنها مالا يبقى
له ساق فى الشتاء كالبقول وقال أبو اسحاق كل ماينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد نطعمها اللحم
اذا عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن اذا أجدبت الارض وقال ابن قتيبة فى هذه الآية يعنى
الكلا ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ماترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى
كل الشجر (فيه) يعنى فى الشجر (تسيمون) يعنى ترعون مواشيكم يقال أسمت السائمة اذا خليتها ترعى
وسامت هى اذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) أى ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم (به) أى
بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لماذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجمالا
ذكر فى الثمار تفصيلا واجمالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما
لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لان
ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر
سائر الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ﴿ ثم قال تعالى (ان فى ذلك)
يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار (لآية) يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا (لقوم يتفكرون)
يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم
تفسيره فى سورة الاعراف (مسخرات) يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وارادته فيه رد على الفلاسفة
والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعالة المتصرفة فى العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه
النجوم مسخرات فى نفسها مذللات (بامره) يعنى بامر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف
يشاء و يختار وأنها ليس لها تصرف فى نفسها فضلا عن غيرها ولماذكر الله سبحانه وتعالى انه خالق هذه النجوم

وعلى الله قصد السبيل) المراد به الجنس ولذا قال (ومنها جائر) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد
وقاصد أى مستقيم كأنه
يقصد الوجه الذى يؤمه
السالك لا يعدل عنه
ومعناه ان هداية الطريق
الموصل الى الحق عليه كقوله
ان علينا للهدى وليس
ذلك للوجوب اذ لا يجب
على الله شئ ولكن يفعل
ذلك تفضلا وقيل معناه
والى الله وقال الزجاج معناه
وعلى الله تبيين الطريق
الواضح المستقيم والدعاء
اليه بالحجج ومنها جائر أى من
السبيل مائل عن الاستقامة
(ولوشاء لهداكم أجمعين) أراد
هداية اللطف بالتوفيق
والانعام بعد الهدى العام
(هو الذى أنزل من السماء
ماء لكم منه شراب) لكم
متعلق بانزل أو خبر لشراب
وهو مايشرب (ومنه
شجر) يعنى الشجر الذى
ترعاه المواشى (فيه تسيمون)
من سامت الماشية اذا
رعت فهى سائمة واسامها
صاحبها وهو من السومة وهى
العلامة لانها تؤثر بالرعى
علامات فى الارض (ينبت
لكم به الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات) ولم يقل كل
الثمرات لان كلها لا تكون
الا فى الجنة وانما أنبت فى
الارض بعض من كلها
للتذكرة (ان فى ذلك لآية
لقوم يتفكرون) فيستدلون
بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) بنصب الكل
هو وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر

(ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وماذرأ لكم فى الارض) معطوف على الليل والنهار أى ماخلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لايحنث باكله اذا حلف لاياكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار (وتستخرجوا منه حلية) هى اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها من أجلهم فكانها زينتهم ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها (فيه) فى البحر (ولتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف أى لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) كراهية أن تميل بكم وتضطرب أو لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تميد فقالت الملائكة ماهى بمقرة أحدا على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلكم علامات تهتدون) الى مقاصدكم أو الى توحيد ربكم (وعلامات) هى معالم الطرق وكل مايستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم

وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يعنى أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراد منها (وماذرأ لكم فى الارض) يعنى وماخلق لكم فى الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعنى فى الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لايشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يعنى فيعتبرون بذلك ۞ قوله سبحانه وتعالى (وهو الذى سخر) لكم (البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه فى ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا فبدأ بذكر الاكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفى ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى مايعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه فى غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلقه لابحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد ۞ المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم ۞ المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر فيه) يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل المخر فى اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعنى أنها اذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعنى صوائخ والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن المواخر يعنى مواقر أى مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعنى الارباح بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (وألقى فى الارض رواسى) يعنى جبالا ثقالا (أن تميد بكم) يعنى لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وانهارا) يعنى وجعل فيها أنهارا لان فى ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وأنهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها فى أسفاركم والتردد فى حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) يعنى بتلك السبل الى ماتريدون فلا تضلون (وعلامات) يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها فى أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قولهم وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبى أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم

مفحم فيهم كأنه قيل و بالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه أراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم ولهم
بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصوا (أفمن يخلق) أي الله

علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا و بنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته و بديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ أفمن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيأ البتة لانها جمادات لا تقدر على شئ فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها و يترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون) يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بقي في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جمادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه و بين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل أن يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها و يشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيأ البتة والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء و بطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تقدرون عليه (ان الله لغفور) يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من ايذائه فأخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام التي تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه

تعالى (كمن لا يخلق) أي الاصنام وجيء بمن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم أو لان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال (أفلا تذكرون) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان ما وراءها لا ينحصر ولا يعد (ان الله لغفور رحيم) يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله)
بالتاء غير عاصم (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون

أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) نفي عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم (١١٨) بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه

تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لابد من البعث (الهكم اله واحد) أي ثبت بما مر ان الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الاقرار بها (لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) ماذا منصوب بانزل أي أي شئ أنزل ربكم أو مرفوع على الابتداء أي أي شئ أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدا محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أساطير الاولين أي أحاديث

الاصنام لا تخلق شيأ فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيأ وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فما فائدة التكرار قلت فائدته ان المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيأ فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيأ وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار (أموات) أي جمادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (أيان يبعثون) يعني متى يبعثون وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون ۞ قوله سبحانه وتعالى (الهكم اله واحد) يعني ان الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لاجرم) يعني حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيأ وكذا معنى غمصته أي انتقصت به وازدريته ۞ قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ۞ قوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ما روي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع

الاولين وأباطيلهم واحدتها أسطورة واداراة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وانه نبي فهم الذين قالوا خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار اضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال

الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (ألا ساء ما يزرون) يعني الا بئس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السماء ويقاتل أهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت ألسنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربا منهم جرهم الذي نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله أعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحق الضر والمكر بالغير ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) يعني قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بان أتاهم بريح قصفت بنيانهم من أعلى وأتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده وأساسه هذا اذا حملنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الآية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا وعمدوه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر بآخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على ألسنة الناس من حفر بئرا لاخيه أوقعه الله فيه ﴿ وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم أهلكوا وماتوا تحته (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني في مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم) يعني يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعني ويقول الله لهم يوم القيامة (أين شركائي) يعني في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعني كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزي) يعني الهوان (اليوم) يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعني العذاب (على الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا

(ألا ساء ما يزرون) محل ما رفع (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي من جهة القواعد وهي الاساطين وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله أي أمره بالاستئصال (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا (ويقول أين شركائي) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم تشاقون نافع أي تشاقونني فيهم لان مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) أي الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم أو هم الملائكة (ان الخزي اليوم) الفضيحة (والسوء) العذاب (على الكافرين)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبالياء حمزة وكذا ما بعده (ظالمي أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أي الصلح والاستسلام أي أخبتوا وجاؤا
بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفران

بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فيكون أعظم في الهوان والخزي ۞ قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمي أنفسهم) يعني بالكفر (فألقوا السلم) يعني أنهم استسلموا وانقادوا بأمر الله الذي نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) يعني شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) يعني فلا فائدة لكم في انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أي فيقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم في الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فلبئس مثوى المتكبرين) يعني عن الايمان ۞ قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافد ان رجعت الى قومي من دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعني أنزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا معقولا للانزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان أي أقام به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجري من تحتها الانهار) يعني تجري الانهار في هذه الجنان من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) يعني في الجنات (ما يشاؤن) يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤن لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا (كذلك يجزي الله المتقين) أي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات

والعداوة فرد عليهم أولو العلم وقالوا (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة احسانهم (ولدار الآخرة خير) أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر لمبتدأ محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر

المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضله ورحمته أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قلت قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة فى سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح فى ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفى ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الآيات التى تدل على أن الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخلوا الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أى بسببها وهى من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده

قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هؤلاء الذين أشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد (الا أن تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعنى بتعذيبه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيآت ما عملوا) يعنى فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئت أو لم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت أو لم تجئ واذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة فى بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى أحكام الله وفى أفعاله وهو باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه فى أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان فى حكم الله وسنته فى عباده ارسال الرسل اليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه فهو المهتدى ومن اضله فهو الضال وهذه سنة الله فى عباده أنه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدى من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم

لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك ياولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) بعملكم (هل ينظرون) ما ينتظر هؤلاء الكفار (الا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم وبالياء على وحمزة (أو يأتى أمر ربك) أى العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيآت ما عملوا) جزاء سيئة أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوا اعتقادا لكان صوابا

(ولاحرمنامن دونه من شئ) يعنى البحيرة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوامثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل الاالبلاغ المبين) الاأن يبلغوا الحق و يطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنافى كل أمة رسولاأن اعبدوالله) بان وحدوه (واجتنبوا

الطاغوت) الشيطان يعنى طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى لزمته لاختياره اياها (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وأعلمه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (ان تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل) بفتح الياء وكسر الدال كوفى الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولايهدى خبره (ومالهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم و يدفعون عنهم عذابه الذى أعدلهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا (لايبعث الله من يموت بلى) هواثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لمادل عليه بلى لان يبعث موعد من الله و بين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لايعلمون) ان وعده حق أوانهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بمادل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذى يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فى قولهم لايبعث الله من يموت (انماقولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أى فهو يكون و بالنصب شامى وعلى على جواب كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى اذا أردنا وجود شئ فليس الاأن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الايجاد

الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلاجرم استحقوا عليه الذم والوعيد واماقوله تعالى (ولاحرمنا من دونه من شئ) يعنى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا أن الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما فى الامم الخالية (فهل على الرسل الاالبلاغ المبين) يعنى ليس اليهم هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) يعنى كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعنى ان الرسل كانوا يأمرونهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعنى فمن الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعنى هداه الله الى الايمان به وتصديق رسله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعنى ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق فى الازل حتى مات على الكفر والضلال وفى هذه الآية أبين دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف فى عباده فيهدى من يشاء و يضل من يشاء لااعتراض لاحد عليه بما حكم به فى سابق علمه (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى فسيروا فى الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مآل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم ۞ قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هداهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء وايمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لايهدى من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعنى لايهدى الله من أضله وقيل معناه لايهتدى من أضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادى له (ومالهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الجوزى سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذى أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن لايبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قال أبو العالية وتقرير الشبهة التى حصلت للمشركين فى انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الاهذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه و بلى امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولاحقيقة بعد فنائه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم فى انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لايبعث الله من يموت) فردّ الله عليهم ذلك وكذبهم فى قولهم فقال تعالى (بلى) يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفى والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوجده من العدم ولم يك شيأ فالذى أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية أهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعنى ان الذى وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لاخلف فيه (ولكن أكثر الناس لايعلمون) يعنى لايفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) يعنى من أمر البعث و يظهر لهم الحق الذى لاخلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعنى فى قولهم لابعث بعد الموت (انماقولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيى الموتى

و يبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه فى احيائهم و بعثهم انما يقول لشئ أراده كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذى لا يعجزه شئ أراده (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى و يكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى أما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وأما تكذيبه اياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى وفى رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك أما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون علىّ من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ۞ وقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا) يعنى أوذوا وعذبوا نزلت فى بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبى جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فأما بلال فكان أصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر و يشدونه و يجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب فقال لهم انى رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث أخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ۞ وقوله تعالى (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) يعنى لنبوئنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم فى الدنيا دارا حسنة أو بلدة حسنة وهى المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه لنحسنن اليهم فى الدنيا بأن يفتح لهم مكة و يمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية فى الدين (ولاجر الآخرة أكبر) يعنى أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم فى الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم فى الآخرة لزادوا فى الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعنى فى الله على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد و بذل الانفس والاموال فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) يعنى فى أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى

على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات (والذين هاجروا فى الله) فى حقه ولوجهه (من بعد ما ظلموا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) صفة للمصدر أى تبوئة حسنة أو لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (ولاجر الآخرة أكبر) الوقف لازم عليه لان جواب (لو كانوا يعلمون) محذوف والضمير للكفار أى لو علموا ذلك لرغبوا فى الدين أو للمهاجرين أى لو كانوا يعلمون لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أى هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة و بذل الارواح فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون الامر الى ربهم و يرضون بما أصابهم فى دين الله ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) على ألسنة الملائكة نوحى حفص

الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) أي بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له أي رجالا ملتبسين بالبينات أو بارسلنا مضمرا كانه قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بيوحى أي يوحى اليهم بالبينات أو بلا تعلمون وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وقوله (وأنزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) في تنبيهاته فيتنبهوا (أفأمن الذين مكروا السيئات) أي المكرات السيآت وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي بغتة (أو يأخذهم في تقلبهم) متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون (فان

الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعني مثلك نوحي اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة (فاسئلوا أهل الذكر) يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لا تعلمون) الخطاب لاهل مكة يعني ان كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل العلم والمعنى فاسألوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون أنتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأنزلنا اليك الذكر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيها للغافلين (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعني ما أجمل اليك من أحكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلهم يتفكرون) يعني فيما أنزل اليهم فيعملوا به (أفأمن الذين مكروا السيآت) فيه حذف تقديره المكرات السيآت وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة (أن يخسف الله بهم الارض) يعني كما خسف بقارون من قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في تقلبهم) يعني في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم (فما هم بمعجزين) يعني بسابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به انه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيحتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان

ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع مافيكم فانما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أولم يروا) وبالتاء حمزة وعلى وأبو بكر (الى ماخلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفيؤ ظلاله) أى يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصرى (عن اليمين) أى الايمان (والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ (وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير فى ظلاله لانه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من أوصاف العقلاء أولان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا الى ماخلق الله من الاجرام التى لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها أى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) من بيان لما فى السموات وما فى الارض جميعا على أن فى السموات خلقا يدبون فيها كما تدب الاناسى فى الارض أو بيان لما فى الارض وحده والمراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله معنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجئ بما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جئ بمن لتناول العقلاء خاصة

ربكم لرؤف رحيم) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب ۞ قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ماخلق الله من شئ) يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشئ ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تتفيؤ ظلاله) يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى فئ لانه من فاء يفئ اذا رجع من المغرب الى المشرق والفئ الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو مالم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال (عن اليمين والشمائل) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فاول النهار وأما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشئ وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشئ يراد به الجمع (سجدا لله) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى أن جميع الاشياء التى لها ظلال فهى منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله أولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أى صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذى يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء ۞ قوله عز وجل (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما فى قوله ما فى السموات وما فى الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر ممن يعقل فى العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لو أتى بمن التى هى للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسمانى يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة فى قوله (والملائكة) لانهم أولوا أجنحة يطيرون بها وأفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من فى السموات لشرفهم وقيل أراد ولله يسجد ما فى السموات من الملائكة وما فى الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين الطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة

(وهم لايستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير فى لايستكبرون أى لايستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده (ويفعلون مايؤمرون) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى وانهم بين الخوف والرجاء (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبوا فارهبونى يعقوب (وله مافى السموات والارض وله الدين) أى الطاعة (واصبا) واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أو وله الجزاء دائما يعنى الثواب والعقاب (أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة) وأى شئ اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (فمن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقر والجدب (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة

الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لايستكبرون) يعنى الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويفعلون مايؤمرون) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال أبو ذر لوددت انى كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذى وقال عن أبى ذر موقوفا

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها ﴿قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين) لما أخبر الله عز وجل فى الآية المتقدمة ان كل مافى السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم فى ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى فى هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لاتتخذوا اثنين الهين يعنى ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تبارك وتعالى (انما هو اله واحد) لان الالهين لا يكونان الا متساويين فى الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعنى لايجوز أن يكون فى الوجود الهان اثنان انما هو اله واحد (فاياى فارهبون) يعنى فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبوا فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياى فارهبون يفيد الحصر وهو أن لايرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه (وله مافى السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لاشريك له فى الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيده فى ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله مافى السموات والارض يعنى عبيدا وملكا (وله الدين واصبا) يعنى وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب فى حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما أبدا (أفغير الله تتقون) يعنى انكم عرفتم ان الله واحد لاشريك له فى ملكه وعرفتم ان كل ماسواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار ﴿قوله عز وجل (وما بكم من نعمة فمن الله) يعنى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين فى الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى بين فى هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها (ثم اذا مسكم الضر) أى الشدة والامراض والاسقام (فاليه تجأرون) يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر

والمعنى

(ثم اذا كشف الضرعنكم اذافريق منكم بربهم يشركون) الخطاب فى ومابكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لاللتبعيض كانه قال فاذا فريق كافروهم أنتم ويجوزأن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البرفنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة

والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضرفى بعض الاوقات فلا يلجأ الااليه ولايدعى الااياه ليكشفها فانه هو القادرعلى كشفها وهو قوله تعالى (ثم اذا كشف الضرعنكم) يعنى ثم اذا أزال الشدة والبلاء عنكم (اذافريق منكم) يعنى طائفة وجماعة منكم (بربهم يشركون) يعنى انهم يضيفون كشف الضرالى العوائد والاسباب ولايضيفونه الى الله عزوجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لايرون كشف الضر الامن الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) قيل ان هذه اللام لام كى ويكون المعنى على هذا انهم انما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم فى كشف الضرعنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا فى اللذة التى أنتم فيها الى المدة التى ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة أمركم الى ماذا تصيروهو نزول العذاب بكم ۞ قوله سبحانه وتعالى (ويجعلون لمالايعلمون نصيبا) قيل الضمير فى قوله لمالايعلمون عائد الى المشركين يعنى ان المشركين لايعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لاتعلم شيأ البتة لانها جماد والجماد لاعلم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين أولى ولانه قال لمالايعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لمالايعلمون انه اله ولا له حق نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لاعلم لها ولا فهم ۞ وقوله (مما رزقناهم) يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره فى سورة الانعام (تالله) أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون) يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أولدخول لفظ التأنيث فى تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم مايشتهون) يعنى ويجعلون لانفسهم مايشتهون يعنى البنين (واذا بشر أحدهم بالانثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التى تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر أحدهم بالانثى (ظل وجهه مسودا) يعنى متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لايرضى أحدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ ۞ وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعنى انه ظل ممتلئا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء مابشر به) يعنى انه يختفى من ذلك القول الذى بشر به وذلك ان العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى ان يعلم ماولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يفكر مايصنع بها

ثم أوعدهم فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) هو عدول الى الخطاب على التهديد (ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم) أى لآلهتهم ومعنى لايعلمون انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جماد لاتضر ولاتنفع أوالضمير فى لايعلمون للآلهة أى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولاتشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لاوكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (تالله لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل للتقرب اليها (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه أوتعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعنى البنين ويجوز فى ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين = المعطوف والمعطوف عليه

أى وجعلوا لانفسهم مايشتهون من الذكور (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا) أى صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء مابشر به) يستخفى منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر

يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب فى تنفيذ ما أراد (الحكيم) فى امهال العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبى هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون) ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولاصنامهم أكرمها وتصف

وهو قوله تعالى (أيمسكه على هون) يعنى على هوان وانما ذكر الضمير فى أيمسكه لانه عائد الى مابشر به فى قوله واذا بشر أحدهم (أم يدسه فى التراب) يعنى أم يخفى ذلك الذى بشر به فى التراب والدس اخفاء الشئ فى الشئ قال أهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب فى ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو لحمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب فى الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها حتى اذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى أذهب بها الى احمائها ويكون قد حفر لها حفرة فى الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظرى الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها فى تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم (٢) الفرزدق اذا أحس بشئ من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

وعمى الذى منع الوائدات * فاحيا الوئيد فلم توأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة فى النار أخرجه أبو داود وقوله تعالى (ألاساء ما يحكمون) يعنى بئس ما يصنعون و يقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن و يجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الاساء ما يحكمون فى وأد البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكر وكراهتهم الاناث وقتلهن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) أى الصفة العليا المقدسة وهى أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا اله الا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (وهو العزيز) أى الممتنع فى كبريائه وجلاله (الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله ۞ قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى آية أخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم فى تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان فى جنس الناس الانبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله (ما ترك عليها) يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض (من دابة) يعنى أن الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أبا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بئس ما قلت ان الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب فى جحرها بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض أحد (ولكن يؤخرهم) يعنى يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (الى أجل مسمى) يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى لانفسهم وهى البنات

(٢) قوله صعصعة عم كذا بالنسخ بايدينا والصواب جد وكذا قوله وعمى الذى الصواب وجدى الذى كما هو مقرر فى كتب الادب اه مصحح

(وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أي ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهي الجنة ان كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر المفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أي أرسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر

والتكذيب بالرسل (فهو وليهم اليوم) أي قرينهم في الدنيا تولى اضلالهم بالغرور أو الضمير لمشركي قريش أي زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم أو هو على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) في القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم) للناس (الذي اختلفوا فيه) هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) وبفتح النون

(وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعني ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فأكذبهم الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعني في الآخرة لا الجنة (وأنهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لامر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) يعني كما أرسلناك الى هذه الامة لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) أي ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) يعني في أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورحمة) يعني وما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به ۞ قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأحيا به) يعني بالماء (الارض) يعني بالنبات والزروع (بعد موتها) يعني يبسها وجدوبتها (ان في ذلك لآية) يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعني سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم في الانعام لعبرة) يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما في بطونه) الضمير عائد الى الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والاخفش وقال الكسائي انه رده الى ما ذكر يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فأضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن (من بين فرث) هو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعني من الدم والفرث ليس عليه

) نافع وشامي وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما في بطونه (من بين فرث ودم لبنا خالصا) أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم

لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر فى كرشها وطبخته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائغا للشاربين) يعنى هنيأ سهلا يجرى فى الحلق بسهولة قيل انه لم يغص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين فى معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء فى ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان فى الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما رأى أحد فى كرشها دما ولا لبنا بل الحق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى حصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددى رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته فى حلمة الثدى ثقبا صغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفا احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعنى جاريا فى حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا ۞ قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه) الضمير فى منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن أبى ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل فى معرض الانعام والامتنان قلت قال العلماء فى الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية فى الوقت الذى كانت الخمرة فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه فى هذه الآية على تحريم الخمر أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفى عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية نزلت بمكة فى وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بانها منسوخة وقال أبو عبيدة فى معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أى طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر أى سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول أبى عبيدة ان السكر

(سائغا للشاربين) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية لابتداء الغاية ويتعلق (ومن ثمرات النخيل والاعناب) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء أو تتخذون منه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير فى منه يرجع الى المضاف المحذوف الذى هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان أحدهما ان الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله الى حد السكر ويحتجان بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة (ورزقا حسنا) هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك

الطعم (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من انعامه على عباده (لآية) يعنى دلالة وحجة واضحة (لقوم يعقلون) يعنى ان من كان عاقلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد ﴿قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر فى هذه الآية اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته وأصل الوحى الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التى يلقيها الله الى أنبيائه وحى والى أوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعنى أنه سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها وقدر فى أنفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبنى بيوتا على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها لو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذى لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وألهمها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذ الحكم فيها وهى تطيعه وتمتثل أمره ويكون هذا الامير أكبرها جثة وأعظمها خلقة ويسمى يعسوب النحل يعنى ملكها كذا حكاه الجوهرى وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أنها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهى فكان ذلك شبيها بالوحى فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمى هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذى يخرج من بطونها بمعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهى مؤنثة فى لغة الحجاز وكذا أنثها الله تعالى فقال (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يعنى يبنون ويسقفون وذلك أن النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر ويأوى الى الكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أراد بالذى يعرشون الكروم (ثم كلى من كل الثمرات) يعنى من بعض الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمار فلفظة كل ههنا ليست للعموم (فاسلكى سُبُلَ ربكِ) يعنى الطرق التى ألهمك الله أن تسلكيها وتدخلى فيها لاجل طلب الثمرات (ذللا) قيل انها نعت للسبل يعنى أنها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤا وأرادوا لا تستعصى عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلف ألوانه) يعنى ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل فى بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازى انه رأى فى بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فتجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه فى بيوتها لانفسها لتغتذى به فاذا اجتمع فى بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فانا نشاهد ان

(ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل) وألهم (أن اتخذى من الجبال بيوتا) هى أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا ومن فى من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تعسل فيها للتبعيض لانها لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير فى يعرشون للناس وبضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كلى من كل الثمرات) أى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهيها فاذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها (ذللا) جمع ذلول هى حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه مما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منها أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها

النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بأن كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لأنا نشاهد أنه يوجد في طعم العسل طعم تلك الأزهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه أيضا ويعضد هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحله العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وأنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الأطباء من أنه طل لأنه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله إن طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لأن مزاج الترنجبين معتدل إلى الحرارة وهو ألطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لأن لفظ البطن إذا أطلق لم يرد به إلا العضو المعروف مثل بطن الإنسان وغيره والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (فيه) يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود إذ الضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع إلى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما أن العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء إلا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال إني سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب إن الإسهال يحصل من أنواع كثيرة منها التخم والهيضات وقد أجمع الأطباء في مثل هذا على أن علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها فإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية فأما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل أن يكون إسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك إسهاله على ما هو عليه أو تقويته فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده إسهالا فزاده عسلا إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه أن أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وأن المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الأطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وإنما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بأنه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحي الإلهي أن العسل الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد به من أن فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعني باستعجالك الشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده وأسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فإن قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض أيضا أن قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر

(فيه شفاء للناس) لأنه من جملة الأدوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة في الإثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فجاءه وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أن رجلا قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم

بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة أنه خرج مخرج الاغلب وانه فى الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه فى الجلة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء للاوجاع التى شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد فى قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب أن يعود الى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير اليه لانه أقرب مذكور ۞ وقوله سبحانه وتعالى (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعنى فيعتبرون و يستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا ۞ قوله عز وجل (والله خلقكم) يعنى أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) يعنى عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) يعنى أردأه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها من النشو والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان فى النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفى رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم انى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات ۞ وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) يعنى ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكى يصير كالصبى الذى لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيأ لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته واحيائه أنه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل أنه قادر على احيائه بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا فى المسلمين لان المسلم لا يزداد فى طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيأ وقال فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس فى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ۞ وقوله تعالى (ان الله عليم) يعنى بما صنع بأوليائه وأعدائه (قدير) يعنى على ما يريد ۞ قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) يعنى ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض فى الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض فى الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون فى ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم) يعنى من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل

(ان فى ذلك لآية) لقوم يتفكرون) فى عجيب أمرها فيعلمون ان الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أعطى أولى العقول عقولهم (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بقبض أرواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (ان الله عليم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكمل أو الى الافناء من الاحياء (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) فى الرزق يعنى الملاك (برادى) بمعطى (رزقهم على ما ملكت أيمانهم) فكان ينبغى أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم

(وهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء (أفبنعمة الله يجحدون) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة

(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد واختلف فيه فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أي بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أي الإسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا) أي الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئا أي لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه أي قليلا ومن السموات مثلا والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا أي لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا وصفة إن كان اسما لما يرزق والضمير في (ولا يستطيعون) لما لأنه في معنى الآلهة … قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضربوا لله الأمثال) فلا تجعلوا لله مثلا فإنه لا مثل له أي فلا تجعلوا له شركاء (إن الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأنتم لا تعلمون) ذلك أو إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الأول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا

منكم أحد يرضى أن يشركه عبده في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية أن الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعني في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن الموالي يردون رزقهم على مماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله سبحانه وتعالى وأنه على جميع خلقه وأن الموالي والمماليك في الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله سبحانه وتعالى ﴿ وقوله (أفبنعمة الله يجحدون) فيه إنكار على المشركين حيث يجحدون نعمة الله وعبدوا غيره ﴿ قوله عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء خلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لأنه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع إلى الطاعة ومنه قوله في الدعاء وإليك نسعى ونحفد أي نسرع إلى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم أصهاره فهو بمعنى الأول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الأختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الأعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الأولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينون الرجل على عمله قال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فإن الحفدة هم غير البنين لأن الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فهم بينهم مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والأشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) يعني بالأصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أن لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا الاستفهام إنكاري أي ليس لهم ذلك (وبنعمة الله هم يكفرون) يعني أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم إلى غيره وقيل معناه أنهم يجحدون ما أحل الله لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض) يعني الأصنام التي لا تقدر على إنزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدرون على إخراج النبات الذي في الأرض معادنه (شيئا) يعني لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق شيئا (ولا يستطيعون) يعني ولا يقدرون على شيء يذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر (فلا تضربوا لله الأمثال) يعني لا تشبهوا الله بخلقه فإنه لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لأن الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق أو الرازق بالمرزوق أو القادر بالعاجز (إن الله يعلم) يعني ما أنتم عليه من ضرب الأمثال له (وأنتم لا تعلمون) خطأ ما تضربون له من الأمثال ﴿ قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه

مثلا فقال تعالى مثلكم فى اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف و بين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه و ينفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بانه لاتجوز التسوية بينهما فى التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال و بين الاصنام التى لاتملك ولاتقدر على شئ ألبتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذى لايقدر على شئ هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذى لايقدر على شئ وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذى لايملك شيأ والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق فى وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذى ينفق سرا وجهرا فى طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فاثابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لايقدر على شئ وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لايقدر على شئ احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له فى التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لايملك شيأ (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كما لايستوى هذا الفقير البخيل والغنى السخى كذلك لايستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع وقال عطاء فى قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو أبو بكر الصديق ﷺ ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التى عبدها هؤلاء فانها لاتستحق الحمد لانها جماد عاجزة لايد لها على أحد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لالغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والثناء الحسن (بل أكثرهم) يعنى الكفار (لايعلمون) يعنى أن الحمد لله لا لهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذى ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذى لايفهم ولايفهم (لايقدر على شئ) هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أى ثقيل على من يلى أمره و يعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه أى غليظ ثقيل على مولاه (أينما يوجهه) أى حيثما يرسله و يصرفه فى طلب حاجة أو كفاية مهم (لايأت بخير) يعنى لايأت بنجح لانه أخرس عاجز لايحسن ولايفهم (هل يستوى) يعنى من هذه صفته (هو) يعنى صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعنى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) يعنى على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما فى نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه و يشملهم به من آثار رحمته وألطافه وللاصنام التى هى أموات جماد لاتضر ولاتنفع ولاتسمع ولاتنطق ولاتعقل وهى كل على عابدها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذى لايأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم فى كل مؤمن وكافر وقيل هى على الخصوص فالذى يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذى يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذى يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق فى سبيل الله تعالى فهو الذى لايأتى بخير وقيل المراد بالابكم

فهو ينفق منه سرا وجهرا) مصدران فى موضع الحال أى مثلكم فى اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف و بين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه و ينفق منه ماشاء وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله و بلايقدر على شئ ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أى وحرا رزقناه ليطابق عبدا أو موصولة (هل يستوون) جمع الضمير لارادة الجمع أى لايستوى القبيلان (الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون) بان الحمد والعبادة لله ثم زاد فى البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شئ) الابكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولايفهم (وهو كل على مولاه) أى ثقل وعيال على من يلى أمره و يعوله (أينما يوجهه لايأت بخير) حيثما يرسله و يصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفعه ولم يأت بنجح (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) أى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللاصنام التى هى أموات لاتضر ولاتنفع

(ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلمح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه

لا يعرف زمان أقل منه (أو هو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب والكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة و يبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) و بكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون و بكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة (لاتعلمون شيأ) حال أي غير عالمين شيأ من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أي وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم

الذي لا يأتي بخير أبي بن خلف و بالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والارض) أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شئ منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الا كلمح البصر) يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيأ قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله (ان الله على كل شئ قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وأنه سبحانه وتعالى مهما أراد شيأ كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شئ ۞ قوله عز وجل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ) تم الكلام هنا لان الانسان خلق في أول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني أن الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى أن صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون أمهاتكم وسوّاكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك ۞ وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم عليكم بها (ألم يروا الى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جوّ السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوّ اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمسكهن الا الله) يعني في حال قبض أجنحتها و بسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا أمسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات و يتفكرون فيها و ينتفعون بها دون غيرهم ۞ قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من ألف أو بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع

السماع في غيرها (ألم يروا) و بالتاء شامي وحمزة (الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك (في جو السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو (ما يمسكهن) في قبضهن و بسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته وفيه نفي لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن اليه و ينقطع اليه من بيت أو الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي قباب الادم و

واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما مالا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثانى ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والفساطيط المتخذه من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعنى يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعنى فى يوم سيركم ورحيلكم فى أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعنى وتخف عليكم أيضا فى اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم فى الحالتين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاثا) يعنى تتخذون أثاثا الاثاث متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال أثاث اذا كثر قال ابن عباس أثاثا يعنى مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبى الاثاث المال أجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعنى وبلاغا وهو ما يتمتعون به (الى حين) يعنى الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت أى فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعنى جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج فى سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغنى فيستصحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) يعنى وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعانى والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن وسائر ما يلبس فى الحرب من السلاح والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقى من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر ۞ وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعنى كما أنعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لا عليك (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ۞ ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال

(تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) بسكون العين كوفى وشامى وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم فى منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن أصوافها) أى أصواف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثاثا) متاع البيت (ومتاعا) وشيأ ينتفع به (الى حين) مدة من الزمان (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) كالاشجار والسقوف (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما سترك من كهف أو غار (وجعل لكم سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقى البرد أيضا الا أنه اكتفى باحد الضدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وسرابيل تقيكم بأسكم) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك البلاغ المبين) أى فلا تبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمة الله) التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو فى الشدة ثم فى الرخاء

(وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (ويوم) انتصابه باذكر (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق

والتكذيب والايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على أن لا حجة لهم ولا عذر (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون أي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم انهم يمنون أي يبتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أي العذاب بعد الدخول (ولاهم ينظرون) يمهلون قبله (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التي عبدوها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أي آلهتنا التي جعلناها شركاء (الذين كنا ندعو من دونك) أي نعبد (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أي أجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا لا تعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعني الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحملوا غيرهم على الكفر

السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام لانه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة أنكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها (وأكثرهم الكافرون) انما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان أكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على أممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم يستعتبون) الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هي الغلظة والموجدة التي يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويراضوا ربهم فالاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة (واذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولاهم ينظرون) يعني لا يؤخرون ولا يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) يعني أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة (فالقوا) يعني الاصنام (اليهم) يعني الى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعني أن الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد ان الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراها الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (الى الله يومئذ السلم) يعني انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضموا الى كفرهم

زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بالصد (ويوم
نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنابك) يا محمد
(شهيدا على هؤلاء) على أمتك (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بليغا (لكل شئ) من أمور الدين اما في الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالاجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه بقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمرنا به بقوله فاعتبروا يا أولي الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابي والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شئ (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ودلالة الى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يامر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذي حق الى حقه
(والاحسان) الى من أساء اليكم أو هما الفرض والندب لان الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وايتاء ذي القربى) واعطاء ذي القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغي) طلب التطاول بالظلم والكبر

كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلي واختلفوا في هذه الزيادة ماهي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها (من أنفسهم) يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجئنابك) يعني يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شئ) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني لما أمر به ومانهي عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شئ يعني من أمور الدين اما بالنص عليه أو بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو أيضا أصل ومفتاح العلوم الدين (وهدى) يعني من الضلالة (ورحمة) يعني لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل ۞ قوله سبحانه وتعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شئ من غير زيادة في شئ ولا علو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك وقيل يامر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء ذي القربى) يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصي البغي ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لدك الباغي وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات

(يعظكم) حال أو مستأنف (لعلكم تذكرون) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسلمت الا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض علي الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر

وقال أبو جهل ان الهه ليأمر بمكارم الاخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من البر والحنث فيجازيكم به (ولا تكونوا) في نقض الايمان (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) كالمرأة التي انحنت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم) حال كأنكاثا (دخلا) أحد مفعولي تتخذ أي ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أي مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش (هي أربى من أمة) هي أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين هي أربى مبتدأ وخبر في موضع الرفع صفة لأمة وأمة فاعل تكون وهي تامة وهي ليست بفصل والمعنى

ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو أن تنكر احسان من أحسن اليك وذكر ايتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو أن تتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ۞ ثم قال تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يعني انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما من شئ يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد علي فأعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف يمينا ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) يعني تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين لانه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعني شهيدا بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ما تفعلون) يعني من وفاء العهد ونقضه ۞ ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعني في نقض العهد (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) يعني من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وتأمر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دأبها والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفى به (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد الفتل (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعني دغلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشئ على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون) يعني لأن تكون (أمة هي أربى من أمة) يعني أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر

وقوعها بين نكرتين (انما يبلوكم الله به) الضمير للمصدر أي انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من
ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
تختلفون) اذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة
(ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدي من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم

تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهار العظمة (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) في الدنيا (بما صددتم) بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش

واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ان
ما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق)
لا ينفد (ولنجزين) و بالنون مكي وعاصم (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل
صالحا من ذكر أو أنثى) من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين جميعا (وهو مؤمن)
شرط الايمان لان أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنحيينه حياة طيبة) أي في الدنيا لقوله

والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك
وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (انما يبلوكم الله به) يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو
أعلم بكم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسيء
المخالف ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين
الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعني بخذلانه اياه عدلا منه (ويهدي من يشاء) بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك
لما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون)
يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أو يغفر له ۞ قوله عز وجل (ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم) يعني خديعة وفسادا بينكم فتغتروا بها الناس فيسكنوا الى أيمانكم ويأمنوا اليكم ثم
تنقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيدا عليهم واظهارا لعظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي
الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده وهو قوله
سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الايمان به وبشرائعه ۞ وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد
عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل
أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) يعني
بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على
ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا
بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (ان ما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء
بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ۞ ثم بين ذلك فقال
تبارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعني من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب
الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزين الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني
ثواب صبرهم (باحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ۞ وقوله سبحانه وتعالى
(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والانثى
قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى فقيل من
ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب
والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو
مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير
وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة
وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا

لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب وكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المؤمن النوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الآية (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة ۞ قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه السحر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود الموتة الجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا فأما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فتأهب وأيضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان وكأن ذلك أوهم ان له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فأزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (٤) ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله

(ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب اذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعني ابليس (الرجيم) المطرود أو الملعون قال ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام (انه ليس له) لابليس (سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه

(٤) قوله ويظهر من هذا اسم الاشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من الفخر فانه لم يذكر في هذا المحل قول ولهذا سفيان وذكر ما قبله وما بعده وعبارته صحيحة بخلاف ما هنا فانه يوهم رجوع اسم الاشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر اه مصححه

(انما سلطانه على الذين يتولونه) يتخذونه وليا و يتبعون وساوسه (والذين هم به مشركون) الضمير يعود الى ربهم أو الى الشيطان أى بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع (١٤٣) بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتر) هو جواب اذا وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر و ينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق (بل أكثرهم لا يعلمون) الحكمة فى ذلك (قل نزله روح القدس) أى جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجود والمقدس المطهر من المآثم (من ربك) من عنده وأمره (بالحق) حال أى نزله ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدى و بشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا وارشادا و بشارة (للمسلمين) وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمى أو عبدان جبر و يسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسى (لسان الذى يلحدون اليه) و بفتح الياء والحاء حمزة وعلى (أعجمى)

ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه) يعنى يطيعونه و يدخلون فى ولايته يقال توليته اذا أطعته وتوليت عنه اذا أعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعنى بالله وقيل الضمير فى به راجع الى الشيطان والمعنى هم من أجله مشركون بالله ۞ قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) وذلك ان المشركين من أهل مكة قالوا ان محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر و ينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوّله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل فى الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ و بما هو أصلح لخلقه و بما يغير و يبدل من أحكامه أى هو أعلم بجميع ذلك بما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما أنت مفتر) أى تختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه و يأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى لا يعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ (قل) أى قل لهم يا محمد (نزله) يعنى القرآن (روح القدس) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعنى ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا و يقينا (وهدى و بشرى) يعنى وهو هدى و بشرى (للمسلمين) ۞ قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمى مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا فى ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم فينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمى اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه و يخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبنى المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومى نصرانى عبد لبعض بنى الحضرمى يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله ابن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار و يكنى أبا فكيهة و يقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فربما مر بهما النبى صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف و يستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانيا وقد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه و يزعم أنه وحى من الله عز وجل وهو كاذب فى ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذى يلحدون اليه) يعنى يميلون و يشيرون اليه (أعجمى) يعنى هو أعجمى والاعجمى هو الذى لا يفصح فى كلامه وان كان

وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال لطعنهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلحدون اليه أعجمي لا محل لها

يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي أوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل اليه وروي ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني لا يصدقون انها من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني انما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش انما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تبارك وتعالى انما يفتري الكذب فما معنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من أفحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ۞ قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية أم عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا في الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن هاجروا الينا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا في أول الاسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى أن يقال ان الآية عامة في كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر

لا بها مستأنفة جواب لقولهم والسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي القرآن (لا يهديهم الله) ما داموا مختارين الكفر (ولهم عذاب أليم) في الآخرة على كفرهم (انما يفتري الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما أنت مفتر (وأولئك) اشارة الى الذين لا يؤمنون أي وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر جوزوا أن يكون (من كفر بالله من بعد ايمانه) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به

فما

(لكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه استثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم افتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وأن يكون بدلا من المبتدا الذى هو أولئك أى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من

فما معنى هذا الاستثناء فى الا من أكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما شابه ما يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

﴿فصل فى حكم الآية﴾ قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذى يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب و بلال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أدراع الحديد وأجلسوا فى حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد أوقدوا لى نارا ما أطفأها الا ودك ظهرى وأجمعوا على ان من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريح بل يأتى بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لا اكراه فى الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفى ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفى آثاره والمعنى انه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) يعنى يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) يعنى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) تقدم تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعنى عما يراد بهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) يعنى أن الانسان انما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر ۞ قوله عز وجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا

كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما أول قتيلين فى الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل أبو عمار أفضل لان فى الصبر على القتل اعزازا للاسلام (ذلك) اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (بانهم استحبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أى بسبب ايثارهم الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين)

ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (للذين هاجروا) من مكة أى انه لهم لا عليهم يعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا شامى أى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة

وصبروا) عن الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعني من بعد الفتنة التي فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاعة وقيل كان أخاه لامه وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم من بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات في السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك ۞ قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعني تخاصم وتحتج عن نفسها أي بما أسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضا والمعنى يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير أو شر (وهم لا يظلمون) يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيأ بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وأنت لا يهمك الا نفسك وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يارب أنت خلقتني كالخشبة ليست لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لساني وبه أبصرت عيناي وبه مشت رجلاي فضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعد دخلا حائطا يعني بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب ۞ قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول في شئ يشبه قولا في شئ آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازي المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أو لم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها المثل يحتمل أن تكون شيأ مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على أنها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي ضرب المثل بيان المشبه والمشبه به وههنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب

(وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يعذبهم على ماقالوه في حالة الاكراه (يوم تأتي) منصوب برحيم أو باذكر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفى كل نفس ما عملت) تعطى جزاء عملها وافيا (وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها

الله مثلا لقريتكم أى بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز أن تكون القرية بدلا من مثلا لانها هى الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون انه أراد مكة فى تمثيلها بقرية صفتها ماذكر وقال ابن الجوزى فى هذه القرية قولان أحدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثانى انها قرية وسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة فى قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة فى أهل مكة فضرب بها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ماقلت أن الخوف المذكور فى هذه الآية فى قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعثها فى قول جميع المفسرين لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة (كانت آمنة) يعنى ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة) يعنى قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا) يعنى واسعا (من كل مكان) يعنى يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهله من الثمرات (فكفرت) يعنى هذه القرية والمراد أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التى أنعم الله بها على أهل مكة فلما قابلوا نعم الله التى أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وقالوا ما هذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعنى خوف بعوث النبى صلى الله عليه وسلم وسراياه التى كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه مايدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر البشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعانى والبيان ما يشهد لصحة ماقال وقال الامام فخر الدين الرازى جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التى حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع والثانى ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كانه أحاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس والحاصل أنه حصل لهم فى ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثانى ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار

(كانت آمنة) من القتل والسبى (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أوجمع نعم كبؤس أبؤس (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جار بعندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر البشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) أى فى حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله (١٤٨) عليه وسلم وجه الى أهل مكة فى سنى القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجو

فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها ✽ وسيق الينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا فى ايذائه وأرادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فاخذهم العذاب) يعنى الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم فى الآية (وهم ظالمون) يعنى كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) فى المخاطبين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثانى انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبى لما اشتد الجوع باهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم (حلالا طيبا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعنى التى أنعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها فى سورة البقرة فلم نعده هنا ۞ وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) يعنى ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعنى البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعنى قولهم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعنى لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعنى لاينجحون

(فكلوا مما رزقكم الله) على يدى محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طيبا) بدلا عما كنتم تأكلون حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر أى المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها وباقى الآية قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) وهو منصوب بلا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحى أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها فى قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف ألسنتكم الكذب أى ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام فى (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) (١٤٩) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لاعصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم (رحيم) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا وكان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير (قانتا لله) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان معاذا كان أمة قانتا لله فقيل له انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه و بين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفا) مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة أبيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين (شاكرا لانعمه) روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم (اجتباه) اختصه

لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني ما سبق ذكره و بيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعني بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ۞ وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما جهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو جهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوأ بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه و يرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعني أصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعني لمن تاب وآمن (رحيم) يعني بجميع المؤمنين والتائبين قوله سبحانه وتعالى (ان ابراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري أنه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه و يرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمى ابراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة في عبادة الله (قانتا لله) يعني مطيعا لله وقيل هو القائم باوامر الله (حنيفا) مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختتن وضحى وأقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكرا لانعمه) يعني انه كان شاكرا لله على أنعمه التي أنعم بها عليه (اجتباه) أي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته

(وهداه الى صراط مستقيم) يعني هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه في الدنيا حسنة) يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله حببه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه أولاد أبرارا على الكبر (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الآخرة لمع الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم) يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره ۞ وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيأ من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم فأبوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو الا أنهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياضا وقد جاء ان موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا انما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى

واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) نبوة وأموالا وأولادا أوتنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايذان بان أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه

ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين فى السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق فى ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين فى يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك العمل فى هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء فى يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيأ وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد فى شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفى معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير فى زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة فى تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيأ وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة ۞ وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى فى أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب ۞ قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم (وجادلهم بالتى هى أحسن) يعنى بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم أصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتى هى أحسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين فى الدعوة وجادلهم بالتى هى أحسن أى أعرض عن أذاهم ولا تقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعنى انما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى

وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من فق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة فى الدين (ان ربك هو أعلم بمن ل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل

كل عامل بعمله ﴿قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الآية بالمدينة في شأن شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انها لو أكلتها لم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيأ من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن أظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فأنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لاقريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا أربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثلة ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بان الترك أولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العافين

﴿فصل﴾ اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم ﴿قوله عز وجل (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى

(وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) سمى الفعل الاول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبي عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال أما والذي أحلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) الضمير في لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم)

رحمة الله ورضوانه (ولا تك في ضيق مما يمكرون) يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال أبو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولا تك في أمر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي (والذين هم محسنون) يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني ان أردت أيها الانسان ان أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الاسراء﴾

﴿فصل في نزولها﴾ قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدني فروى عن ابن عباس انه قال هي مكية الا ثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل رب أدخلني مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذي أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بعبده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تنكير الليل على البعضية (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى

على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولا تك في ضيق مما يمكرون) ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فانه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي هو ولي الذين اجتنبوا السيآت وولي العاملين بالطاعات قيل من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله ومعينه نصرته في المأمور وعصمته في المحظور

(سورة بني اسرائيل مكية) وهي مائة وعشر آيات بصري واحدى عشرة آية كوفي وشامي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذي أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف وقيده بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل للتأكيد أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام)

قيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج بي الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا

الله عليه وسلم قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (الى المسجد الاقصى) يعني الى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام أولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده الى السماء أولا لاشتد انكارهم لذلك فلما أخبر انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالتوطئة لمعراجه الى السماء ۞ وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام فان قلت لفظة من في قوله من آياتنا تقتضي التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فما وجهه قلت ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضا ولآيات الله أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم (انه هو السميع) لاقواله ودعائه (البصير) لافعاله الحافظ له في ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازي كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

﴿فصل﴾ في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود أهو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل

عن غيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحي وهو محفوظ بالانهار الجارية والاشجار المثمرة (لنريه) أي محمدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من الآيات (انه هو السميع) للاقوال (البصير) بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة

مرحبابه فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبابه فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبابه فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبابه فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية أخرى وأجزي بالحسنة عشرا وفي رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة وفيه فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبوذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف

منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم فى السماء الدنيا وابراهيم فى السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرنى ابن حزم ان ابن عباس وأباحبة الانصارى كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتى خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لى موسى فراجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربى فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربى فقال هى خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربى قال ثم انطلق بى جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ماهى قال ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبى نمر أنه سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعنى عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معى محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به فى الارض حتى يعلمهم فوجد فى السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلا بابنى نعم الابن أنت فاذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ماهذان النهران ياجبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به فى السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ماقالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وآخر فى الخامسة ولم أحفظ اسمه وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة لتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن يرفع على أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يامحمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك عنهم فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف

بنا فان أمتى لاتستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يامحمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فامتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان أمتى ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار يامحمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك فى أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بنى اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياموسى قد والله استحييت من ربى مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخارى وادرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه فى حديث ثابت البنانى المسند فذكر من أول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس فى حديث ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورده على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لايطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف على أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عنى خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع

الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه هذه رواية مسلم وأخرجه الترمذى مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هكذا ما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وأخرجه النسائى مختصرا والمعنى واحد وفى آخره قال فرجعت الى ربى فسألته التخفيف فقال انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها أمر الله جرى بقول حتم فلم أرجع

﴿فصل﴾ قال البغوى قال بعض أهل الحديث ماوجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيأ لايحتمل مخرجا الاحديث شريك بن أبى نمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحى واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحى بنحو من اثنتى عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذى تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوى وهذا الاعتراض عندى لايصح لان هذا كان رؤيا فى النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى وقبل الهجرة بسنة تحقيقا للرؤيا التى رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى فى كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك فى هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فقدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ماقيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربى كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهرى كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيى الدين وأشبه الاقوال قول الزهرى وابن اسحق وأماقوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولاحجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس فى الحديث مايدل على كونه نائما فى القصة كلها هذا كلام القاضى عياض وهذا الذى قاله فى رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخارى فى رواية شريك هذه عن أنس فى كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والاحاديث التى تقدمت قبل هذا هى المعول عليها

﴿فصل﴾ فى شرح بعض ألفاظ حديث المعراج ومايتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت فى رجب ويقال فى رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر فى الفصل الذى قبل هذا واختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجسده صلى الله عليه

وسلم

وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التى تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وأنه مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ماعليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أولشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلالئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لايقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لى اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بى حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وأن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لايخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بى الى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين أو أكثر قوله فرجعت الى ربى قال الشيخ محيى الدين النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية ومايتعلق بها فانه سيأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمتى خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما أثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسا الى آخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر والثواب لان الحسنة بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشئ قبل فعله وفى أول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضا فى صغره وهو عند حليمة التى كانت ترضعه فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها فى صدرى فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل فى الطست شئ يحصل به كمال

الايمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايمانا وحكمة لكونه سببالهما وهذامن أحسن المجاز وقوله فى صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره فى الحديث بانه نسم بنيه يعنى أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بان أرواح المؤمنين فى السماء وأرواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون فى السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو فى السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله فى ادريس مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادريس هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبى صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغى أن يقول بالنبى الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضى عياض قال الشيخ محيى الدين ليس فى الحديث ما يمنع كون ادريس أبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتادبا وهو أخ وان كان أبا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

(فصل) فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوى روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طوى قال ياجبريل ان قومى لايصدقونى قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بى الى السماء أصبحت بمكة فضقت بامرى وعرفت أن الناس يكذبونى فروى انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم يرأبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتنى به قال نعم قال أبو جهل يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى قال نعم أسرى بى الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق و بين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبى بكر فقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة قبل أن يصبح قال نعم انى أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان فى القوم من أتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس على قال فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهى أهم الينا هل لقيت منها شيأ قال نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى مر فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها فقال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له

بعدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي أنظر اليه ما يسألوني عن شئ الا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام (ق) عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش قمت الى الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه زاد البخاري في رواية له لما كذبني قريش حين أسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلي في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق أخرجه الترمذي فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعترفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق

۞ قوله سبحانه وتعالى (وآتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني اسرائيل أن لاتتخذوا) يعني وقلنا لهم لاتتخذوا (من دوني وكيلا) يعني ربا كفيلا (ذرية) يعني يا ذرية (من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك ۞ قوله عز وجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى (لتفسدن في الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا

أبو عمرو أي لئلا يتخذوا (من دوني وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لاتتخذوا بالتاء على النهي أي قلنا لهم لاتتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوا أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الابناء كذلك (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الارض لامحالة والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن في الارض (مرتين) أولاهما قتل زكرياء عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والآخرى قتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن

عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذا جاء وعد أولاهما) أي وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم) سلطنا عليكم (عبادا لنا أولي بأس شديد) أشداء في القتال يعني سنجاريب وجنوده أو بختنصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح أنها على بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت أو سيئة يعني ان الاحسان والاساءة تختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوؤا) أي هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أي ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامي وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث لنسوء علي (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

(فاذا جاء وعد أولاهما) يعني أولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعياء في الشجرة وارتكابهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلي وهو الاصح (أولي بأس شديد) يعني ذوي بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائنا لازما لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعني أكثر عددا (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم) يعني لها ثوابها وجزاء احسانها (وان أسأتم فلها) يعني فعليها اساءتها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم) يعني ليحزنوكم وقرئ بالنون أي لنسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تتبيرا) يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلاكا

﴿ذكر القصة في هذه الآية﴾

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشري أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك يعني صديقة بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعياء النبي اليه وقال يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعياء لم يأتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله الى شعياء النبي أن ائت ملك بني اسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعياء ملك بني اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الي أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فاتاه شعياء فاخبره

فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفى فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له انى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب فى مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب قد أتانى خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التى يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى ولو سمعت أوعقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كم بما شاء وان ربنا لم يمتعك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير حرسه أن يقذف فى رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يرزقهم فى كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فأمر بهم فى السجن فاوحى الله الى شعياء النبى أن قل لملك بنى اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعياء الملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته ياملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم وأوحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفا لبنى اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم فى قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحى فقال ياسماء استمعى ويا أرض انصتى فان الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وانى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون فى أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان

والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما رأى ذا وهمة حفيظا قويا أمينا فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقالوا بئست الارض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار دينى والقصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لى المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة الى تشييد البيوت لست أسكنها وأى حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لاذكر وأسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما أستجيب للداعى اللين وانما أستمع قول المستضعف المستكين وان من علامة رضائى رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالاتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبته وحتمته على نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه أو أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها أمضيت فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤن فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التى ادبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل النبوة فى الاجراء وان أجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون وانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لى وايمانا بى واخلاصا لى يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف يطهرون لى الوجوه

والاطراف

والاطراف و يعقدون لى الثياب على الاتصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأناذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص و بعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق أنه الخضر واسمه ارمياء سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده و يرشده ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارمياء ان ائت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمى وعرفهم باحداثهم فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى قال الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتى وان القلوب والألسنة بيدى أقلبها كيف شئت انى معك ولن يصل اليك شئ معى فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء انى مهلك بنى اسرائيل بيافث و يافث من أهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشأم وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من فى بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق ثلثا أقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بانات بيت المقدس و بالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزل الله عز وجل ببنى اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام فى سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيئا أصابه فانساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال ما أذكرها ولئن لم تخبرونى بها و بتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس و بطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان ألين ملكا و بعضهم كان أحسن ملكا و بعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع و يصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا القد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل فلما قربوهم

للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم فقتلوا
الا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر
انبعث فقال لمن فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى خربت والناس الذين قتلت منكم وما هذا
البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان
ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم
فاستكبر وتجبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرائيل قال فاخبرونى كيف لى ان أطلع الى السماء العليا
فأقتل من فيها وأتخذها لى ملكا فانى قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلائق قال
لتفعلن أو لاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة
فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات
شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل
فى يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى
أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة
قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن
الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين
أظهرنا الذى لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر
ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده
فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة فى صدره
فرجع الى بنى اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حبا لم يحبوا حبه شيئا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو
اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون
حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا
مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم
ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشأم فلما ظهر عليهم أمر رأسا
من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهى لئن أنا ظفرت على
أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم فى وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتى
يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد
فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا
قربناه فلم يتقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتمونى
فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منا فذبح
بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعمائة غلام من
غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فامر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما
رأى بيورزاذان ان الدم لا يهدأ قال لهم يا بنى اسرائيل ويلكم اصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طالما
ملكتم فى الارض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة
القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبى كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا
أرشدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه فقالوا يحيى بن
زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن

حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقي من قومك أحدا الا قتلته فهدأ الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت أنه لارب غيره وقال لبني اسرائيل ان خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لا أستطيع أن أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمرهم بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من المواشي فلم يظن خردوش الا أن مافي الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله ببني اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشأم ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بني اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة الى ان بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومي فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فليسوا في أمة الا وعليهم الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني اسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه وان الملك هوي بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزوجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها ماسألت سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به في طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال فما تسأليني قالت رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لايحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقي الدم يغلي فلا زال يغلي ويلقى عليه التراب وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه ۞ قوله عز وجل (عسى ربكم أن يرحمكم) يعني يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) أي الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي سجنا ومحبسا من الحصر الذي هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش ۞ قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي الى الطريقة التي هي أصوب وقيل الى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يعني النار في الآخرة (ويدع الانسان) أي على نفسه وولده وماله (بالشر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) أي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه هلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الانسان عجولا) أي بالدعاء على ما يكره

(عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما سلط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها وهي توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) أي الجنة (وأن الذين) وبأن الذين (لايؤمنون بالآخرة أعتدنا) أي أعددنا قلبت تاء (لهم عذابا أليما) يعني النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وان قل بالضرر الآجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب مايقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر أو أريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لامحالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في الخط على موافقة اللفظ

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية

الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف في معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعني حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وكل شيء) مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله (في عنقه) يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا يفك عنه (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه) هو صفة لكتابا يلقاه شامي (منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوى ليمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك وكل يبعث قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة أي كفى نفسك (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما أهمه وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذ الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكأنه قيل كفى نفسك رجلا حسيبا أو تؤول النفس بالشخص عدله

أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجر لا صبر له على سراء ولا ضراء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو أنه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين أما في الدين ولان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلان مصالح العباد لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكي ان الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو أثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم (ولتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء تفتقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه لما ذكر أحوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴿ قوله عز وجل (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني ألزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة والحلي في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه (ونخرج له) يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه في عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي محاسبا قال الحسن لقد

من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال فى الدنيا الا بعد أن نرسل اليهم رسولا يلزمهم الحجة (واذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبى عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى

أو أمرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب أمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النسل (فحق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) فاهلكناها اهلاكا (وكم) مفعول (أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعنى عادا وثمود وغيرهما (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وان أخفوها فى الصدور (بصيرا) وان أرخوا عليها الستور (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء) لا ما يشاء (لمن نريد) بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من أى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقى فقد اختار غنى الآخرة فان أوتى حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) فى الآخرة (يصلاها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد

عدل عليك (١) من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ۞ قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعنى ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره ۞ وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل ۞ قوله سبحانه وتعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) فى معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى اذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى أمرهم بالاعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثانى أمرنا مترفيها أى كثرنا فساقها يقال أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة أى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى أبطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) أى خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (فحق عليها القول) أى وجب عليها العقاب (فدمرناها تدميرا) أى أهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها قالت زينب قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فى هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث أى الشر ۞ قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون) أى المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبد الله بن أبى أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن ويزيد بن معاوية فى آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله ابن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يعنى انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لا يخفى عليه شئ من أحوال الخلق ۞ قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أى الدار العاجلة يعنى الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء) أى من البسط أو التقتير (لمن نريد) أن نفعل به ذلك أو اهلاكه وقيل فى معنى الآية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أى القدر الذى نشاء نعجله له فى الدنيا لا الذى يشاء هو ولمن نريد أن نعجل له شيأ قدرناه له وهذا ذم لمن أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من أرادها لا يدرك منها الا ما قدر له (ثم جعلنا له) أى فى الآخرة (جهنم يصلاها) أى يدخلها (مذموما مدحورا) أى مطرودا مبعدا ۞ قوله سبحانه وتعالى (ومن أراد

(١) قوله عدل عليك هكذا فى الاصل الطبع وفى بعض النسخ اليك بدل عليك وفى الخطيب عدل والله فى حقك من الخ وفى الكشاف يا ابن آدم أنصفك والله من الخ اه مصحح

الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أو حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعيده (فاولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فانه شرط فيه ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كلف والايمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (نمد هؤلاء) بدل من كلا أي نمد هؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى أي نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (أنظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في المال والجاه والسعة والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

الآخرة وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا) أي مقبولا قيل في الآية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها همه و يتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ❁ قوله عز وجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) أي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعني يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما في المآل (وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في الدنيا اذ لاحظ للكافر في الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الرزق والعمل يعني طالب العاجل وطالب الآخرة (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته في طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة ❁ قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا أولى (فتقعد مذموما) أي من غير حمد (مخذولا) أي بغير ناصر ❁ قوله سبحانه (وقضى ربك) أي وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب ان التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين (ألا تعبدوا الا اياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا أي برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر ❁ واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة أشياء ❁ الاول قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) وهي

روي ان قوما من الاشراف فمن دونهم احتجوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل ابن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته (فتقعد مذموما مخذولا) فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا الا اياه)

كلامة

أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بان تحسنوا بالوالدين احسانا (اما يبلغن عندك الكبر) اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه (أحدهما) فاعل يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلي يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير أي أتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضجر المعلوم

(ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب أو هو أن يقول يا أبتاه يا أماه ولا يدعوهما بأسمائهما فانه من الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها

كلمة تضجر وكراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيله تقول أف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم ۞ والثاني قوله (ولا تنهرهما) أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التأفيف أبلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما ۞ الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما) أي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا أماه يا أبتاه وقيل لا يكنيهما وقيل هو ان يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شئ أحباه (من الرحمة) أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما ۞ الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

(فصل) في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى ۞ قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) أي أبرارا مطيعين

قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدى الى أذاهما ثم أنبتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير فى هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما يحزنه و ينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ماروى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال أخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة حراقة أخفافها والفصال جمع فصيل وهى أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين ۞ قوله سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتى أقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبى حنيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تبذر تبذيرا) أى لا تنفق مالك فى المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا فى باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وقيل هو انفاق المال فى العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى أولياءهم وأصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل أمثالهم فى الشر وهذا غاية المذمة لانه لا أشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى جحود النعمة فما ينبغى أن يطاع لانه يدعو الى مثل عمله ۞ قوله عز وجل (واما تعرضن عنهم) نزلت فى مهجع و بلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم و يمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أى لينا جميلا أى عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله واياكم من فضله ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أتى صبى فقال يارسول الله ان أمى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى أمه فقالت قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فأذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية

(فانه كان للاوابين غفورا) الاواب الذى اذا أذنب بادر الى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها و يندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى) منك (حقه) أى النفقة اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال فى غير الحق والمحل فعن مجاهد لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لانه لا أشر من الشيطان أو هم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغى أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (واما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أى وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر فى موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

ولاتبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا وحرمنى و يقول الغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على مافعلت (محسورا) منقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا أثر فيه أثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية فى أنه يعنى محمدا عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذى عليه فدفعه وقعد عريانا فاقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أى بالعطاء (كل البسط) أى فتعطى جميع ماعندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) أى عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك وأصحابك أيضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم (محسورا) أى منقطعا لاشئ عندك تنفقه وقيل محسورا أى نادما على مافرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) أى يوسع (الرزق لمن يشاء و يقدر) أى يقتر و يضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده ومايصلحهم فالتفاوت فى أرزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد ﴿ قوله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أى فاقة وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغير أكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعنى ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أى اثما كبيرا (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة) أى قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) أى بئس طريقا طريقه وهو أن تغصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم احد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الاصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الاسباب العرضية فقال الا بالحق أى الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه فى الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو أنه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا (فلا يسرف فى القتل) أى الولى قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه أنه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول

ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (و يقدر) أى هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم فيمضيها (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها (ولا تقتلوا أولادكم) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثما عظيما يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكى (ولا تقربوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهى عن دواعى الزنا كاللمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) و بئس طريقا طريقه (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بارتكاب مايبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب مايبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه (فلا يسرف فى القتل) الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف حمزة وعلى على خطاب الولى أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولى أى حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك أو للمظلوم أى الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله و ينصره

فى الآخرة بالثواب أو الذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه كان منصورا بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ا
القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لان أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة فى الآية لكونها محرمة (ولا تقربوا مال اليتيم الا بال
هى أحسن) بالخصلة والطريقة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) أى ثمانى عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) باوامر الله تعا
ونواهيه (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفى به أو ان صاحب العهد كان مسؤلا (وأوفوا الكيل اذا ك
وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغيرا أو كبيرا من موازين الدراهم وغيرها وق

هو القرسطون أى القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) فى الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم أى لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما فى الشهادات ولذى العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) أولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان أولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ✿ والعيش بعد أولئك الايام

وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فى
فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر
اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا فى الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخرا عن الفع
فاما اذا تقدما فلا (ولا تمش فى الارض مرحا) هو حال أى ذا مرح (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئت
(ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أو لن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول

علما يعنى أنه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل
الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل فى قو
ولا يسرف فى القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل منصور من قب
عليه باستيفاء القصاص منه ❁ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) أى بالطريقة
التى هى أحسن وهى تنميته وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عق
ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والا لم ينفك عنه الحجر (وأوفوا بالعهد) أى بالاتيان بما أمر الله
والانتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤلا) أى عنه وقيل
مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيم قتلت ❁ قوله عز وجل (وأوفوا الكيل اذا
كلتم) المراد منه تمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان
الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سريانى والاصح أنه عربى مأخوذ من
القسط وهو العدل أى وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل
والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس
محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ فى المنع من التطفيف والنقصان سعيا فى ابقاء
الاموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمر
❁ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) أى ولا تتبع (ما ليس لك به علم) أى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت و
تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو
مأخوذ من القفا كأنه يقفو الامور ويتتبعها ويتعرفها والمراد أنه لا يتكلم فى أحد بالظن (ان السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل
السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة فى أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول
ترجع الى أربابها عن شكل بن حميد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله علمنى تعويذا
أتعوذ به قال فأخذ بيدى ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى
وشر قلبى وشر منيى قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب قو
وشر منيى يعنى ماءه ذكره ❁ قوله عز وجل (ولا تمش فى الارض مرحا) أى بطرا وكبرا وخيلاء (انك
لن تخرق الارض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لا تقدر أن تطاول
الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الارض ومطاولة
الجبال لا يحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل
له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك عن
على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب أخرجه الترمذى

(كل ذلك كان سيئه) كوفي وشامي على اضافة سيء الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ألا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة أي ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه (١٧٥) الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذفيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار يعني أخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يؤثرون باجود الاشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهي من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون (ولقد صرفنا في هذا القرآن) أي التنزيل والمراد ولقد صرفناه أي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم (ليذكروا) و بالتخفيف حمزة وعلي أي كررناه ليتعظوا (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وكان الثوري اذا قرأها يقول زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معه) مع الله (آلهة كما تقولون) و بالياء مكي وحفص

في الشمائل قوله تكفؤا التكفؤ التمايل في المشي الى قدام وقوله كأنما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ أي كأنه ينحدر من موضع عال عن أبي هريرة قال ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذي قوله غير مكترث أي شاق والاكتراث الامر الذي يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) أي ما ذكر من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة أي كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أي ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب ان يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم انه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه أن يذكر له ان الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أفأصفاكم ربكم) يعني أخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة (بالبنين) يعني اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بان الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة الاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا التكثير والتكرير (ليذكروا) أي ليتعظوا و يعتبروا (وما يزيدهم) أي تصريفنا وتذكيرنا (الا نفورا) أي تباعدا عن الحق (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما تقولون

(اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) يعنى لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء حمزة وعلى (١٧٦) (علوا) أى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به (يسبح) وبالتاء عراقى غير أبى بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) أى يقول سبحان الله وبحمده عن السدى قال عليه السلام ما اصطيد حوت فى البحر ولا طائر يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاختلاف اللغات أو لتعسر الادراك أو سبب لتسبيح الناظر اليه والدال على الخير كفاعله والوجه الاول (انه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) لذنوب المؤمنين (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ذا ستر أو حجابا لا يرى فهو مستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذى يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (ولوا على أدبارهم) رجعوا على أعقابهم (نفورا) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون القرآن بها فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازئين لا جادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين

اذا لابتغوا) أى لطلبوا يعنى الآلهة (الى ذى العرش سبيلا) أى بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه ليتقربوا اليه وقيل معناه ليعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والاول أصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك المبالغة فى البراءة والبعد عما يصفونه به ۞ قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) يعنى الملائكة والانس والجن (وان من شئ الا يسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شئ حى الا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح ما دام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقيل وان من شئ جماد أو حى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله حيوانا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم فى الاناء ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخارى (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على ليالى بعثت وانى لاعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه وفى رواية فنزل فاحتضنه وساره بشئ ففى هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض أهل المعانى تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول أصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما فى الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغى ان نكل علمه اليه ۞ وقوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أى لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم (انه كان حليما غفورا) أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح ۞ قوله عز وجل (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أى يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت امرأة أبى لهب ومعها حجر والنبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فلم تره فقالت لابى بكر أين صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهى تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بينى وبينها (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية (أن يفقهوه) أى لئلا يفهموه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا لئلا يسمعوه (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يعنى اذا قلت لا اله الا الله وأنت تتلو القرآن (ولوا على أدبارهم نفورا) جمع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أى من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذى

(اذيستمعون اليك) نصب باعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذهم نجوى) وبما يتناجون به اذهم ذوونجوى (اذيقول الظالمون) بدل من اذهم (ان تتبعون الارجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) أي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري مايصنع (وقالوا) أي منكروالبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي مجددا وخلقا حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أوحديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم (الذي فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه التي يبني عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لوكنتم أبعد شئ من الحياة وهوان تكونوا حجارة أوحديدا لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) أي البعث استبعادا له ونفيا (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أي تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم الاقليلا) أي لبثا قليلا أو زمانا قليلا في الدنيا أو في القبر (وقل لعبادي) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) وألين ولا يخاشنوهم وهي ان يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أوفسر التي هي أحسن بقوله.

يستمعون به وهو التكذيب (اذيستمعون اليك) أي وأنت تقرأ القرآن (واذهم نجوى) أي وبما يتناجون به في أمرك وقيل معناه ذوونجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر أو شاعر (اذيقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الارجلا مسحورا) أي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أي نغذى بهما (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) أي في جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما) أي بعد الموت (ورفاتا) أي ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أي في الشدة (أوحديدا) أي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة أوحديد في القوة (أوخلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لاشئ في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لوكنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) أي من يبعثنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسينغضون اليك رؤسهم) أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعوكم) أي من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) أي في الدنيا وقيل في القبور (الاقليلا) وذلك لان الانسان لومكث في الدنيا وفي القبر الوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي أحسن أي لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقي العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة ۞ قوله عز وجل

(ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ يعذبكم) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض (وما أرسلناك عليهم وكيلا) حافظا لاعمالهم وموكولا اليك أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وربك أعلم

(ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) أى يوفقكم للايمان فتؤمنوا (أو ان يشأ يعذبكم) أى يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة أو ان يشأ يعذبكم أى يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أى حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) يعنى ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم ومللهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام فان قلت لم خص داود فى هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره الملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور فى هذه الآية المراد به العلم لا الملك والمال الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى كتب له فى الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان أمته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت أن لا نبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لن تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد أن يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ❁ قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) أى الجوع والقحط (ولا تحويلا) أى الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أى الذين يدعونهم المشركون آلهة (يبتغون الى ربهم الوسيلة) أى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب يبتغى الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (ويرجون رحمته) أى جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أى حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق ❁ قوله سبحانه وتعالى

بمن فى السموات والارض) وباحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (ولا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون الى ربهم الوسيلة) (وان يعنى ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان

(وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والخراب (أو معذبوها عذابا شديدا) أي بالقتل وأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين الاماتة وفي حق الكفار العذاب قال عبدالله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وماهو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذي * قوله سبحانه وتعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وأن ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان أستأني بهم فعلت وان شئت ان أوتيهم ماسألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأني بهم فانزل الله عز وجل ومامنعنا أن نرسل بالآيات أي التي سألها كفار قومك الا أن كذب بها الاولون أي فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من سنتنا في الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بينة وذلك لان آثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلموا بها) أي جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة (ومانرسل بالآيات) المقترحة (الاتخويفا) أي ومانرسل بالآيات الاتخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه ومانرسل بالآيات يعني العبر والدلالات الاتخويفا أي انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون * قوله عز وجل (واذقلنالك) أي واذكر يامحمد اذقلنالك (ان ربك أحاط بالناس) أي ان قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لايقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لايقدرون على أمر من الامور الابقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلاتهبهم وامض لما أمرك

عذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهي أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون الحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية واذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها ولاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تنخلع القلوب وتموت الابدان (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) استعير المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها في موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير ومامنعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامم أن من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى ومامنعنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا ان نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال (وآتينا ثمود الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها (ومانرسل بالآيات) ان أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها (الاتخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى ومانرسل مانرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الاتخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذقلنالك ان ربك أحاط بالناس

وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم فى قبضته فلا تبال بهم وامض لامرك وبلغ ما أرسلت به وانشرناك نوقعة بدر بالنصرة عليهم. وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سنته فى اخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء (والشجرة الملعونة فى القرآن) أى وماجعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن الافتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وماقدروا الله حق

قدره اذ قالوا ذلك فانه لايمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لاتأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لاتعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرها وخالق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز أن يخلق فى النار شجرة لاتحرقها والمعنى ان الآيات انما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (ونخوفهم) أى بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف

من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك (وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس) الاكثرون من المفسرين على أن المراد منها ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهى ليلة أسرى به الى بيت المقدس أخرجه البخارى وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعينى رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين فى اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعد ما أخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة فى العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام ان ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بانه لااشكال فيه فانه لايبعد ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم التى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان أبا جهل قال ان ابن أبى كبشة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال أبو جهل ياجارية تعالى فزقينا فأتت بزبد وتمر فقال ياقوم تزقموا فان هذا مايخوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا أن يكون فى النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لاذنب لها حتى تلعن وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل جهنم فى أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس فى رواية عنه ان الشجرة الملعونة هى الكشوث الذى يلتوى على الشجر والشوك فيجففه (ونخوفهم فما يزيدهم) أى التخويف (الاطغيانا كبيرا) أى تمردا وعتوا

(الاطغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال مايقترحون من الآيات وقيل عظيما

الرؤيا هى الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء باساميها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركائى أوهى رؤيا رآها انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلوها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤن منها البطون فوصفت بلعن أهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة

(واذقلناللملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) هو تمييز أوحال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجدله وهو طين أى أصله طين (قال أرأيتك هذا الذى) الكاف لاموضع لها لانها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى (كرمت علىّ) أى فضلته لم كرمته على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصار الدلالة ماتقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) و بلاياء كوفى وشامى واللام

موطئة للقسم المحذوف (الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته) لاستأصلنهم باغوائهم (الاقليلا) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أولانه رأى انه خلق شهوانى (قال اذهب) ليس من الذهاب الذى هو ضد المجىء وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ماجره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب (جزاء موفورا) أى موفرا باضمار تجازون (واستفزز) استزل أو استخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وأجلب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا لان أقصى مايستطاع فى طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز أن يكون لابليس خيل ورجال (وشاركهم فى الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) هو

عظيما ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) اى من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقى (قال) يعنى ابليس (أرأيتك) الكاف للخاطب والمعنى أخبرنى (هذا الذى كرمت علىّ) أى فضلته على (لئن أخرتنى) أى أمهلتنى (الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته) أى لاستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (الاقليلا) يعنى المعصومين الذين استثناهم الله تعالى فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذى هو ضد المجىء (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) أى مكملا قوله سبحانه وتعالى (واستفزز) أى استخف واستزل واستجهل واستزل (من استطعت منهم) أى من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى اجمع عليهم مكايدك وحبائلك واحثثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى فى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم فى الاموال والاولاد) أما المشاركة فى الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة فى الاولاد فروى عن ابن عباس انها الموؤدة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هى تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان رغبوا أولادهم فى الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله أصاب منه امرأته وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل وروى فى بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شاركهم فيهم الجن وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفى فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن (وعدهم) أى منهم الجميل فى طاعتك وقيل قل لهم لاجنة ولا نار ولا بعث وذلك أن الشيطان اذا دعا الى المعصية فلابد أن يقرر أولا أنه لامضرة فى فعلها البتة وذلك لايمكن الا اذا قال له لامعاد ولاجنة ولا نار ولاحياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو أنه لامضرة البتة فى هذه المعاصى واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده أن هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولاحياة للانسان فى الدنيا الابه فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو أنه يقرر عنده أن لاجنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم أى شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لايأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ماشئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ماينزل بك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) أى يزين

تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب (ان عبادى) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) بدتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك أو بتمليطهم عليك والكل مر تهديد فيه اقب به أو اعانة أى لا يخل ذلك بملكى (ربكم الذى يزجى) يجرى ويسير (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) مى لربح فى التجارة (انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر) أى خوف الغرق (ضل من تدعون (١٨٢) الا اياه) ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه أو ضل ما تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر أعرضتم) عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) للنعم (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم جانب البر) انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أو ان لم يصبكم الهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم) أى أم أمنتم أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك

الباطل بما يظنون أنه حق واعلم أن مقصد الشيطان مالى لعاقل وعدهم أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه أنه يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) يعنى بعباده الانبياء وأهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى بربك وكيلا) أى حافظا والمعنى أنه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس أن يأتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف فى قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا أى فالله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفى بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدنى قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يا رب سلطت ابليس على وعلى ذريتى وانى لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدنى قال التوبة معروضة مادام الروح فى الجسد قال رب زدنى فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفى الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قرائى قال الشعر قال فما كتابى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال أى شئ مطعمى قال ما لم يذكر عليه اسمى قال فما شرابى قال كل مسكر قال وأين مسكنى قال الحمامات قال وأين مجلسى قال فى الاسواق قال وما حبائلى قال النساء قال وما أذانى قال المزمار ❁ قوله سبحانه وتعالى (ربكم الذى يزجى) أى يسوق ويجرى (لكم الفلك) أى السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) أى لتطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها (انه كان بكم رحيما) أى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (واذا مسكم الضر فى البحر) أى الشدة وخوف الغرق فى البحر (ضل من تدعون) أى ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها (الا اياه) أى الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أى أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم (الى البر أعرضتم) أى عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) أى جحودا (أفأمنتم) أى بعد انجائكم (أن يخسف بكم جانب البر) أى يغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته برا كان أو بحرا بل ان كان الغرق فى البحر ففى جانب البر الخسف وهو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء (أو يرسل عليكم حاصبا) أى يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أى مانعا وناصرا (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أى فى البحر (تارة) أى مرة (أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أى عاصفا

فيغرقكم بما كفرتم) بكفرانكم النعمة وهو عراضكم حين نجاكم (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا يجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكي وأبو عمرو (ولقد كرمنا بنى آدم) بالعقل والنطق (١٨٣) والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة

وهى الريح الشديدة وقيل هى الريح التى تقصف كل شئ من شجر وغيره (فنغرقكم بما كفرتم) أى بكفرانكم النعمة وإعراضكم حين أنجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) قال ابن عباس هو أنهم يأكلون بالايدى وغير الآدمى يأكل بفيه من الارض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما فى الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير أمة أخرجت للناس (وحملناهم فى البر) أى على الابل والخيل والبغال والحمير (والبحر) أى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها و يستعينوا بها على مصالحهم (ورزقناهم من الطيبات) يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب من القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) واعلم أن الله تعالى قال فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وفى آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزم التكرار والاقرب أن يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثانى هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بنى آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبى فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وأشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أراد كلهم وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون و ينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الاولى والراجح ان خواص بنى آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بنى آدم وهذا التفصيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بنى آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده ﴿ قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أى بنبيهم وقيل بكتابهم الذى أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذى دعاهم فى الدنيا اما الى الهدى واما الى ضلال وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم فى الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع أم يعنى بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان

وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدى وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها وأكل باصابعه (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أى على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أى كلهم وقوله وما يتبع أكثرهم الا ظنا ذكر فى الكشاف أن المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى البهائم شهوة بلا عقل وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه (يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس بامامهم) الباء للحال والتقدير مختلطين بامامهم أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير و يا أصحاب كتاب الشر

(فمن أوتى) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) وانما قيل أولئك لان من فى معنى الجمع (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شئ ولم يذكر الكفار وايتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (ومن كان فى هذه) الدنيا (أعمى فهو فى الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الاعمى أى أضل طريقا والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلمة فلا يقبل الامالة وأما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة فى الطرف فقبلت الامالة وأمالهما حمزة وعلى وفخمهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (واذا لاتخذوك خليلا) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مكرهم (شيأ قليلا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت (اذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) اى لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفى ذكر الكيدودة

لا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) فان قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلت الفرق ان أصحاب الشمال اذا اطلعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين اذا اطلعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأبينها (ولا يظلمون فتيلا) أى ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شئ (ومن كان فى هذه أعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا أعمى أى عن هذه النعم التى قد عددها فى هذه الآيات المتقدمة (فهو فى الآخرة) أى التى لم تعاين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان فى هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو فى الآخرة أعمى أى أشد عمى وأضل سبيلا أى أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان فى الدنيا كافرا ضالا فهو فى الآخرة أعمى لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لا تقبل توبته ۞ قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) قيل فى سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها كاره بعد أن يدعونى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نجبى فى الصلاة أى لا ننحنى ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب أن تسمع العرب انك أعطيتنا مالم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى وان كادوا أى هموا ليفتنونك أى ليصرفونك عن الذى أوحينا اليك (لتفترى) أى لتختلق وتتقول (علينا غيره) أى مالم نقله (واذا) أى لو فعلت ما دعوك اليه (لاتخذوك خليلا) أى والوك ووافوك وصافوك (ولولا أن ثبتناك) أى على الحق بعصمتنا اياك (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيأ قليلا) أى قربت من الفعل فان قلت كان النبى صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا أن ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم (اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات)

وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) معينا لك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أى أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (١٨٥) (ليخرجوك منها واذا لايلبثون) لايبقون (خلفك) بعدك أى بعد اخراجك خلافك كوفى غير أبى بكر وشامى بمعناه (الاقليلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من أرض العرب أو ومن أرض المدينة (سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولاتجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة لدلوك الشمس) لزوالها وعلى هذه الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء و يصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين فى العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود للصلاة و يقال فى النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن

أى لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضاعفنا لك العذاب فى الدنيا والآخرة (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) أى ناصرا يمنعك من عذابنا ۞ قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ماهذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ماقبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ماأملوه والاستفزاز الازعاج (واذا لايلبثون خلفك الاقليلا) أى لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا ۞ قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لايعذبهم مادام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولاتجد لسنتنا تحويلا) أى تبديلا ۞ قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعى ومقاتل والضحاك والسدى وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سمى صلاة الفجر قرآنا لانها لاتجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى أول وقتها أفضل ۞ قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أى قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الامة فى الابتداء لقوله تعالى ياأيها المزمل قم الليل الا

قليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أي زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت مامعنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات

﴿فصل﴾ في الاحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهني قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبي داود (ق) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أكثر من احدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر فقال ياعائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر مايسجد ويقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لايمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولايمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج * عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه ولانشاء أن نراه نائما الا رأيناه أخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لايفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لايصوم منه شيأ ﴿ وقوله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا في شئ ثم حرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع احدا ثم لايعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيأ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه

(نافلة) عبادة زائدة (لك) على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد

وسلم

وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فمن صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة (ق) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفى رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فاستأذن على ربى تعالى فيؤذن لى فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال لى ارفع يا محمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال فأقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن أى من وجب عليه الخلود وفى رواية للبخارى ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فقال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع فى حديث شعبة ذرة وفى رواية من ايمان مكان خير وفى حديث معبد بن هلال العنزى عن أنس فى حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فأقول يارب أمتى أمتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثنى وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود فى الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع أى مجتمع الذهن والرأى * عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول انى أذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول انى دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول انى كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم مامنها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول انى عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتونى فانطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكانى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذى قال الله سبحانه وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويرحبون بى فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذى قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التى صدرت منه وقوله فاقعقعها أى أحركها حركة شديدة والقعقعة حكاية أصوات الترس وغيره مماله صوت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر أخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى وأنا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى يطوف على خدم كأنهن بيض مكنون أولؤلؤ منثور (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذى قال أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت ياصاحب رسول الله ماهذا الذى تحدثونا والله يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذين تقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ ماقبله انه فى الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ماخرج غير رجل واحد أو كما قال والاحاديث فى الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال ان الله تخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسى ﴿ قوله عز وجل (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجنى من مكة آمنا من المشركين وأدخلنى مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى من الدنيا وقد قمت بما وجب على من حق النبوة

(وقل رب أدخلنى مدخل صدق) هو مصدر أى أدخلنى القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وأخرجنى مخرج صدق) أى أخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على أثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أو هو عام فى كل مايدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان

(اجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا فى كل أوان (ونتزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ماهو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفى الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الاخسارا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين ناى بالامالة حمزة وبكسرهما على (واذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقة (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى من أمر يعلمه ربى الجمهور على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر انه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة

مخرج صدق وقيل معناه أدخلنى فى طاعتك مدخل صدق وأخرجنى من المناهى مخرج صدق وقيل معناه أدخلنى حيثما أدخلتنى بالصدق وأخرجنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عند الله (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرنى به على من عادانى وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية ﴿ قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعنى الاسلام والقرآن (وزهق الباطل) أى الشرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) أى مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة فى وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من فى قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن ماهو شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك (٣) لانها تنقسم الى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثانى الاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة فلاجرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع وأما النوع الثانى وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب وما يدريك أنها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين الاخسارا) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الاقام عنه بزيادة أو نقصان قضاء الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذا أنعمنا على الانسان) أى بالصحة والسعة (أعرض) أى عن ذكرنا ودعائنا (ونأى) بجانبه أى تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أى الشدة والضر (كان يؤسا) أى يائسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغى للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿ قوله عز وجل (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة أى على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أوضح طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق قوله سبحانه وتعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى)

(٣) قوله لانها تنقسم الى نوعين اى الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبارة فى الفخر الرازى بغاية التهذيب فليراجع

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفى رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفى رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحى وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحى قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفى رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا فى قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبى فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان شأنهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس أنه جبريل وعن على أنه ملك له سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والارض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب فى الخلق الذى به يحيا الانسان وهو أصح الاقوال وتكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شئ الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل وأقاويل الحكماء والصوفية فى ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربى أى من علم ربى الذى استأثر به (وما أوتيتم من العلم) أى من علم ربى (الا قليلا) أى فى جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب

على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل فى حده انه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ولان به حياة القلوب ومن أمر ربى أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروى أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعنى أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربى دليل خلق الروح فكان هذا جوابا (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) الخطاب عام فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا أنها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهى قليلة ثم نبه على نعمة الوحى وعزاه بالصبر على أذى الجدال فى السؤال بقوله

للبهود

(ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابتـه عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لاتجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الارحمة من ربك ان فضله كان عليك (١٩١) كبيرا) أي الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لونشاء لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول لاغائب مالي ولاحرم * لان الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه (فأبى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وانما جاز فأبى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الازيدا لان أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبالتخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لاتقطع يفعول من نبع الماء

لليهود فانهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا الى مافوقه وبالكثرة مضافا الى ماتحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح هو ان الله عزوجل استأثر بعلم الروح ۞ قوله عزوجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت ماتدري ماالكتاب (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) معناه لاتجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا (الارحمة من ربك) معناه الا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عزوجل قلت المراد منه محو مافي المصاحف واذهاب مافي الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع مافي صدورهم فيصبحون لايحفظون شيأ ولايجدون مما في المصاحف شيأ ثم تفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لاتقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الربُّ مالك فيقول يارب اتلى ولايعمل بي (ان فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود ۞ قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله) أي لايقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا نزلت حين قال المشركون لونشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عزوجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لايشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله ۞ قوله عزوجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا ۞ قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات أخر بينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري ابن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في أمره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يامحمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ومابقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت

زعمت علينا كسفا) بفتح السين مدني وعاصم أي قطعا يقال اعطى كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى في السماء) تصعد (اليها ولن نؤمن لرقيك) لاجل رقيك (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف أبو عمرو (كتابا) أي من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) صفة كتاب (قل) قال مكي وشامي أي قال الرسول (سبحان ربي) تعجب من اقتراحاتهم عليه) هل كنت الا بشرا رسولا) أي أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله

بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه قد غاب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ما تريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعني أرض مكة ينبوعا أي عيونا (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) أي تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) أي قطعا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن نؤمن لرقيك) أي لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربي) أمره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت الا بشرا رسولا) أي كسائر الرسل لاممهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا الا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم ۞ قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم أن

عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتحكمون علي (وما منع الناس) يعني أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن

(الا أن قالوا) فاعل منع والتقدير ومامنعهم الايمان بالقرآن و بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أى الاشبهة تمكنت فى صدورهم وهى انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة فى أبعث الله للانكار وما أنكروه ٣ ففى قضية حكمته منكر ثم رد الله عليهم بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من أهلها و يعلموا مايجب عليهم (مطمئنين) حال أى ساكنين فى الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير و يهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم و بشرا وملكا حالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم) على انى بلغت ماأرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز أو حال (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما باحوالهم (بصيرا) بافعالهم فهو مجاز يهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة (ومن يهد الله فهو المهتد) وبالياء يعقوب وسهل وافقهما أبو عمرو ومدنى فى الوصل أى من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله (ومن يضلل) أى ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أى انصارا (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أى يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق و يتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون مايقر أعينهم ولا يسمعون مايلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفئ لهبها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات

يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الا أن قالوا) أى جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أى مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى من جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم) أى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ماأرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) يعنى المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) أى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أى يهدونهم وفيه أيضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) ق عن أنس ان رجلا قال يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذى الحدب كل ماارتفع من الارض (عميا وبكما وصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى و بكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون مايسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون مايسرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ماوصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) أى سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه أرادت أن تخبو (زدناهم سعيرا) أى وقودا وقيل معناه خبت أى نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا ان الله الذى خلق السموات

(٣) قوله ففى قضية حكمته منكر عبارة الكشاف وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحى الا الى امثاله أو الى الانبياء اه وهى ظاهرة اه مصححه

والارض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خزائن رحمة ربي) رزقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكتم خشية الانفاق) أي لبخلتم خشية أن يفنيه الانسان (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسأل بني اسرائيل) فقلنا له سل بني اسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعلق بقوله المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون اني لاظنك ياموسى مسحورا) سحرت فخولط عقلك (قال) أي موسى (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أي بينات مكشوفات لانك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت على أني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (واني لاظنك يافرعون مثبورا) كأنه قال ان ظننتني مسحورا فانا أظنك مثبورا وظني أصح من ظنك لان له أمارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمري اني لأظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك (فاراد) فرعون (أن يستفزهم) يخرجهم أي موسى وقومه (من الارض) أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال اراد

والارض) أي في عظمها وشدتها (قادر على أن يخلق مثلهم) أي في صغرهم وضعفهم (وجعل لهم أجلا) أي وقتا لعذابهم (لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه آتيهم قيل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أي جحودا وعنادا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها (اذا لامسكتم) أي لبخلتم وحبستم (خشية الانفاق) والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قتورا) أي ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا أنه قد يجود لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بهذا أن الاصل في الانسان البخل ۞ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال ياغلام أخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روي عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيأ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسأل) يامحمد (بني اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (اذ جاءهم) يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون اني لاظنك ياموسى مسحورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا أي مسحورك وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده (ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض) يعني الآيات التسع (بصائر) أي بينات يبصر بها (واني لاظنك يافرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير (فاراد أن يستفزهم من الارض) معناه

(فأغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بأن استفزه الله باغراقه مع قبطه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبني اسرائيل اسكنوا الارض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئنا بكم لفيفا) جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير وما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا الى أين فقلنا له الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل (١٩٥) وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أي فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أي التوراة من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أي أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما للامر ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهي تؤكد الفعل كما أن ان تؤكد الاسم وكما أكدت ان باللام في انهم لمحضرون أكدت ان باللام في لمفعولا (ويخرون للاذقان يبكون) ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه نهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر فنزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو للتخيير أي سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في

أراد فرعون أن يخرج موسى وبني اسرائيل من أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعا) أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون (لبني اسرائيل اسكنوا الارض) يعني أرض مصر والشام (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني القيامة (جئنا بكم لفيفا) أي جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ۞ قوله سبحانه وتعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعني ان ما أردنا بانزال القرآن الا تقريره للحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن الا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير (وما أرسلناك الا مبشرا) يعني بالجنة للمطيعين (ونذيرا) أي مخوفا بالنار للعاصين ۞ قوله عز وجل (وقرآنا فرقناه) أي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أي على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم (اذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي تعظيما لربنا لانجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي كائنا واقعا (ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في منخري مسلم أبدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي ۞ قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة

فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الآية ومعناه أنهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أياما تدعوا) ما صلة ومعناه أى هذين الاسمين سميتم وذكرتم أو من جميع أسمائه (فله الاسماء الحسنى) يعنى اذا حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى أنها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية فى الدعاء وهو قول عائشة والنخعى ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك فى الدعاء وقيل كان أعراب من بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك أى لا ترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أى اطلب (بين ذلك سبيلا) أى طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال انى أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال انى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذى عرفنى انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك فى الملك) والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولى من الذل) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به (وكبره تكبيرا) أى وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولى وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولى كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الكهف﴾

وهى مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أياماتدعوا) عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وأيا نصب بتدعوا وهو مجزوم باى أى أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير فى له يرجع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط أى أياماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لاغير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى و بنو مليح (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعم المشركون (ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يذل فيحتاج الى ناصر ولم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبى عليه السلام الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية

*قوله

﴿سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذى أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده فقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجا) أى شيأ من العوج والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان يقال فى رأيه عوج وفى عصاه عوج والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيما) مستقيما وانتصابه بمضمر وتقديره وجعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها (لينذر) أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لان المنذر به هو المسوق اليه فاقتصر عليه (من لدنه) صادرا من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بأن لهم (أجرا حسنا) أى الجنة ويبشر حمزة وعلى (ما كثين) حال من هم فى لهم (فيه) فى الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الاول استغناء لتقديم ذكره (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت معناه مالهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه أو لانه فى نفسه محال (ولا لآبائهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أكبرها كلمة والضمير فى كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قولا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الاسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفرط الحزن والاسف المبالغة فى الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

﴿ قوله عز وجل (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أى لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج قال غير مخلوق (قيما) أى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها (لينذر بأسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس (من لدنه) أى من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) يعنى الجنة (ماكثين فيه) أى مقيمين فيه (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون فى نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به (ولا لآبائهم) أى ولا لاسلافهم من قبل (كبرت) أى عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أى هذا الذى يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكانه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذبا) أى ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذى لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب ﴿ قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (على آثارهم) أى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (أسفا) أى حزنا وقيل غيظا (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعنى النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما فى الارض هو زينة لها فان قلت أى زينة فى

الحيات والعقارب والشياطين فان زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى (لنبلوهم) فمن يبلى يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها (وانا لجاعلون ماعليها) أي من الزينة (صعيدا جرزا) يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء ﴿قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي ظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذ أوى الفتية الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهيئ لنا) أي أصلح لنا (من أمرنا رشدا) أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

﴿ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه﴾

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في أماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم ان لنا الها ملء السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم الا أني أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى

ماعليها) من هذه الزينة (صعيدا) أرضا ملساء (جرزا) يابسا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولم يذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعني ان ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أي كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (اذ) أي اذكر اذ (أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) أي الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقوله رأيت منك أسدا أو سر لنا طريق رضاك

أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكرهم فأتمروا بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها و يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له ينجلوس ٤ فيمكثوا فيه و يعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم مايشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون مني لاتخشوا مني أنا أحب أحباب الله عز وجل فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجلهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا و يتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لاصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله و يتضرعون اليه و يتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون و يذكر بعضهم بعضا فبيناهم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا أن بى غضبا عليهم لجهلهم ماجهلوا من أمرى ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فاتى بهم فقال أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدرى مايصنع بالفتية فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك و يجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى كهفهم يموتون جوعا وعطشا و يكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ماغشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس اهتما أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم فى لوحين من رصاص و يجعلاهما فى تابوت من نحاس و يجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك و بنيا عليه و بقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك * وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين

٤ قوله ينجلوس هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها نجلوس وفى حياة الحيوان منجلوس فليحرر اه مصححه

مسور بن ذى ذوائب فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان فى قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه وقال فى نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس اليه من غير أن يظهره على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا و يفش كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذاهم جميعا على الايمان واذا الكهف فى جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون و يظهرون على أهل الحق و يقولون لاحياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة فى الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى و يبكى و يقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ماهم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف و يبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها و يستجيب لعبده الصالح بيدروس و يتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه ذلك الكهف وكان اسمه أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف و يبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة و يبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيى الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لايرى فى وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم أنبئنا بما قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما فأتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر

فيها وأخذ ورقامن نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت تخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصدعن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان أمر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشي و يتعجب و يخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه و بين نفسه و يقول ياليت شعري ماهذا أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة و يستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ماأدري ماهذا أما عشية أمس فليس كان على الارض من يذكر عيسى بن مريم الاقتل وأما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى بن مريم لايخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ماأعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له مااسم هذه المدينة يافتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي ان أسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فأهلك فمضى الى الذين يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل و نظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها و يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا خبيئا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا علي قد أخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يافتى من أنت وماشأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرناه وشاركنا فيه نخفف عليك ماوجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شئ كنت أحذر منه فقالوا له يافتى انك والله لاتستطيع ان تكتم ماوجدت وجعل تمليخا مايدري مايقول لهم وخاف حتى لم يجر على لسانه اليهم شئ فلما رأوه لايتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه و جعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة و جعلوا ينظرون اليه و يقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة ومارأيناه فيها قط ومانعرفه وجعل تمليخا لايدري مايقول لهم وكان متيقنا ان أباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني و بين اخوتي ياليتهم يعلمون مالقيت و ياليتهم يأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كنا تواثقنا على الايمان بالله وأن لانشرك به أحدا أبدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين

أريوس وطنطيوس ورأى أنه لم يذهب الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس وطنطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا أين الكنز الذي وجدت يافتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال له أحدهما من أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورق أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا أخبروني عما أسألكم عنه فان أنتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا له سل لا نكتمك شيأ فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا لحيران وما يصدقني أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فأتينا الى الكهف الذي في جبل ينجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف أريكم أصحابي فلما سمع أريوس قول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وطنطيوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه ظنوا انه قد أخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبيناهم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبيناهم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذ هم بأريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمن الطويل وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة لاريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء

(فضربنا على آذانهم فى الكهف) أى ضربنا عليها حجابا من النوم يعنى أنمناهم انامة ثقيلة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذى هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أى تعد عددا لكثرتها لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عد فاما دراهم معدودة فهى على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) أيقظناهم من النوم (لنعلم أى الحزبين) المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما (٢٠٣) أو بعض يوم قالوار بكم أعلم بمالبثتم وكان الذين قالوار بكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أوأى الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لاحصى أو مفعول له والفعل الماضى خبر المبتدا وهو أى والمبتدا مع خبره سد مسد مفعولى نعلم والمعنى أيهم اضبط أمد الاوقات لبثهم وأحاط علما بامد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى مالايدعى قبل الفعل ولايزكى نفسه بعد الفعل (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله فى قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما مايضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذقاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام

وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه فى منامه فقالوا له انالم نخلق من ذهب ولافضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية قد فقدوا فى الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى أسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابى فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى حتى أدخل على أصحابى فابشرهم فانهم ان رأوكم معى أرعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ أوى الفتية الى الكهف أى صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أى هداية فى الدين وهيئ لنا أى يسر لنا من أمرنا رشدا أى ما نلتمس منه رضاك ومافيه رشدنا وقال ابن عباس أى مخرجا من الغار فى سلامة ۞ قوله سبحانه وتعالى (فضربنا على آذانهم) أى ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (فى الكهف سنين عددا) أى أنمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أى من نومهم (لنعلم) أى علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا (أى الحزبين) أى الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) أى احفظ لما مكثوا فى كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف ۞ قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أى نقرأ عليك خبر أصحاب الكهف بالحق أى بالصدق (انهم فتية) أى شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أى ايمانا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أى شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف (اذقاموا) يعنى بين يدى دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة

(فقالوا ربنا رب السموات والارض) مفتخرين (لن ندعو من دونه الها) ولئن سميناهم آلهة (لقد قلنا اذا شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط يشط و يشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار فى معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذا اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أى واذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) استثناء متصل لانهم كانوا يقرون بالخالق و يشركون معه غيره كاهل مكة أو منقطع أى واذا اعتزلتم الكفار والاصنام التى يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (فأووا الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيئ (٢٠٤) لكم من أمركم مرفقا) مرفقا مدنى وشامى وهو ما يرتفق به أى ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم أو أخبرهم به نبى فى عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاى كوفى تزور شامى تزاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاى أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء و برد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعنى أن ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل ما مر فى سبحان وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) أى من أضله فلا هادى له (وتحسبهم) بفتح السين شامى وحمزة وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيقاظا) جمع يقظ (وهم رقود) نيام قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء (وكلبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى الماضى

الاصنام (فقالوا) أى الفتية (ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها) انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام (لقد قلنا اذا شططا) قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعنى أهل بلدهم (اتخذوا من دونه) أى من دون الله (آلهة) يعنى أصناما يعبدونها (لولا) أى هلا (يأتون عليهم) أى على عبادة الاصنام (بسلطان بين) أى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى وزعم أن له شريكا أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض (واذا اعتزلتموهم) يعنى قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الله و يعبدون معه الاصنام والمعنى واذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته (فأووا الى الكهف) أى الجؤا اليه (ينشر لكم) أى يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهيئ) أى يسهل (لكم من أمركم مرفقا) أى ما يعود اليه يسركم ورفقكم ۞ قوله سبحانه وتعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) أى تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) أى جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) أى متسع من الكهف (ذلك من آيات الله) أى من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك أن ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة أبدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها و يدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أى ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعنى مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضلل) أى ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) أى معينا (مرشدا) أى يرشده ۞ قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (أيقاظا) أى منتبهين لان أعينهم مفتحة (وهم رقود) أى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة تقليبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلبا أنمر وعنه أنه كان فوق القلطى ودون الكرزى والقلطى كلب صينى وقيل

كان

(بالوصيد) بالفناء أو بالعتبة (لو اطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لاعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم (ولملئت منهم) وبتشديد اللام حجازي للمبالغة (رعبا) تمييز وبضم العين شامي وعلى وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال أريد ان ادخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فاحرقتهم ريح (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض

يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالادلة أو بالالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على أن الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا أحدكم أي تمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (هذه الى المدينة) هي طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات على ما في أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أي أهلها فحذف كما في واسئل القرية وأي مبتدأ وخبره (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاما) تمييز (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في (انهم) راجع الى الاهل المقدر في أيها (ان يظهروا عليكم) يطلعوا عليكم (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة

كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) أي فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما قيل كان ينقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها (لو اطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) أي خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعني كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا (كم لبثتم) أي في نومكم وذلك انهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا لبثنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم (فابعثوا أحدكم) يعني تمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام أفسوس (فلينظر أيها أزكى طعاما) أي أحل طعاما وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) أي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعرن) أي ولا يعلمن (بكم أحدا) أي من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم)

(أو يعيدوكم فى ملتهم) بالاكراه والعود بمعنى الصيرورة كثير فى كلامهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) اذا يدل على الشرط أى وان تفلحوا ان دخلتم فى دينهم أبدا (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم و بعثناهم لما فى ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم (ليعلموا) أى الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لان حالهم فى نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لاريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق باعثرنا أى اعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم و يختلفون فى حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد و بعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين فى حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم و بالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلى فيه المسلمون و يتبركون بمكانهم روى ان أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد فى ذلك دقيانوس فاراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون منى انى أحب أحباء الله فناموا وانا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته فى البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فألقى الله فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج و بنى على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب و يقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير فى سيقولون لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم و يروى ان السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما ذكرنا من قبل وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل فى الاول دون الآخرين فهما داخلان فى حكم

(٢٠٦)

قيل معناه يشتموكم و يؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم (أو يعيدوكم فى ملتهم) أى الكفر (ولن تفلحوا اذا أبدا) أى ان عدتم اليه ۞ قوله عز وجل (وكذلك أعثرنا عليهم) أى اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعنى قوم بيدروس الذين أنكروا البعث (وان الساعة لاريب فيها) أى لاشك فيها انها آتية (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم فى البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يعنى بيدروس وأصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) ۞ قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (و يقولون) أى وقال العاقب وكان نسطوريا (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب و يقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار

السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مبتدا محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة اثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي أذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي أعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من ذلك القليل وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف (الامراء

ظاهرا) الاجدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشئ) لاجل شئ تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشئ (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا أن يشاء الله) أن تقوله بان يأذن لك فيه أو ولا تقولنه الا بان يشاء الله أي الا بمشيئته وهو في موضع الحال أي الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن اني أفعل ذلك الا بمشيئة الله تعالى لان قول القائل أنا أفعل ذلك ان شاء الله معناه لا أفعله الا بمشيئة الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه (واذكر ربك) أي مشيئة ربك وقل ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن مادام في مجلس الذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا وحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه باخراجه من عنده أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها أو اذا نسيت شيأ فاذكره ليذكرك المنسى

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أولا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجما بالغيب وظنا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم (٣) مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذونوانس وكشفيططنونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم (الا مراء ظاهرا) أي الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا) أي لا ترجع الى قول أحد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) يعني اذا عزمت على فعل شئ غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل (واذكر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن مادام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الآية واذكر ربك اذا

(٣) قوله وهم مكسلمينا الخ وقع اختلاف كبير في أسمائهم وذكر في القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع

(وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) يعني إذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه بأن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا أو أدنى خيرا ومنفعة أن يهدين ان ترن أن يؤتين أن تعلمن مكي في الحالين ووافقه أبو عمرو ومدني في الوصل (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة

سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلثمائة ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لأن زاد تقتضي مفعولين فازداد يقتضي مفعولا واحدا (قل الله أعلم بما لبثوا) أي هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم والجمهور على أن هذا اخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم كذا مدة (له غيب السموات والارض) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أي وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع (ما لهم) لأهل السموات والارض (من دونه من ولي) من متول لأمورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا تشرك على النهي شامي وحزا كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك) أي من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فانه (لا مبدل لكلماته) أي لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملجأ

غضبت قال وهب مكتوب في ... لا نجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وقيل لآية في الصلاة يدل عليه ما روي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها قال تعالى أقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) أي يثبتني على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شيء أمره الله أن يقوله مع قوله ان شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ۞ قوله عز وجل (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) والأصح أنه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعني ان نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية (له غيب السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف (أبصر به وأسمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية (ما لهم) أي ما لأهل السموات والارض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدا وقيل في قضائه ۞ قوله سبحانه وتعالى (واتل) أي واقرأ يا محمد (ما أوحي اليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل فان قلت موجب هذا أن لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أي من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتحدا) أي ملجأ

نعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبسها معهم وثبتها (بالغداة والعشى) دائبين على الدعاء فى كل وقت أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشى لطلب عفو التقصير أو هما صلاة الفجر والعصر بالغدوة شامى (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بعن لتضمن عدا معنى نبا فى قولك نبت منه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ (تريد زينة الحياة الدنيا) فى موضع الحال (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى خالق أفعال العباد (واتبع هواه وكان أمره فرطا) مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجئ بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين) للكافرين فقيد بالسياق كما تركت حقيقة الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا أعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهى الحجرة التى تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردى الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تهكم بهم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من الرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار و بين جزاء من اختار الايمان فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وحوزا نعدل اليه ۞ قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت فى عيينة بن حصن الفزارى أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك أى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) يعنى طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة و ينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم (ولا تعد) لا تصرف ولا تجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحيوة الدنيا) أى تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أى فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) ضياعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا و باطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان و بيده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم أى لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر (انا أعتدنا) أى هيأنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) أى الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التى تطيف بالفساطيط عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون سنة أخرجه الترمذى قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) أى من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه أخرجه الترمذى وقال رشدين أحد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب (يشوى الوجوه) أى ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب) أى ذلك الذى يغاثون به (وساءت) أى النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضى الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا وأصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

انالا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف بيان للاجر المبهم ولك أن تجعل انالا نضيع وأولئك خبرين معا والمراد من أحسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فأقام من أحسن مقام الضمير (تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) من للابتداء وتنكير أساور وهي جمع اسورة التي هي جمع سوار لابهام أمرها في الحسن (من ذهب) من للتبيين (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه أي يجمعون بين النوعين (متكئين فيها على الارائك) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم. (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الجنة والارائك (مرتفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا رجلين) مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني اسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى الكافر أرضا بالف دينار وقال المؤمن اللهم ان أخي اشترى أرضا بالف دينار وأنا أشتري منك أرضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بالف فقال اللهم اني أشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بالف دينار فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله (جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب) بساتين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق

انالا نضيع أجر من أحسن عملا) أي لانترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انالا نضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أي دار اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان يجري فيه الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة أساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الرقيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك (فيها) أي في الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهي السرر في الحجال ✽ ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) أي نعم الجزاء (وحسنت) أي الجنات (مرتفقا) أي مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا ۞ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد ابن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بني اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل يمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ماذكره عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار واني قد اشتريت منك أرضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم اني أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم اني أشتري منك خدما ومتاعا بالف دينار في الجنة فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتعينني بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لاحدهما جنتين) أي بستانين (من أعناب وحففناهما) أي أطفناهما من جوانبهما (بنخل وجعلنا بينهما زرعا) أي وجعلنا بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما أي بين الجنتين

(كلتا الجنتين آتت) أعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز (أكلها) ثمرها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من أكلها (شيأ وفجرنا خلالهما نهرا) نعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال من ثمر ماله اذا كثره أي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمر وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهما غيرهما (فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) احدى جنتيه أو سماهما جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أي أن تهلك هذه الجنة شك في بيدودة جنته لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا) أقسم منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلبا تمييز أي مرجعا وعاقبة (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك لان خلق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقا له (ثم من نطفة) أي خلقك من نطفة (ثم سواك رجلا) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه في البعث (لكنا) بالالف في الوصل شامي الباقون بغير ألف وبالالف في الوقف اتفاق وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فادغمت الاولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربي) هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منه اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أي أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربي أحدا ولولا) وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لا قوة الا بالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده من قرأ (ان ترني أنا أقل منك مالا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله (وولدا) نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعز نفرا (فعسى ربي

يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كلتا الجنتين آتت) أي أعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أي ثمرها تاما (ولم تظلم منه شيأ) أي ولم تنقص منه شيأ (وفجرنا خلالهما) شققنا وسطهما (نهرا وكان له) أي لصاحب البستان (ثمر) قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعني صاحب البستان (لصاحبه) يعني المؤمن (وهو يحاوره) أي يخاطبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما (ودخل جنته) يعني الكافر آخذا بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها (وهو ظالم لنفسه) أي بكفره (قال ما أظن أن تبيد) أي تهلك (هذه) يعني جنته (أبدا) وذلك أنه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة (ولئن رددت الى ربي) فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربي على ما تزعم من أن الساعة آتية (لاجدن خيرا منها منقلبا) أي يعطيني هنالك خيرا منها لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) يعني المؤمن (وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك من تراب لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقا له (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أي عدلك بشرا سويا وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال (لكنا هو الله ربي) مجازه لكن أنا هو الله ربي (ولا أشرك بربي أحدا ولولا) أي هلا (اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا (لا قوة الا بالله) أي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شئ عنه الا بالله روى عن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شيأ يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الحائط البستان (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أي لاجل ذلك تكبرت علي وتعظمت (فعسى ربي) أي فلعل ربي

أن يؤتيني خيرا من جنتك) في الدنيا أو في العقبى (ويرسل عليها حسبانا) عذابا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لاملاسها (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا أي ذاهبا في الارض (فلن تستطيع له طلبا) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن أفقر منك فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك (وأحيط بثمره) هو عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك (فاصبح) أي الكافر (يقلب كفيه) يضرب احداهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه (٢١٢) التمني ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدرون على نصرته (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا أنه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلي فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويؤيده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لاوليائه أو هنالك اشارة الى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلي صفة للولاية أو خبر مبتدا محذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) أي هو كماء أنزلناه (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى روي (فاصبح هشيما) يابسا متكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيره الريح حمزة وعلي (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) قادر شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والافناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) لا زاد القبر وعدة العقبى

(أن يؤتيني) أي يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسبانا) قال ابن عباس نارا وقيل مرامي (من السماء) وهي الصواعق فتهلكها (فتصبح صعيدا زلقا) أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هائلا (او يصبح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) يعني ان طلبته لم تجده (وأحيط بثمره) يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فاصبح) يعني صاحبها الكافر (يقلب كفيه) يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهر البطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) المعنى فاصبح يندم على ما أنفق في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) يعني أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي يمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) أي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه ۞ قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة (لله الحق) وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (هو خير ثوابا) أي أفضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة ۞ قوله عز وجل (واضرب لهم) أي اضرب يا محمد لقومك (مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الارض) اي خرج منه كل لون وزهرة (فاصبح) أي عن قريب (هشيما) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شئ مقتدرا) أي قادرا ۞ قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يفتخر بها عيينة وأصحابه الاغنياء (زينة الحيوة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المال والبنون حرث

الدنيا

(والباقيات الصالحات) أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) لانه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة يعني ان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة (ويوم) واذكر يوم (نسير الجبال) تسير الجبال مكي وشامي وأبو عمرو أي تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منثورا منبثا (وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلم نغادر منهم أحدا) أي فلم نترك غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة (ووضع الكتاب) أي صحف الاعمال (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) أي لا يترك شيأ من المعاصي (الا أحصاها) حصرها وضبطها

الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ موقوفا عليه * وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الاعمال الصالحات (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير أملا) أي ما يؤمله الانسان ۞ قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء منثورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها (وحشرناهم) يعني جميعا الى موقف الحساب (فلم نغادر منهم أحدا) أي لم نترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الا وانه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فأقول سحقا سحقا قوله غرلا أي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا أي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ۞ قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الاعمال السيئة (ويقولون) يعني اذا رأوها (يا ويلتنا) أي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الا أحصاها) أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمس والقبلة

والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا فى بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب او بقات الحقير التى الصغير التافه وقوله لموبقات أى مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أى مكتوبا مثبتا فى كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أى لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله ✽ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبى موسى ۞ قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا) أى واذكر يا محمد اذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس وكونه من الملائكة لا ينافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتتخذونه وذريته فاثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن ۞ وقوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعة ربه (أفتتخذونه) يعنى يا بنى آدم أفتتخذون ابليس (وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) يعنى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ اقبل رجل فقال أخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه واذا أكل ولم يسم أكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فاقول داسم داسم أعوذ بالله منه روى أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذى (م) عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها علىّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم

(ووجدوا ما عملوا حاضرا) فى الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد فى عقابه أو يعذبه بغير جرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية أو سجود انقياد (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كان قائلا قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره ربه من السجود وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب ومطوس صاحب الاراجيف وداسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

(بئس للظالمين بدلا) بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله (ما أشهدتهم) أي ابليس وذريته (خلق السموات والارض) يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ماأشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الاشياء فافردوني في العبادة (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) أي وما كنت متخذهم (عضدا) أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائي الذين زعمتم) (٢١٥) أنهم فيكم شركائي ليمنعوكم من عذابي وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبق يبق وبوقا اذا هلك أو مصدرا كالموعد أي وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فايقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها) عن النار (مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) تمييز أي أكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعني ان جدل الانسان أكثر من جدل كل شيء (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي سببه وهو الكتاب والرسول (ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب) ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره ومامنع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب أي عذاب الآخرة (قبلا) كوفي أي أنواعا جمع قبيل الباقون قبلا أي عيانا (ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم للرسل ماأنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك (ليدحضوا به

منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيأ ثم يجيء أحدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه * وقوله (بئس للظالمين بدلا) يعني بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته ۞ قوله سبحانه وتعالى (ما أشهدتهم) أي ما أحضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ماأشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها أو أشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعني الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعني أنصارا وأعوانا ۞ قوله عزوجل (ويوم يقول نادوا) يعني يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائي) يعني الاصنام (الذين زعمتم) يعني انهم شركائي (فدعوهم) أي فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعني مهلكا قال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك (ورأى المجرمون) أي المشركون (النار فظنوا) أي أيقنوا (أنهم مواقعوها) أي داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا) أي بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يارسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان أكثر شيء جدلا ۞ قوله عزوجل (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلو لم يقدموا على الايمان والاستغفار (الا أن تأتيهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة ۞ قوله سبحانه وتعالى (ومانرسل المرسلين الا مبشرين) أي بالثواب على الطاعة (ومنذرين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ماأنتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) أي ليبطلوا (به

الحق) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة (واتخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما موصولة والراجع من الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب أو مصدر به أي وإنذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حمزة وبإبدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاي والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا في قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي ما قدمت يداه) (٢١٦) عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) الى الايمان (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا) جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا (أبدا) مدة التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) ى ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لأن أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك القرى نصب باضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما أبو بكر أي لوقت هلاكهم أو هلاكهم والموعد وقت أو مصدر (واذ) واذكر اذ (قال موسى لفتاه) موسى

الحق) ويريبوه (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعني اتخذوا ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء ۞ قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر) أي وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسي ما قدمت يداه) أي ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) يريد لئلا يفهموه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا وصمما (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) أي الدين (فلن يهتدوا اذا أبدا) وهذا في أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أي البليغ المغفرة (ذو الرحمة) أي الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم) أي يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) يعني البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موئلا) أي ملجأ (وتلك القرى) يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) أي كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي أجلا لاهلاكهم ۞ قوله سبحانه وتعالى (واذ قال موسى لفتاه) الآيات أكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوي ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرائم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى نبي اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به فقال له فتاه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه

هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم (لا أبرح) لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثاني فلان قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ماهي غاية له فلابد ان يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم وسمي خضرا لانه أينما يصل يخضر ماحوله (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سال ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو أعلم مني فدلني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا (فلما بلغا مجمع بينهما) مجمع البحرين (نسيا حوتهما) أي نسي أحدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء

(٢١٧)

موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا ياموسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائلا فقال الخضر بيده هكذا فأقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفي رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذلم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أي رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شئ الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير قوله سبحانه وتعالى (لا أبرح) أي لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) قيل أراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (أو أمضى حقبا) يعني أو أسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيأ الا حيي فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغا) يعني موسى وفتاه (مجمع بينهما) أي بين البحرين (نسيا) أي تركا (حوتهما) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما أي نسيا كيفية

(فاتخذ سبيله فى البحر) أى اتخذ طريقه من البر الى البحر (سربا) نصب على المصدر أى سرب فيه سربا يعنى دخل فيه واستتر به (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ماشاء الله (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) هى موضع الموعد (فانى نسيت الحوت) ثم اعتذر فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (الا الشيطان) بالقاء الخواطر فى القلب (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) وهو ان أثره بقى الى حيث سار (قال ذلك ما كنا نبغ) نطلب وبالياء مكى وافقه أبو عمرو وعلى ومدنى فى الوصل وبغير ياء فيهما غيرهما اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا أى ذلك الذى كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتدا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر (فوجدا عبدا من عبادنا) أى الخضر راقدا تحت ثوب أو جالسا فى البحر (آتيناه رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعنى الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدنى ما حصل للعبد بطريق الالهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى رشدا أبو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغى لاحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه

الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر سربا) أى مسلكا وروى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسى صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعنى موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أى طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى تعبا وشدة وذلك انه ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع فى طلبه (قال) يعنى يوشع (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود (فانى نسيت الحوت) أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ۞ ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أى وما أنسانى أن أذكر لك أمر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الذكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى وقع الحوت فى البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل أى شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه ۞ قوله عز وجل (قال) يعنى موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا يقصان الذى جاآ منه ويتبعانه (فوجدا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فى التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمى به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمى خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأنى بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب أى مغطى بثوب وقوله وأنى بأرضك السلام معناه من أين بارضك التى أنت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا (آتيناه رحمة) أى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أى علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه قلت لا يخلو اما أن يكون الخضر من بنى اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بنى اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جائز أن يكون أحد الامة أفضل من نبيها أو أعلى شأنا منه وان كان من غير بنى اسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين أى على عالمى زمانكم (قال له موسى هل أتبعك) معناه جئت لاصحبك وأتبعك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وبنى اسرائيل

(قال انك لن تستطيع معي) و بفتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة (صبرا) أي عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) تمييز نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن لا يخرج اذا رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولا أعصي لك أمرا) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص وهو عطف على ستجدني ولا محل له (قال فان اتبعتني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي و بسكون اللام و بتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما اجماعا (عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا) أي فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيأ وقد علمت انه صحيح الا أنه خفي عليك وجه صحته فانكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم أو المتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم (قال أخرقتها لتغرق أهلها) ليغرق حمزة وعلي من غرق (لقد جئت شيأ امرا) أتيت شيأ عظيما من أمر الامر اذا عظم (قال) أي الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيته أو بشئ نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني من أمري عسرا) رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه أي ولا تغشني عسرا من أمري وهو اتباعه اياه أي ولا تعسر على متابعتك و يسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زاكية حجازي وأبو عمرو وهي الطاهرة من

شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا فحينئذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي علما (قال) موسى (ستجدني ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا أعصي لك أمرا) أي لا أخالفك فيما تأمرني به (قال فان اتبعتني) أي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألني عن شئ) أي مما أعمله مما تنكره ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدئ بذكره فابين لك شأنه ۞ قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أي بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا في البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال) يعني موسى له (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا) أي أتيت شيأ عظيما منكرا روي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروي ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشا به الخرق (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) أي لا تغشني (من أمري عسرا) والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي أمري (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروي انه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفسا زكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي أذنبت ثم تابت

الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد أذنبت أو لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) أى لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان
علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيأ نكرا) و بضم الكاف حيث كان مدنى وأبو بكر وهو المنكر
وقيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه
بالسد ولا يمكن تدارك القتل (٢٢٠) (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد لك هنا لان النكر فيه أكثر (قال ان

(بغير نفس) أى لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل (لقد جئت شيأ نكرا) أى منكرا عظيما وقيل النكر أعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفى خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيأ أنكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه (قال) يعنى الخضر (ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) قيل زاد فى هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ فعند هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يا نبى الله اذكر العهد الذى أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تصاحبنى أى فارقنى ولا تصاحبنى (قد بلغت من لدنى عذرا) قال ابن عباس أى قد أعذرت فيما بينى و بينك وقيل معناه اتضح لك العذر فى مفارقتى والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة أى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعنى لمته ملامة و يشهد له قول الخضر هذا فراق بينى و بينك ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعنى انطاكية وقيل الابلة وهى أبعد الارض من السماء وقيل هى بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبى هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التى لا تضيف الضيف (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أى يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة (فأقامه) أى سواه وفى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه (قال) يعنى موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) يعنى على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت أنا جياع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا (قال) يعنى الخضر (هذا فراق بينى و بينك) يعنى هذا وقت فراق بينى و بينك وقيل هذا الانكار على ترك أخذ الاجر هو المفرق بيننا (سأنبئك) أى سوف أخبرك (بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرنى بمعنى ما عملت قبل أن تفارقنى فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر أى يؤجرونها و يكتسبون بها

سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) اعذرت فيما بينى و بينك فى الفراق ولدنى بتخفيف النون مدنى وأبو بكر (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى انطاكية أو الابلة وهى أبعد أرض الله من السماء (استطعما أهلها) استضافا (فأبوا أن يضيفوهما) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (فوجدا فيها) فى القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك (فأقامه) بيده أو مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه و بناه كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم

يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أى لطلبت وفيه
على عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصرى و باظهارها مكى و بتشديد التاء وفتح
الخاء واظهار الذال حفص و بتشديد التاء وفتح الخاء وادغام الدال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذ اصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع
وليس من الاخذ فى شئ (قال هذا فراق بينى و بينك) هذا اشارة الى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بينى
و بينك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون فى البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر

(فاردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) أي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فان قلت قوله فاردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وانما قدم للعناية (وأما الغلام) وكان اسمه الحسين (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن

يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر وانما خشي الخضر منه ذلك لانه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وان كان من قول الله تعالى فمعنى فخشينا فعلمنا ان عاش أن يصير سببا لكفر والديه (فاردنا أن يبدلهما ربهما) يبدلهما بهما مدني وأبو عمرو (خيرا منه زكاة) طهارة ونقاء من الذنوب (وأقرب رحما) رحمة وعطفا وزكاة ورحما تمييز روى أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا وسبعين نبيا وأبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما رحما شامي وهما لغتان (وأما الجدار فكان لغلامين) أصرم وصريم (يتيمين في المدينة) هي القرية المذكورة (وكان تحته كنزلهما) أي لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله أو مال مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والاول أظهر وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا (وكان أبوهما) قيل جدهما السابع (صالحا) ممن يصحبني وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فابي وجدي خير منه (فاراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي الحلم

وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ لا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة (فاردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح (يأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعبتها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها ﴿ قوله عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا (ان يرهقهما) أي يغشيهما وقيل يكلفهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه (فاردنا أن يبدلهما ربهما) الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه (خيرا منه زكاة) أي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة (وأقرب رحما) أي ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل كان اسمهما أصرم وصريم (وكان تحته كنزلهما) روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وقيل الكنز اذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان أبوهما صالحا) قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لاصلي فأذكر ولدي فازيد في صلاتي (فاراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما

(ويستخرجا كنزهما رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لانه فى معنى رحمهما (من ربك وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمرى) عن اجتهادى وانما فعلته بامر الله والهاء يعود الى الكل أو الى الجدار (ذلك) أى الاجوبة الثلاثة (تأويل مالم تسطع عليه صبرا) حذف التاء تخفيفا وقد زل اقدام أقوام من الضلال فى تفضيل الولى على النبى وهو كفر جلى حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولى والجواب ان الخضر نبى وان لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء فى حق موسى عليه السلام على ان أهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال أن يكون الولى وليا بايمانه بالنبى ثم يكون النبى دون الولى ولا غضاضة فى طلب موسى العلم لان الزيادة فى العلم مطلوبة وانما ذكر أولا فاردت لانه افساد فى الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله فى القرآن كثير (ويسئلونك) أى اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل وأشياعه (عن ذى القرنين) هو الاسكندر الذى ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن على رضى الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام سمى ذا القرنين لانه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان أو انقرض فى وقته قرنان من الناس أو لانه ملك الروم وفارس أو الترك والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم

فارس

ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء فى علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح فى مال اليتيمين لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا لله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه الى الله تعالى (ويستخرجا كنزهما) يعنى اذا بلغا وعقلا وقويا (رحمة من ربك) أى نعمة من ربك (وما فعلته عن أمرى) أى باختيارى ورأيى بل فعلته بامر الله والهامه اياى لان تنقيص أموال الناس واراقة دمائهم وتغيير أحوالهم لا يكون الا بالنص وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحى وذلك للانبياء والصحيح انه ولى لله وليس بنبى وأجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض أن تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) أى لم تطق ان تصبر عليه روى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء فى أن الخضر أحى أم ميت فقيل انه حى وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاواه هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب فى حياة الخضر فيما حكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى وشكر الله تعالى وأخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده ۞ وقوله عز وجل (ويسئلونك عن ذى القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومى وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين فى تفسيره عن أبى الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه أبو كرب سمى ابن عير بن افريقيس الحميرى وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا علا فى الارض غير مفند * بلغ المشارق والمغارب يبتغى
أسباب ملك من كريم مرشد * فرأى مآب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وناطة حرمد

قوله فرأى مآب الشمس أى ذهاب الشمس وقوله فى عين ذى خلب أى حمأة والناطة الحمأة أيضا والجمع نأط والحرمد الطين الاسود وقيل سمى ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك

(قل سأتلوا عليكم منه) من ذي القرنين (ذكرا انا مكناله في الارض) جعلناله فيها مكانة واعتلاء (وآتيناه من كل شئ) أراده من اغراضه ومقاصده في ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه (فاتبع سببا) والسبب مايتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا فاتبع ثم أتبع كوفي وشامي الباقون يوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق (حتى اذا بلغ مغرب (٢٢٣) الشمس) أي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدء أمره انه وجد في الكتب ان أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين (وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة حامية شامي وكوفي غير حفص بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري ياأباذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب في عين حمئة وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما ولاتنافي فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مالفظ البحر وكانوا كفارا (قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا والا فقد أوحى الى نبي فامره النبي به أو كان الهاما خير بين أن يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان آمنوا أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين

فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروي عن علي أنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فأحياه الله ثم بعثه الله فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فأحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لا يكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطفيل سئل علي عن ذي القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروي ان عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ أقصى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب وبنى السدود أتت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذي القرنين (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي خبرا يتضمن حاله ۞ قوله سبحانه وتعالى (انا مكناله في الارض) أي وطأناله والتمكين تمهيد الاسباب قال علي سخر الله له السحاب فحمل عليه ومدله في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلل له طرقها (وآتيناه من كل شئ) مما يحتاج اليه الخلق وكل مايستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أي علما يتسبب به الى كل مايريد ويسير به في أقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث أراد وقيل قربناله أقطار الارض (فاتبع سببا) أي سلك طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أي ذات حمأة وهي الطينة السوداء وقرئ حامية أي حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجد في التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين وقيل يجوز أن يكون معنى في عين حمئة أي عندها عين حمئة أو في رأي العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كأنها تغيب في البحر (ووجد عندها قوما) أي عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية جرجسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أي تغيب (قلنا ياذا القرنين) يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل أن يكون الخطاب على لسان غيره (اما أن تعذب) يعني تقتل من لم يدخل في الاسلام (واما أن تتخذ فيهم حسنا) يعني تعفو وتصفح وقيل تاسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين

(أمامن ظلم فسوف نعذبه) بالقتل (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) فى القيامة يعنى امامن دعوته الى الاسلام فابى الا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب فى الدارين (وأمامن آمن وعمل صالحا) أى عمل مايقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفى غيرابى بكر أى فله الفعلة الحسنى جزاء (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى ذايسر أى لانامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج ونحو ذلك (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) (٢٢٤) من دون الشمس (سترا) أى ابنية عن كعب أرضهم لاتمسك الابنية و بها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم أو الستر اللباس عن مجاهد من لايلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أى أمر ذو القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لامره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) نصب على المصدر لان فى أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين مابينهما السدين وسدا مكى وأبو عمرو وحفص السدين وسدا حمزة وعلى و بضمهما غيرهم قيل ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على أنه مفعول به لبلغ كما انجر بالاضافة فى هذا فراق بينى و بينك وكما ارتفع فى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (وجد من دونهما) من ورائهما (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أى لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها يفقهون حمزة وعلى أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل والديلم وهؤلاء

الامرين (قال أمامن ظلم) أى كفر (فسوف نعذبه) أى نقتله (ثم يرد الى ربه) أى فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أى منكرا يعنى بالنار لانها أنكر من القتل (وأمامن آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا (ثم أتبع سببا) أى سلك طرقا ومنازل (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قيل انهم كانوا فى مكان ليس بينهم و بين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا فى الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه و يلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (كذلك) أى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم فى القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم فى القوم الذين عند مغربها وهو الاصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أى علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) هما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع أرض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أى امام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا ياذا القرنين) فان قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم و يفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج ومأجوج) أصلهما من أجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام و يافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة و يافث أبو الترك والخزر والصقالبة و يأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع

(مفسدون فى الارض) قيل كانوا يا كلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر (فهل نجعل لك خرجا) خراجا حمزة وعلى أى جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن تجعل بيننا و بينهم سدا قال ما مكنى) بالادغام و بفكه مكى (فيه ربى خير) أى ما جعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى اليه (فاعينونى بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل و بالآلات (أجعل بينكم وبينهم ردما) جدارا وحاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد (آتونى زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء و جعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلدا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ

وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه و يلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن على منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط فى الطول وقال كعب هم نادرة فى ولد آدم وذلك ان آدم ٢ احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له انى باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احداهما فى القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وأمم فى وسط الارض منهم الجن والانس و يأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين باى قوة أكابدهم و باى جمع أكاثرهم و باى لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى انى سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيهم الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم فى مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم و بيوتهم فدخلوا فى دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله فى ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله فى الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم أخذ ناحية اليسرى فاتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التى فى وسط الارض فلما كان فيما يلى منقطع الترك مما يلى المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع و يأكلون الحيات والعقارب وكل ذى روح خلق فى الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم يتملكون الارض و يظهرون عليها و يفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يوارى أجسادهم و يتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما و يلتحف بالاخرى يصيف فى واحدة و يشتى فى واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج (مفسدون فى الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا وأجرا من الاموال (على أن تجعل بيننا و بينهم سدا) أى حاجزا فلا يصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (ما مكنى فيه ربى خير) أى ما قوانى به ربى خير من جعلكم (فاعينونى بقوة) يعنى لا اريد منكم المال بل أعينونى بابدانكم وقوتكم (أجعل بينكم و بينهم ردما) أى سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتونى) أى اعطونى ٢ وقيل جيؤنى (زبر الحديد) أى قطع الحديد فاتوه بها و بالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد

٢ قوله احتلم كذا بالنسخ التى بايدينا وتفسير الخطيب ويرده ما احتلم نبى قط الا أن يكون المراد أنه سال منيه فى نومه لامتلاء وعائه اه مصحح

٢ قوله وقيل جيؤنى ظاهره انه تفسير لآتونى مقطوع الهمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسيرا لائتونى بوصولها فليتأمل اه

(حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتحتين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان الصدفين مكي و بصري وشامي الصدفين أبو بكر (قال انفخوا) أي قال ذو القرنين للعملة انفخوا في الحديد (حتى اذا جعله) أي المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتوني) أعطوني (أفرغ) أصب (عليه قطرا) نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال ائتوني بوصل الالف حمزة واذا ابتدأ كسر الالف أي جيئوني (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء (أن يظهروه) أن يعلوا السد (وما استطاعوا له نقبا) أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربي) دني مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي (جعله) أي السد (دكا) أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك دكاء كوفي أي أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر قول ذي القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (في بعض) أي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون من وراء السد مزدحمين في البلاد وروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم) أي جمع الخلائق للثواب والعقاب (جمعا) تأكيد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها أو عن القرآن فاذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي وكانوا صما عنه الا أنه أبلغ اذ الاصم قد يستطيع للايمان

على الحطب (حتى اذا سوى بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) يعني في النار (حتى اذا جعله نارا) أي صار نارا (قال آتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطرا) أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه (فما اسطاعوا أن يظهروه) أي يعلوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي من أسفله لشدته وصلابته (قال) يعني ذو القرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي (فاذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الارض (وكان وعد ربي حقا) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الا خلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفي رواية فتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي وقوله قسوة وعتوا أي غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ﴿قوله عز وجل﴾ (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أن يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط انسهم بجنهم حيارى (ونفخ في الصور) فيه دليل على ان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) ليشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء وستر (عن ذكري) أي عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قبول

سمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) أى أفظن الكفار اتخاذهم عبادى يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ما ظنوا وقيل ان بصلتها سد مسد مفعولى أفحسب عبادى أولياء مفعولا أن يتخذوا وهذا أوجه يعنى انهم لا يكونون لهم أولياء (انا أعتدنا جهنم للكافرين

الايمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له ۞ قوله تعالى (أفحسب) أى أفظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) يعنى أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعنى الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيرى أولياء وانى لا أغضب لنفسى فلا أعاقبهم وقيل معناه أفظنوا انه ينفعهم أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء (انا أعتدنا) أى هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أى منزلا قال ابن عباس رضى الله عنهما هى مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف ۞ قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) يعنى الذين أتعبوا أنفسهم فى عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع وقال على بن أبى طالب هم أهل حروراء يعنى الخوارج (الذين ضل سعيهم) أى بطل عملهم واجتهادهم (فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون) أى يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أى عملا ثم وصفهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعنى أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء (فحبطت أعمالهم) أى بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيآت قال أبو سعيد الخدرى يأتى أناس بأعمال يوم القيامة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدرى بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) يعنى سخرية واستهزاء ۞ قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذى فيه الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالاشجار التى تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل فى معنى كانت لهم أى فى علم الله تعالى قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أى لا يطلبون (عنها حولا) أى تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى ۞ قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد أوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى أى ما يستمد الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا

نزلا) هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب (قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا) أعمالا تمييز وانما جمع والقياس أن يكون مفردا لتنوع الاهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو فى محل الرفع أى هم الذين (فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هى عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها) حال (لا يبغون عنها حولا) تحولا الى غيرها رضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لاغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نفى التحول تأكيد الخلود (قل لو كان البحر) أى ماء البحر (مدادا لكلمات ربى) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أى لو كتب كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس

(لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله) بمثل البحر (مددا) لنفد أيضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز نحو لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ينفد حمزة وعلي وقيل قال حيي ابن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا يجري على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا

لا يريد به الا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحي منه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) هو نهي عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ

﴿سورة مريم عليها السلام﴾

مكية وهي ثمان أو تسع وتسعون آية مدني وشامي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (كهيعص) قال السدي هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء وبأقع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمة ربك) خبر مبتدأ أي هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة (زكريا) بالقصر حمزة وعلي وحفص بدل من عبده (اذ) ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب الى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة قومه

للبحر والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفد البحر) أي لنفد ماؤه (قبل أن تنفد كلمات ربي) أي علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة ﴿ قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقرأ فيقول أنا آدمي مثلكم الا أني خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله تعالى (يوحى الي أنما الهكم اله واحد) لا شريك له في ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا) أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما أن يراد به الله سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به أي من عمل عملا مرآة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أي أسمعه المكروه (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه بريء هو والذي عمله عن سعيد بن أبي فضالة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (م) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة مريم عليها السلام﴾

هي مكية وهي ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده (ذكر) أي هذا الذي نتلوا عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (اذ نادى) أي دعا (ربه) في المحراب (نداء خفيا) أي دعاء سرا من

(قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله يارب فحذف حرف النداء والمضاف اليه اختصارا (انى وهن العظم منى) ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقط قوته ولانه أشد مافيه وأصلبه فاذا وهن كان ماوراءه أوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ماتركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييز أى فشا فى رأسى الشيب واشتعلت النار اذا تفرقت فى التهابها وصارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر وأخذه منه كل مأخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا أترى ان أصل الكلام يارب قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدنى وشاب رأسى ففيه مزيد التقرير للتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدنى ففيه عدول عن التصريح الى الكناية فهى أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت العظام من بدنى ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه انى وهنت العظام منى ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه انى وهن العظم منى لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى أبلغ وهى الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسى وأبلغ منه اشتعل رأسى شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان (٢٢٩) اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرف فى طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس منى شيبا لما مر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (ولم أكن بدعائك) مصدر مضاف الى المفعول أى بدعائى اياك (رب شقيا) أى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقى فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقت حاجته وقضى حاجته (وانى خفت الموالى) هم عصبة اخوته وبنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين (من ورائى) بعد موتى وبالقصر وفتح الياء كهداى مكى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يلون الامر من ورائى (وكانت امرأتى عاقرا) عقيما لا تلد (فهب لى من لدنك) اختراعا منك بلا سبب لان امرأتى لا تصلح للولادة (وليا) ابنا يلى أمرك بعدى (يرثنى ويرث) برفعهما صفة لوليا أى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمهما أبو عمرو وعلى على انه جواب للدعاء يقال ورثته وورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب بن اسحق (واجعله رب رضيا) مرضيا ترضاه أو راضيا عنك وبحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) تولى الله تسميته تشريفا له نبشرك بالتخفيف حمزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به

قومه فى جوف الليل وقيل راعى سنة الله فى اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل فى الاخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب انى وهن) أى رق وضعف (العظم منى) أى من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) أى ابيض الشعر (شيبا) أى شمط (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى عودتنى الاجابة فيما مضى ولم تخيبنى وقيل معناه لما دعوتنى الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان (وانى خفت الموالى من ورائى) أى من بعد موتى والموالى هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أى لا تلد (فهب لى من لدنك وليا) أى أعطنى من عندك ولدا مرضيا (يرثنى ويرث من آل يعقوب) أى وليا ذا رشاد وقيل أراد به يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويبعد من زكريا وهو نبى من الانبياء أن يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه وانما خاف أن يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما أن شاهد من بنى اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب رضيا) أى برا تقيا مرضيا

قوله تعالى (يازكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يازكريا (انا نبشرك بغلام) أى بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم أحد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله

(قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا استبعادا بل هو استكشاف انه بأى طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الا فى بكيا (قال كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك) أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيى من كبيرين سهل (وقد خلقتك من قبل) أوجدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة وعلى (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها حبل امرأتى (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول ما بازائها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول ما بازائها من الايام عرفا (فخرج على قومه من المحراب) من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فأوحى اليهم) أشار باصبعه (أن سبحوا) صلوا وان هى المفسرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (يا يحيى) أى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صبيا) حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى فقال ما للعب خلقنا (وحنانا) شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطفا على الحكم (من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلاحا فلم يعمل بذنب (وكان تقيا) مسلما مطيعا (وبرا بوالديه) وبارا بهما لا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) أمان من الله له (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتانى القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها أوحش المواطن

ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام وكانت امرأتى عاقرا) أى وامرأتى عاقر (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى يسير (وقد خلقتك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية) أى دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) أى علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أصح قيل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه ۞ قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه فانكروا ذلك عليه وقالوا له ما لك (فأوحى) أى فأومأ وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم فى الارض (أن سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة اشارة ۞ قوله عز وجل (يا يحيى) فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت لان أصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبى نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) أى رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

تحنن على هداك المليك ۞ فان لكل مقام مقالا

أى ترحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه (وكان تقيا) أى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط (وبرا بوالديه) أى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو أبلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال

سار

(واذكر) يا محمد (فى الكتاب) القرآن (مريم) أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أى اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أى تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه (فأرسلنا اليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمى روحا لان الدين يحيا به وبوحيه (فتمثل لها بشرا) أى فتمثل لها جبريل فى صورة آدمى شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر (سويا) مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة

الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى ان كان يرجى منك ان تتقى الله فانى عائذة به منك (قال) جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك) أمنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمى بل هو رسول من استعاذت به (لاهب لك) باذن الله تعالى أولا كون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع ليهب لك أى الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة (قالت أنى) كيف (يكون لى غلام) ابن (ولم يمسسنى بشر) زوج بالنكاح (ولم أك بغيا) فاجرة تبغى الرجال أى تطلب الشهوة من أى رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من أحد هذين والبغى فعول عند المبرد بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق فى امرأة صبور وشكور وعند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب (قال) جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا أو سفاحا (قال ربك هو على هين) أى اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أى عبرة وبرهانا على قدرتنا (ورحمة منا) أى ان آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدرا مسطورا فى اللوح فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فحملته) أى الموهوب وكان سنها ثلاث عشرة سنة أو عشرا أو عشرين

سائر بنى آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها ﴿ قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب) أى فى القرآن (مريم اذ انتبذت) أى تنحت واعتزلت (من أهلها) أى من قومها (مكانا شرقيا) أى مكانا فى الدار مما يلى المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست فى مشرقة تفلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) أى فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس أى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمرد وضىء الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيأ وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء فى صورة بشر فحملت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد (قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى أى ينبغى أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك لاهب) أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام ولم يمسسنى بشر) أى ولم يقربنى زوج (ولم أك بغيا) أى فاجرة تريد أن الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أى هكذا قال ربك (هو على هين) أى خلق ولدك بلا أب (ولنجعله آية للناس) أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أى ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) أى محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل ﴿ قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب وقيل نفخ فى كمها وقيل فى ذيلها وقيل فى فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام فى

(فانتبذت به) اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة وصورته في ساعة ووضعته في ساعة (مكانا قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة الملامة (فأجاءها) جاء بها وقيل ألجأها وهو منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بانها (٢٣٢) كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء أي طعامها ثم (قالت) جزعا مما أصابها (يا ليتني مت قبل هذا) اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشئ الذي حقه أن يطرح وينسى لحقارته (فناداها من تحتها) أي الذي تحتها فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها أو عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء في تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت سليت بقوله (أن لا تحزني) لانهتمي بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى أي (قد جعل ربك تحتك) بقربك أو تحت أمرك ان أمرته أن يجري جرى وان أمرته أن يقف وقف (سريا) نهرا رطبا صغيرا عند الجمهور وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعني عيسى عليه السلام وروي أن خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمي الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها (وهزي) حركي (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال أبو علي الباء زائدة أي هزي جذع النخلة (تساقط عليك) بادغام التاء الاولى في الثانية مكي

الحال (فانتبذت به) أي فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) أي بعيدا من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بجبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقي متحيرا في أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه وقع في نفسي من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرأيت ان أتكلم به أشفي صدري فقالت قل قولا جميلا قال أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا ۞ قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) أي ألجأها وجاء بها المخاض وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يبست في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت يا ليتني مت قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعني شيأ حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) أي نهرا قال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله في الارض فظهرت عين ماء عذب وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنت النخلة اليابسة فاورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أي تحت أمرك ان أمرته أن يجري جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سريا أي عيسى وكان عبدا سريا رفيعا (وهزي اليك) أي حركي اليك (بجذع النخلة تساقط عليك

ومدنى وشامى وأبو عمرو وعلى وأبو بكر والاصل تساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقطو يسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراآت (رطبا) تمييز أو مفعول به على حسب القراءة (جنيا) طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل (فكلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد الرضى وعينا تمييز أى طيبى نفسا بعيسى وارفضى عنك ما أحزنك (فاما) أصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى فان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولى انى نذرت للرحمن صمتا وامسا كا (٢٢٣) عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وانما أمرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا أطاق عنانه بمثل العراض وانما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقد سمى الاشارة كلاما وقولا ألا ترى الى قول الشاعر فى وصف القور وتكلمت عن أوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أسوغ لها هذا القدر بالنطق (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا (فاتت به) بعيسى (قومها) بعد ماطهرت من نفاسها (تحمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حاملة اياه فلما رأوه معها (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا عجيبا والفرى القطع كانه يقطع العادة (يا أخت هرون) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بنى اسرائيل أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه و بينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به فى الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) زانية (فاشارت اليه) الى عيسى أن يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تحزنى وحيلى بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتعجبوا (قالوا كيف نكلم من كان) حدث ووجد (فى المهد) المعهود (صبيا) حال

رطبا جنيا) قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلى واشربى) أى يامريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرى عينا) أى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر أحدا) معناه يسألك عن ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب (فلن أكلم اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس ۞ قوله تعالى (فاتت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فكثت فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) أى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى ياشبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوا الى انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لابيها وقيل كان من أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) أى زانية فمن أين هذا الولد (فاشارت اليه) أى أشارت مريم الى عيسى ان كلمهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل

(قال انى عبد الله) ولما أسكتت بامر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم روى انه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبد الله وفيه رد لقول النصارى (آتانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا) روى عن الحسن انه كان فى المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى لا محالة كأنه وجد (وجعلنى مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت معناه الخير

(وأوصانى) وأمرنى (بالصلوة والزكوة) ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصانى بان آمركم بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) نصب على الظرف أى مدة حياتى (وبرا بوالدتى) عطفا على مباركا أى بارا بها أكرمها وأعظمها (ولم يجعلنى جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام على يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على (ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أى ذلك السلام الموجه الى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه الى ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فالمعنى وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام على فقد عرض بان ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبره (ابن مريم) نعته أو خبر ثان أى ذلك الذى قال انى كذا وكذا عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله أو ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة اب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف أو بدل من عيسى ونصبه شامى وعاصم على المدح أو على المصدر أى أقول قول الحق هو ابن مريم وليس باله كما يدعونه (الذى فيه يمترون) يشكون من المرية الشك أو يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغى له (أن يتخذ من ولد) جىء بمن لتأكيد النفى

لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و(قال انى عبد الله) قال وهب أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولد انى عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ الها فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العظيمة من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى (آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوتى الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو فى بطن أمه (وجعلنى مباركا أينما كنت) معناه انى نفاع أينما توجهت وقيل معلما للخير أدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعنى (وأوصانى بالصلوة والزكوة) أى أمرنى بهما وكلفنى فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بادائهما فى الحال بل المراد أوصاه بادائهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر فى سياق قوله (مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه (وبرا بوالدتى) أى وجعلنى برا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى عاصيا لربى متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أى عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) أى من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أى ذلك الذى قال انى عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) أى هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذى فيه يمترون) أى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك

(سبحـنه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) بالنصب شامي أي كما قال لعيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزها أن يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) بالكسر شامي وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى يعني كما أنا عبده فانتم عبيده علي وعليكم أن نعبده ومن فتح عطف على بالصلاة أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربي وربكم أو علقه بما بعده أي ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه (هذا) الذي ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيأ (فاختلف الاحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا الى قول ثلاثة

كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبد الله مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الاحزاب اذ الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة ومن شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة ماشهدوا به في عيسى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن أسماعهم وأبصارهم جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كما كرم بزيد فمعناه كرم زيد جدا (لكن الظالمون اليوم) أقيم الظاهر مقام المضمر أي لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الها معبودا مع ظهور آثار الحدث فيه اشعارا بان لا ظلم أشد من ظلمهم (وأنذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على مافات وفي الحديث اذا رأوا منازلهم في الجنة أن لو آمنوا

(سبحانه اذا قضى أمرا) أي اذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) أي لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذي أراده (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني ولان الله ربي وربكم لارب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أخبرتكم به ان الله أمرني به هو الصراط المستقيم الذي يؤدي الى الجنة (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعني النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعني يوم القيامة حين (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبرنا انهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) أي يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين ۞ قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد في الاحسان يدل عليه ماروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أحد يموت الا ندم قالوا ماندمه يارسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع أخرجه الترمذي قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشئ الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعني بيوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشئ اذا اطلع ينظر اليه ومال نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين

(اذ) بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو مصدر (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار (وهم في غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون وهم وهم حالان أي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أي متفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء (والينا يرجعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أي يردون فيجازون جزاء وفاقا (واذكر) لقومك (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزه نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصديق المستقيم في الاحوال فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو بدل منه وهو (اذ قال) وجاز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا خصائص

الصديقين والانبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمخاطبات بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله (لابيه يا أبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما منسي غير منوي ويجوز أن يقدر أي لا يسمع شيأ ولا يبصر شيأ (ولا يغني عنك شيأ) يحتمل أن يكون شيأ في موضع المصدر أي شيأ من الاغناء وأن يكون مفعولا به من قولك أغن عني وجهك أي بعده (يا أبت اني قد جاءني من العلم)

الوحي أو معرفة الرب (ما لم يأتك) ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعني أهدك) أرشدك وانما (صراطا سويا) مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا (يا أبت اني أخاف) قيل أعلم (أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث أوحى الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما عليه بالغي المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيآت عبادته ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضي حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي شيأ من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني

الجنة والنار فيذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري ﴿ وقوله تعالى (اذ قضى الامر) أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) أي عما يراد بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أي نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم (والينا يرجعون) فنجزيهم بأعمالهم ﴿ قوله عز وجل (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) أي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قاربت رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لابيه) يعني آزر وهو يعبد الاصنام (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) يعني صوتا (ولا يبصر) ولا ينظر شيأ (ولا يغني عنك) أي يكفيك (شيأ) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الالهية وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو (يا أبت اني قد جاءني من العلم) يعني بالله والمعرفة (ما لم يأتك فاتبعني) أي على ديني (أهدك صراطا سويا) أي مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) أي عاصيا (يا أبت اني أخاف) أي أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله في مقدمة كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره باتباعه في الايمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في القول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني أخاف (أن يمسك) أي يصيبك (عذاب من الرحمن) أي ان أقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) أي قرينا في النار وقيل صديقا له في النار

أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه اوقعك في عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده في الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ماهو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كانه قال اني أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدر كل نصيحة بقوله ياأبت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا فثم (قال) آزر توبيخا (أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم) أي ترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل ياأبت بيابني وقدم الخبر على المبتدا لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لارجمنك) لاقتلنك بالرجام أولاضربنك بها حتى تتباعد أو لاشتمنك (واهجرني) عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرني واهجرني (مليا) ظرف أي زمانا طويلا من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة

أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك ربي) سأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بان يهديك للاسلام (انه كان بي حفيا) ملطفا بعموم النعم أو رحيما أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل الى الشام (وما تدعون من دون الله) أي ماتعبدون من أصنامكم (وأدعو) واعبد (ربي) ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) أي كما شقيتم أنتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء (ووهبنا لهم من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلنا لهم لسان صدق) ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفيعا مشهورا (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بماله من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع (وناديناه) دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن) من اليمين أي من ناحية اليمين والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لان الجبل لايمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام

وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامور أحدها الشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبي الهادي الى الحق لابد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل أحد فالاب أولى (قال) يعني أباه مجيباله (أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم) أي أتارك لها أنت وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أي ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها (لارجمنك) قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرني) أي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لايصيبك مني معرة (مليا) أي دهرا طويلا (قال) يعني ابراهيم (سلام عليك) أي سلمت مني لاأصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربي) قيل انه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها المغفرة (انه كان بي حفيا) أي برا لطيفا والمراد انه يستجيب اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي أفارقكم وأفارق ماتعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وادعو ربي) أي أعبد ربي الذي خلقني وأنعم علي (عسى أن لاأكون بدعاء ربي شقيا) أي أرجو أن لاأشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم ﴿قوله عز وجل﴾ (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي ذهب مهاجرا (وهبنا له) أي بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) أي آنسنا وحشته من فراقهم باولاد أكرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) أي أنعمنا عليهما بالنبوة (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي مع ماوهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعني ثناء حسنا رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختار اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الايمن) أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر

(وقربناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال اى مناجيا كنديم بمعنى منادم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أى وهبنا له نبوة أخيه والا فهرون كان أكبر سنا منه (واذكر فى الكتاب اسمعيل) هو ابن ابراهيم الاصح (انه كان صادق (٢٣٨) الوعد) وافيه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة فى مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا فى غيره من الانبياء تشريفا له وكأنه المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) مخبرا منذرا (وكان يأمر أهله) أمته لان النبى أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره (بالصلوة والزكوة) يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا) قرئ مرضوا على الاصل (واذكر فى الكتاب ادريس) هو اخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بنى قابيل وقولهم سمى به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة (انه كان صديقا نبيا) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وبها وعن الحسن الى الجنة لا شئ أعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال لملك الموت أذقنى الموت يهن على ففعل ذلك باذن الله فحيى وقال أدخلنى النار أزدد رهبة ففعل ثم قال أدخلنى الجنة أزدد رغبة ثم قيل له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذنى فعل وباذنى دخل فدعه

ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودى ياموسى انى أنا الله رب العالمين (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أى وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أى مناجيا (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى فاجاب الله دعوته وأرسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون أكبر من موسى ۞ قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم (إنه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد شيأ الا وفى به وقيل انه وعد رجلا أن يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبى عن الرجل يعد ميعادا الى أى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده فى وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادى مكة حين خلفها ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أى مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمر أهله) أى قومه وجميع أمته (بالصلوة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهى الحنيفية التى افترضت علينا وقيل كان يبدأ باهله فى الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عند ربه مرضيا) أى قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية فى المدح لان المرضى عند الله هو الفائز فى كل طاعة بأعلى الدرجات ۞ قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب ادريس) هو جد أبى نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر فى علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هى الرفعة بعلو المرتبة فى الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى ادريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خلقتنى لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يارب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال انى أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى لعلى أزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطالع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة صديق لى من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان ما أراه

(أولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من زكرياء الى ادريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابى نوح

موت أبدا قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت الا عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقى من عمر ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت فطاره دعاه الى الطعام فابى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى اريد ان أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى ان أصحبك فقال لى اليك حاجة قال وما هى قال تقبض روحى فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه ورده الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس لى اليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما هى قال أريد أن أسأل مالكا أن يرفع أبوابها فاردها ففعل قال فكما ريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فاوردتها وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج فهو حى هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى أنه حى فى السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حى واستدل بهذا وقالوا أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الارض وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما ادريس وعيسى ۞ قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أولئك اشارة الى المذكورين فى هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعنى ادريس ونوحا (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعنى اسحق واسمعيل ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم رتب الله تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (وممن هدينا واجتبينا) أى هؤلاء ممن أرشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع باك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا المراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

(فصل) وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم الساجدين الباكين لك عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك ۞ قوله تعالى (فخلف من بعدهم) أى من بعد النبيين المذكورين (خلف) أى قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل

(وممن حملنا مع نوح) ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه ولد سام ابن نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل أى يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته (وممن) يحتمل العطف على من الاولى والثانية (هدينا) لمحاسن الاسلام (واجتبينا) من الآنام أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) أى اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبر الاولئك وان جعلته صفة له كان خبرا يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقى (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (وبكيا) باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود فى جمع ساجد وقاعد فى الحديث اتلوا القرآن وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ويقول فى سجود التلاوة سبحان ربى الاعلى ثلاثا (فخلف من بعدهم) فجاء من بعدهم لاء المفضلين (خلف) أولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود

(أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة (فسوف يلقون غيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (الا من تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد ايمانه (فأولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء مكي وبصري وأبو بكر (ولا يظلمون شيأ) أي لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيأ من الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس أو نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الاقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده (٢٤٠) التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأتيا) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) فحشا أو كذبا أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها (الا سلاما) أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثم لانهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكما (من كان تقيا) عن الشرك * عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما نتنزل الا بأمر ربك) والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول أليق هنا يعني أن نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله

تتنزل

هم في هذه الامة (أضاعوا الصلاة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها عن وقتها وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ۞ قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يعني الا من تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ) أي لا ينقصون شيأ ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده مأتيا) أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام (الا سلاما) يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليما وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق التي يؤتى به بالبكرة والعشي فوصف الله تعالى الجنة بذلك ۞ وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده ۞ قوله عز وجل (وما نتنزل الا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أى له ما قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من مكان الى مكان الا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا أن نتقلب فى ملكوته الا اذا أذن لنا فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فاعبده) فاثبت على عبادته (واصطبر لعبادته) أى اصبر على مكافأة الحسود لعبادة المعبود واصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أى لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) شبيها ومثلا أوهل يسمى أحد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق أى اذا صح أن لا معبود توجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها فتهافت أبى بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ما صرنا كذا فنزل (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا) والعامل فى اذا ما دل عليه الكلام وهو أبعث أى اذا مامت أبعث وانتصابه بأخرج ممتنع (٢٤١) لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما فى اذا ما للتوكيد أيضا فكأنه قال أحقا انا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم (أولا يذكر الانسان) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والسائر بتشديد الذال الكاف وأصله يتذكر كقراءة أبى فادغمت التاء

فى الذال أى أولا يتدبر والواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود وأما الثانية فليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (انا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيأ) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافا للمعتزلة (فوربك لنحشرنهم) أى الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف وبمعنى مع ٧ أوقع أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة وفى اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشأن رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أى بارك على الركب ووزنه فعول لان أصله جثوو كسجود وساجد أى يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم

تتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساء ظنى واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت أشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ۞ وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أى له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل أكد ذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أى هو المدبر لنا فى كل الاوقات الماضى والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أى ما مضى من الدنيا (وما بين ذلك) أى من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أى ما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقى من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك أى مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أى ناسيا أى ما نسيك ربك وما تركك (رب السموات والارض وما بينهما) أى من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) أى اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحدا سمى الله غير الله ۞ قوله تعالى (ويقول الانسان) أى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبى بن خلف الجمحى وكان منكر البعث (أئذا مامت لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا بالبعث قال الله تعالى (أولا يذكر الانسان) أى يتذكر ويتفكر يعنى منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد فى بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا ۞ ثم أقسم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) أى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أى مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس

(ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة وفجورا أي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي أعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه أيهم مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من هو أشد حتى لو جيء به لاعرب بالنصب وقيل أيهم هو أشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه في من قبل (٢٤٢) يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء وموضعها

جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) أي لنخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان أشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ولا يقال أولى الا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار ۞ قوله عز وجل (وان منكم الا واردها) أي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر أي والله ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها يدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ادخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما أن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا

نصب بننزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وعلى يتعلق بافعل أي عتوهم أشد على الرحمن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز أي دخولا والباء تتعلق باولى (وان منكم) أحد (الا واردها) داخلها والمراد النار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك أطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل

هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود أنه قال وإن منكم الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة إليها والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فإنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى وإن منكم الا واردها (م) عن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وإن منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وإن منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قوله فيح جهنم أي وهجها وحرها ۞ وقوله تعالى (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورود جهنم قضاء لازما قضاه الله تعالى عليكم وأوجبه (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار أبدا وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله لا إله إلا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح أن يقال إنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه متق لأن المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي توهموها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من ينجدل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء

(كان على ربك حتما مقضيا) أي وكان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم ضرب الأمير (ثم ننجي) وعلي بالتخفيف (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون (ونذر الظالمين فيها جثيا) فيه دليل على دخول الكل لأنه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لأن المعصية لا تضر مع الإسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد

السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان أفعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة رأى نسكهتها وبهجتها سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت المواثيق والعهود أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لابي هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا آتانا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ❊ قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقته الذنوب أي أهلكته والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزورات جميعا وحميل السيل هو ما يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبني ريحها أي أذاني والقشب السم فكأنه قال قد سمني ريحها قوله وأحرقني ذكاؤها أي اشتعالها ولهبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أوان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي اضراسه وأنيابه وقيل هي آخر الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حمالة السيل أخرجه الترمذي الحمم والفحم والحمالة كل ما جاء به السيل فدلت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون ❁ قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (للذين

(واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (بينات) ظاهرات الاعجاز أو حججا وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا اذ آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم (للذين

آمنوا) للفقراء ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة (أي الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكي وهو موضع الاقامة والمنزل (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبيين لابهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى انك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أثاثا) هو متاع البيت أو ما جد من الفرش (ورئيا) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا بغير همزة مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام أو من الري الذي هو النعمة (قل من كان في الضلالة) الكفر (فليمدد له الرحمن مدا) جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أي من كفر مده الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما أخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لامحالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال (حتى اذا رأوا ما يوعدون) هي متصلة بقوله خير مقاما وأحسن نديا وما بينهما اعتراض أي لا يزالون يقولون هذا القول الى أن يشاهدوا الموعود رأي عين (اما العذاب) في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر (وأما الساعة) أي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فهما بدل لان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أعوانا وأنصارا أي فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا الاخير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز أن تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هي التي تحكى بعدها الجمل ألا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أي المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يفتخر به الكفار (وخير مردا) أي مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) وبضم الواو وسكون اللام في اربعة مواضع ههنا وفي الزخرف ونوح حمزة وعلي جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمر (اطلع الغيب) من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أي انظر في اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقا ان يؤتيه ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل فقد روي ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون

آمنوا) يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أفخر ثيابهم (أي الفريقين خير مقاما) أي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة (وأحسن نديا) أي مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) أي متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا (ورئيا) أي منظرا من الرؤية (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) أي الاسر والقتل في الدنيا (واما الساعة) يعني القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أي عند ذلك (من هو شر مكانا) أي منزلا (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خير وهم في النار أم المؤمنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا

❁ قوله عز وجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي ايمانا وايقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) أي الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أي عاقبة ومرجعا قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فأتيته أتقاضاه وفي رواية فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفا فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت أفرأيت الذي كفر بآياتنا (وقال لأوتين مالا وولدا) الى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر في اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة

وان فى الجنة ذهبا وفضة فانا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطأ هو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه (سنكتب مايقول) أى قوله والمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وهو كقوله اذاما نتسب لم تلدنى لئيمة أى علم وتبين بالانتساب أنى لست بابن لئيمة (ونمد له من العذاب) نزيده من العذاب كما يزيد فى الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى (مدا) كدبالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونرثه مايقول) أى نزوى عنه مازعم انه يناله فى الآخرة والمعنى مسمى مايقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) بلا أى بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فمايجدى عليه تمنيه وتاليه (واتخذوا من دون الله آلهة) أى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أى ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) (٢٤٦) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ماعبدتمونا وأنتم كاذبون أو للمشركين أى ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه أى يكونون عليهم لا لهم عزا وان رجع الضمير فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أى أعداؤهم ضدا أى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله (ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى خليناهم واياهم من أرسلت البعير أطلقته أو سلطناهم عليهم بالاغواء (تؤزهم) يارسول (أزا) تغريهم على المعاصى اغراء والاز والهز اخوان ومعناهما التهييج وشدة الازعاج (فلا تعجل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) أى اعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ماتنفد (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لايرده الا لعطش وحقيقة الورود المسير الى الماء فيسمى به الوارد دون فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالا يوصف أى اذكر يوم نحشر ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم مساقون الى النار كأنهم نعم

(كلا) ردعليه يعنى لم يفعل ذلك (سنكتب مايقول) أى سنحفظ عليه مايقول فنجازيه به فى الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا مايقول (ونمد له من العذاب مدا) أى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه مايقول) معناه أى ماعنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ماعنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعنى يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث فى الآخرة بمال وولد ۞ قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أى منعة يعنى يكونوا شفعاء يمنعونهم من العذاب (كلا) أى ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعنى تجحد الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) أى أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداءهم وكانوا أولياءهم فى الدنيا ۞ قوله عز وجل (ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطناهم عليهم (تؤزهم أزا) أى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) أى لاتعجل بطلب عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا الى الاجل الذى أجل لعذابهم ۞ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى اذكر لهم يامحمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو هريرة على الابل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه مايحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) أى الكافرين (الى جهنم وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل

عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواو ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أى الاشفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن فى الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيأ ادا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام

بانه يقول لهم ذلك والاد العجب أو العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى الامر أثقلنى وعظم على ادا (تكاد السموات) تقرب وبالياء نافع وعلى (يتفطرن) وبالنون بصرى وشامى وحمزة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه (منه) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تنخسف وتنفصل أجزاؤها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعا أو هدما والهدة صوت

الصاعقة من السماء وهو مصدر أى تهد هدا من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أى مهدودة (أن دعوا) لان سموا ومحله جر بدل من الهاء فى منه أو نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أى هدها دعاؤهم (للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بغى اذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (فى السموات والارض) وخبر كل (الا آتى الرحمن) ووحد آتى وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أى يأتيه (عبدا) حال أى خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من فى السموات والارض من الملائكة والناس الا هو يأتى الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والبنوة تتنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى حصرهم بعلمه وأحاط بهم

يارسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذى ۞ قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا المؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أى لا يشفع الا للمؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيأ ادا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أى تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أى من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وانى لا أعجل بالعقوبة الثانى أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) أى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد أن يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) أى آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شىء من

مقة فى قلوب الابرار ومهابة فى قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء فى الارض حتى يستقر له فى السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) شدادا فى الخصومة بالباطل أى الذين يأخذون فى كل لديد أى شق من المراء والجدال جمع ألد يريد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أى هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أى لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعنى هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم

﴿سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهى مائة وخمس وثلاثون آية كوفى﴾

أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أى وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شئ ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وفى رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول انى أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء فى الارض قال هرم ابن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب فى التوراة لا محبة لاحد فى الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك فى القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا ﴿ قوله تعالى (فانما يسرناه) أى سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعنى المؤمنين (وتنذر به) أى بالقرآن (قوما لدا) أى شدادا فى الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذى لا يستقيم ولا يقبل الحق و يدعى الباطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وأيقنوا أنه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصى أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أى هل ترى وقيل هل تجد منهم أى من القرون (من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة طه﴾

﴿وهى مكية وهى مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية وألف وستمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا﴾

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التى فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يا رجل والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغتها العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه﴾ فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو وأمالهما حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وفخمهما على الاصل غيرهم وما روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور فى سورة البقرة فنزلت

(ماأنزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعديد الاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهى فى موضع المبتدا والقرآن ظاهر اوقع موقع المضمر لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهى قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أى ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة) استثناء منقطع أى لكن أنزلناه تذكرة أوحال (لمن يخشى) لمن يخاف الله أولمن يؤل أمره الى الخشية (تنزيلا) بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز أن ينتصب بنزل مضمرا أو على المدح أو بيخشى مفعولا به أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (ممن خلق الارض والسموات) من يتعلق بتنزيلا صلة له (العلى) جمع العلياء تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرحمن) رفع على المدح أى هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدا محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أى ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يدفلان مبسوطة أى جواد وان لم يكن له يد رأسا والمذهب قول على رضى الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولامكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما فى السموات وما فى الارض) خبر ومبتدأ ومعطوف (وما بينهما) أى ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الاراضين أو هو الصخرة التى تحت الارض السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما أسررته الى غيرك (وأخفى) منه وهو ما اخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك وما ستسره فيها (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أى هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته رد لقولهم انك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) أى وقد (أتاك حديث موسى) خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أى حين رأى (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا فى الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له ابن فى الطريق فى ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا فى زعمه وكان نورا

فنزلت (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعنى وتتعب (الا تذكرة لمن يخشى) أى لكن أنزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) أى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى لا يقدر على خلقها فى عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه فى سورة الاعراف مستوفى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما) يعنى الهواء (وما تحت الثرى) أى انه مالك لجميع ما فى الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندى وقيل معناه ما وراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى جوفه يبست ❁ قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أى تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما تسر فى نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم فى نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسره الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسره فى نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب فى الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغى أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب أو عقاب فالسر هو الذى يسره المرء فى نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة ❁ ثم وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن ❁ قوله عزوجل (وهل أتاك حديث موسى) أى وقد أتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا فى الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت أيام الشتاء

(فقال لاهله امكثوا) أقيموا في مكانكم (اني آنست) ابصرت (نارا) والايناس رؤية شئ يؤنس به (لعلي آتيكم منها) بني الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به (بقبس) نار مقتبس في رأس عود او فتيلة (أو أجد على النار هدى) ذوي هدى أو قوما يهدونني الطريق ومعنى الاستعلاء في على النار ان أهل النار يستعلون المكان القريب منها (فلما أتاها) أي النار وجد نارا بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحدا وروي انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فثم (نودي) موسى (ياموسى اني) بكسر الهمزة أي نودي فقيل ياموسى اني أو لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وبالفتح مكي وأبو عمرو أي نودي باني (أنا ربك) أنا مبتدأ أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي ياموسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل بانه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه (فاخلع نعليك) انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس أو لانها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) حيث كان منون شامي وكوفي لانه اسم علم للوادي وهو بدل منه وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وانا اخترناك حمزة او (فاستمع لما يوحى) اليك للذي يوحى أو للوحي واللام يتعلق باستمع أو باخترتك (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) وحدني وأطعني (وأقم الصلوة لذكري) لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار أو لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لتكون لي ذاكرا غير ناس أو لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أو لذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي وهذا دليل على انه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها

فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فألجأه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فأخذ امرأته الطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) أي أقيموا (اني آنست نارا) أي أبصرت نارا (لعلي آتيكم منها بقبس) أي شعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما آتاها) أي أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطافت بها نار بيضاء تتقد كاضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روي ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى نارا بل كان نورا وذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روي عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك (نودي ياموسى اني أنا ربك) قال وهب نودي من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال اني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أذنا ۞ وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وروي غير مدبوغ وانما أمر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل أمر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فألقاهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوي في استدارته (وأنا اخترتك) اصطفيتك برسالاتي وبكلامي (فاستمع لما يوحى) فيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) ولا تعبد غيري (وأقم الصلاة لذكري) أي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة وأقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة

(ان الساعة آتيه) لامحالة (أكاد) أريد عن الاخفش وقيل صلة (أخفيها) قيل هو من الاضداد أى أظهرها أو أسترها عن العباد فلا أقول هى آتية لارادتى اخفاءها ولولا مافى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها فى كل وقت لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن اقامة الصلاة أو عن الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) فى مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وماتلك بيمينك ياموسى) ما مبتدأ وتلك خبره وهى بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة أى قارة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطين لئلا (٢٥١) يهول انقلابها حية أو للايناس ورفع الهيبة للمكالمة (قال هى عصاى أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمى) اخبط ورق الشجر على غنمى لتأكل (ولى فيها) حفص (مآرب) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهى الحاجة (أخرى) والقياس أخر وانما قال أخرى ردا الى الجماعة أو لنسق الآى وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا أجمل الباقى حياء من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد فى الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا أو لانها جواب سؤال آخر لانه لما قال هى عصاى قيل له ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها (قال ألقها ياموسى) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلا تسكن الا بنا وترى فيها كنه مافيها من المآب فتعتمد علينا فى المطالب (فألقاها) فطرحها (فاذا هى حية تسعى) تمشى سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما رآها تبتلع كل شئ خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق فى غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها أو لانها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا ولما

أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلاة لذكرى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسى فكيف يعلمها المخلوق وكيف أظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا فى الكتمان للشئ يقولون كتمت سرك فى نفسى أى أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصى الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى أو يتوب منها فى كل وقت مخافة معاجلة الاجل ﴿قوله تعالى﴾ (لتجزى كل نفس بما تسعى) أى بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) أى فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها (واتبع هواه) أى مراده وخالف أمر الله (فتردى) أى فتهلك ﴿قوله عز وجل﴾ (وماتلك بيمينك ياموسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هى عصاى) قيل كان لها شعبتان وفى أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكأ عليها) أى أعتمد عليها اذا مشيت واذا أعييت وعند الوثبة (وأهش بها على غنمى) أى أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولى فيها مآرب أخرى) أى حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقى وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها ياموسى) أى انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها (فألقاها) أى فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هى حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) أى تمشى بسرعة على بطنها وقال فى موضع آخر كأنها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال فى موضع آخر كأنها ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم ما يكون

(قال) لمر به (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه ان أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها (سنعيدها) سنردها (سيرتها الاولى) تانيث الاولى
والسيرة الحالة التي يكون عليها لانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة
والطريقة وانتصبت على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الاولى أي في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت واري ذلك موسى
عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبهه على آية أخرى فقال (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد
وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران والمعنى ادخلهما

تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لنبوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وجاز ان ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به الامر (لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى والعظمى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغى) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي وعرف انه كلف أمرا عظيما يحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لي صدري) وسعه ليحتمل الوحي والمشاق ورديء الاخلاق

من فرعون وجنده (ويسر لي امري) وسهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واشرح لي صدري آكد ان
من اشرح صدري لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل لانه يقول اشرح لي ويسر لي علم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع
الابهام بذكرهما الصدر والامر (واحلل) افتح (عقدة من لساني) وكان في لسانه رتة للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك ان موسى
اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لا يعقل فجعلت في طشت نارا وفي طشت يواقيت
ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنتهما وروي أن يده

من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر
بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صريفا
عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ياموسى أقبل وارجع
حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) أي بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما لقي
آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده في فمها وأخذ
بلحييها (سنعيدها سيرتها الاولى) أي الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف
قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها
وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة
تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي
عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يري
موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون ۞ قوله تعالى
(واضمم يدك الى جناحك) أي الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة (من غير
سوء) أي من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار
كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى)
قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته ۞ قوله عز وجل (اذهب الى فرعون انه طغى) أي جاوز الحد في
العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر
وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق
برسالتي وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني ألبسك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في
أمري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمي وأمن مكري حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي واني أقسم
بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه
رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يتنفس الا
بعلمي قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك (قال) يعني موسى (رب اشرح لي صدري) أي وسعه
للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته
وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم
ان أحدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده
(ويسر لي أمري) أي سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك

احترقت واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها ومن اسانى صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد اسانى وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها وأ كثرهم على ذهاب جيعها (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لى وزيرا) ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أومن الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجىء اليه فى أموره أومعينا من الموازرة وهى المعاونة فوزيرا مفعول أول لاجعل والثانى (من أهلى) أولى وزيرا مفعولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزيرا وقوله (أخى) بدل أوعطف بيان آخر ووزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بامر الوزارة (أشدد به أزرى) قو به ظهرى وقيل الازر القوة (وأشركه فى أمرى) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة واشدد واشركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كى نسبحك) نصلى لك وننزهك تسبيحا (كثيرا ونذكرك كثيرا) فى الصلوات وخارجها (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا فاجابه الله تعالى حيث (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أعطيت

مسؤلك فالسؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز سولك بلا همز أبو عمرو (ولقد مننا) أنعمنا (عليك مرة) كرة (أخرى) قبل هذه ثم فسرها فقال (اذ أوحينا الى أمك مايوحى) الهاما أومناما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك واذ ظرف لمننا ثم فسر مايوحى بقوله (ان اقذفيه) القيه (فى التابوت) وان مفسرة لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليم) النيل (فليلقه اليم بالساحل) الجانب وسمى ساحلا لان الماء يسحله أى يقشره والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الاخبار أى يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدولى وعدوله) يعنى فرعون والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضى الى تنافر النظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى فى جوف التابوت روى أنها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا بصبى أصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا فذلك قوله (وألقيت عليك محبة منى) يتعلق منى بالقيت يعنى انى احببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب فما رآه أحد الا أحبه قال قتادة كان فى عينى موسى ملاحة ما رآه أحد الا أحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عينى) أى بالتربى برأى منى وأصله من صنع الفرس أى احسن القيام عليه يعنى انا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على انه امر منه (اذ تمشى) بدل من اذ أوحينا لان مشى أخته كان منة عليه (اختك فتقول هل ادلكم على

ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبى لا يعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صبى لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين فى أحدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعهما بين يدى موسى فاراد أن ياخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا قولى) أى احلل العقدة كى يفهموا قولى (واجعل لى وزيرا من أهلى) معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرونَ أخى) وكان هرون أكبر من موسى وأفصحَ لساناً وأجلَ وأوسمَ وكان أبيضَ اللونِ وكان موسى آدمَ أقنى جعدا (أشدد به أزرى) أى قو به ظهرى (وأشركه فى أمرى) أى فى امر النبوة وتبليغ الرسالة كى نسبحك كثيرا أى نصلى لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) أى نحمدك ونثنى عليك بما أوليتنا من جميل نعمك (انك كنت بنا بصيرا) أى خبيرا عليما (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك ياموسى) أى أعطيتَ جميعَ ما سألته (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) أى ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (أن اقذفيه فى التابوت) أى ألهمناها أن اجعليه فى التابوت (فاقذفيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطئ البحر (يأخذه عدو لى وعدو له) يعنى فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم ألقته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجىء به الماء فامر الغلمان والجوارى باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه أحد الا أحبه لملاحة كانت فى عينى موسى (ولتصنع على عينى) انربى ويحسنَ اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تمشى أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على

من يكفله) روي ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه ويربيه وأرادت بذلك المرضعة الام وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقوله انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقتلت نفسا) قبطيا كافرا (فنجيناك من الغم) من القود فيه انما قتل بامعة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل

ما يبتلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فلبثت سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر صفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد (ثم جئت على قدر ياموسى) أى موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى قال الزجاج اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير (فى ذكرى) أى اتخذا ذكرى

من يكفله) أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك كى تقر عينها) أى بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أى وليذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) أى من غم القتل وكربه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها ان أمه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدى أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا (فلبثت) أى مكثت (سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر ياموسى) أى جئت على القدر الذى قدرت أن تجىء فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه (واصطنعتك لنفسى) أى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) أى لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا (فى ذكرى) أى لا تقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا) أى داريا وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى أن تزكى الآية وقيل انما أمرهما بالملاطفة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه وكان هرون بمصر فأمر الله موسى أن يأتى هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة وأخبره بما أوحى اليه ﴿ وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر

جناحا تطيران به أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا الى فرعون) وقد كرر لان الاول مطلق والثانى مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) الطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه الا بالموت أو هو قوله هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أى يتعظ ويتأمل فيذعن للحق (أو يخشى) أى يخاف أن يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لا يتذكر لان الترجى لهما أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله

يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشي وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لا يقطع أمرا دونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول أنا الاله فكيف بمن قال أنت الاله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أي عجل (أو أن يطغى) يجاوز الحد في الاساءة الينا (قال لا تخافا انني معكما) أي حافظكما وناصركما (أسمع) أقوالكم (وأرى) أفعالكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أسمع دعاءكما فاجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه) أي فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فارسل معنا بني

اسرائيل) أي أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولا تعذبهم) بتكليف المشاق (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير والتفصيل لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها وهي المجيء بالآي فقال فرعون وما هي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) أي سلم من العذاب من أسلم وليس بتحية وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انا قد أوحي الينا أن العذاب) في الدنيا والعقبى (على من كذب) بالرسل (وتولى) أعرض عن الايمان وهي أرجى آي القرآن لانه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء فاتياه وأديا الرسالة وقالا له ما أمر به (قال فمن ربكما ياموسى) خاطبهما ثم نادى أحدهما لان موسى هو الاصل في النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاءه (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى (قال فما بال القرون الاولى) فما حال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد (قال) موسى مجيبا (علمها عند ربي) مبتدأ وخبر

وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر او يخشى خاش اذا رأى بري والطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقولا له قولا لينا الآية فبكى يحيى وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول أنت الاله (قالا) يعني موسى وهرون (ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطغى) أي يجاوز الحد في الاساءة الينا (قال) الله تعالى (لا تخافا انني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه فقولا انا رسولا ربك) أي أرسلنا اليك ربك (فأرسل معنا بني اسرائيل) أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أي لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هي فأخرج موسى يده شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أي انما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه (قال) يعني فرعون (فمن ربكما ياموسى) أي فمن الهكما الذي أرسلكما (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرة والحمار الاتان ثم هدى أي ألهمه كيف يأتي الذكر الانثى (قال) يعني فرعون (فما بال القرون الاولى) أي فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى (قال) يعني موسى (علمها عند ربي) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه

(فى كتاب) أى اللوح حبرنا أى هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرنى به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) أى لا يخطئ شيأ يقال ضللت الشئ اذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له أى لا يخطئ فى سعادة الناس وشقاوتهم (ولا ينسى) ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه (الذى) مرفوع صفة لربى أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جعل لكم الارض مهدا) كوفى وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش (وسلك) أى جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وأنزل من السماء ماء) أى مطرا (فأخرجنا به) بالماء نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أى فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس (أزواجا) أصنافا (من نبات) هو مصدر سمى به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع (شتى) صفة للازواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أى انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى ان أرزاقنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير فى فأخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (ان فى ذلك) فى الذى ذكرت (لآيات) لدلالات (لاولى النهى) لذوى العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور أو ينتهى اليها فى الامور (منها) من الارض (خلقناكم) أى أباكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لان النطفة من الاغذية وهى من الارض (وفيها نعيدكم) اذا متم فدفنتم (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة أخرى) مرة أخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التى منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى أصلهم الذى منه تفرعوا وأمهم التى منها ولدوا وهى كفاتهم اذا ماتوا (ولقد أريناه) أى فرعون (آياتنا كلها) وهى تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل (فكذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك ياموسى) فيه دليل على انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والا فأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان موعد والضمير فى (لا نخلفه) للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولا أنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر حجازى وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت لمكانا أى منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على تأويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثانى تقديره وعدكم

(فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) أى لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ (ولا ينسى) أى فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذى جعل لكم الارض مهادا) أى فرشا وقيل مهدها لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أى أدخل فى الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها (وأنزل من السماء ماء) يعنى المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فأخرجنا به) أى بذلك الماء (أزواجا) أى أصنافا (من نبات شتى) أى مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أى أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعى (ان فى ذلك) أى الذى ذكر (لآيات لاولى النهى) أى لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) أى من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره فى النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) أى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) أى يوم القيامة للبعث والحساب ۞ قوله تعالى (ولقد أريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع التى أعطاها الله موسى (فكذب وأبى) يعنى فرعون وزعم انها سحر وأبى ان يسلم (قال) يعنى فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) يعنى مصر (بسحرك ياموسى) تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى اضرب أجلا وميقاتا (لا نخلفه) لا نجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) أى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو

النيروز

وعد يوم الزينة (وان يحشر الناس) أي تجمع في موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة (ضحى) أي وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع أهل الوبر والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا (ثم أتى) للموعد (قال لهم موسى) أي للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) كوفي غير أبي بكر يهلككم وبفتح الياء والحاء غيرهم والسحت والاسحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهي (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أي السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أي لا تفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم وأسروا النجوى) أي تشاوروا في السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعني (قالوا ان هذان لساحران) يعني موسى وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هي بمعنى ما واللام بمعنى الا أي ما هذان الا ساحران

دليله قراءة أبي ان ذان الا ساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هي لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالالف أبدا فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى قال ان أباها وأبا أباها* قد بلغا في المجد غايتاها وقال الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر ويقلن شيب قد علاك* وقد كبرت فقلت انه أي نعم والهاء للوقف وهذان مبتدا وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على المبتدا المحذوف فتقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدا قال* خالي لانت ومن جرير خاله* قال فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو علي (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث الامثل وهو الافضل (فاجمعوا) فاحكموا أي اجعلوا مجمعا عليه حتى لا تختلفوا فاجمعوا أبو عمرو ويعضده فجمع كيده (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم ائتوا صفا) مصطفين حال أمروا بان يأتوا صفا لانه أهيب في صدور الرائين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أي السحرة (ياموسى اما أن تلقي) عصاك أولا (واما أن نكون أول من ألقى) ما معناه وموضع أن مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكانه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم أولا حتى (قال بل ألقوا) أنتم أولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها وخصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة

يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وأن يحشر الناس ضحى) أي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع) يعني فرعون (كيده) يعني مكره وسحره وحيله (ثم أتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعني للسحرة التي جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر ألفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) أي فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) أي خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى ۞ قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (وأسروا النجوى) أي المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) يعني موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) يعني من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعني يريدان أن يذهبا بهم لانفسهما وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذي أنتم عليه (فاجمعوا كيدكم) أي لا تدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم (ثم ائتوا صفا) أي جماعة مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي فاز من غلب (قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما أن تلقي) أي عصاك (واما أن نكون أول من ألقى) أي عصينا (قال) يعني موسى (بل ألقوا) يعني أنتم أولا (فاذا حبالهم) فيه اضمار أي فالقوا فاذا حبالهم (وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى)

اليه السمى (يخيل) وبالتاء ابن ذكوان (اليه) الى موسى (من سحرهم انها تسعى) رفع بدل اشتمال من الضمير فى يخيل أى يخيل الملقى روى انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أضمر فى نفسه خوفا ظنا منه أنها تقصده للجبلة البشرية أوخاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لاتخف انك أنت الاعلى) الغالب القاهر وفى ذكر ان وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (وألق ما فى يمينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف ابن ذكوان الباقون تلقف (ماصنعوا) زوروا وافتعلوا أى اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها تحتفل بما صنعوا فان مافى يمينك أعظم منها أو تحقيرا أى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الذى فى يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها (انما صنعوا كيد ساحر) كوفى غير عاصم سحر بمعنى ذى سحر أوذوى سحر أوهم لتوغلهم فى السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أومصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع لان القصد فى هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد ألا ترى الى (٢٥٨) قوله (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس (حيث أتى) أينما كان فألقى موسى عصاه فتلقفت ماصنعوا فلعظم مارأوا من الآية وقعوا الى السجود فذلك قوله (فألقى السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعة ماسجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين روى انهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤسهم ثم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) وانما قدم هرون هنا وأخر فى الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لاتوجب ترتيبا (قال آمنتم) بغير مد حفص وبهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم (له قبل أن آذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أولمعلمكم تقول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى عليه (فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعنى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع تمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) وخص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أينا أشد عذابا) انا على ايمانكم بى أورب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وأبقى) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) القاطعة الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أوقسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم (فاقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال وعليهما مسرودتان قضاهما أى صنعهما أواحكم ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) أى فى هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أى انما تحكم فينا مدة حياتنا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا

قيل انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى كان الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورآها كأنها تسعى (فأوجس) أضمر وقيل وجد فى نفسه (خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا فى أمره فلا يتبعوه (قلنا لاتخف) أى قال الله تعالى لموسى لاتخف (انك أنت الاعلى) أى الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر (وألق مافى يمينك) أى عصاك والمعنى لايخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان فى يمينك شيأ أعظم منها كلها (تلقف) أى تلتقم وتبتلع (ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر حيث أتى) أى من الارض وقال ابن عباس لايسعد حيث كان (فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا أراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة (قال) يعنى فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) أى لرئيسكم وعظيمكم يعنى انه أسحركم وأعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم (الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) أى على جذوع النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا) أى على ايمانكم به أنا أورب موسى على ترك الايمان به (وأبقى) أى أدوم (قالوا) يعنى السحرة (لن نؤثرك) أى لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فأين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات (والذى فطرنا) قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرنا (فاقض ما أنت قاض) أى فاصنع ما أنت صانع (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) أى انما أمرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا

عليه) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما روى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيا) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا في البحر) اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما (يبسا) أي يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لا تخاف) حال من الضمير في فاضرب أي اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف حمزة على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك (ولا تخشى) الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استئناف أي وأنت لا تخشى أو يكون الالف للاطلاق كما في وتظنون بالله الظنونا نخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون في ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله (فأتبعهم فرعون بجنوده) وهو حال أي خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ما غشيهم) هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما أرشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله (يا بنى اسرائيل) أي أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يا بنى اسرائيل (قد أنجيناكم من عدوكم) أي فرعون (وواعدناكم) بايتاء الكتاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والايمن نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) في التيه وقلنا لكم

عليه من السحر) فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون أكرههم في الابتداء على تعلمهم السحر لكي لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون أكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى اذا هو نام فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى عليهم فأكرههم على أن يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبقى) أي خير منك ثوابا وأبقى عقابا وقيل خير منك ان أطيع وأبقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) أي من مات على الايمان (قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أي الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) أي تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وانعما أخرجه الترمذى قوله وانعما يقال أحسن فلان الى فلان وانعم أي أفضل وزاد في الاحسان والمعنى انهما منهم وزادا وتناهيا الى غايته ۞ قوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أي أسر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) أي اجعل لهم طريقا (في البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) أي يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيبس لهم الطريق في البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك (فأتبعهم) أي فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم) أي أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) أي وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ۞ قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما قال

(كلوا من طيبات) حلالات (ما رزقناكم) أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لانهوض بعده وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف الايمان الى حفرة من حفر النيران قرأ علي فيحل ويحلل الباقون بكسرهما فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجل بك (عن قومك ياموسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي

أي شيء أوجب عجلتك استفهام انكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قال هم أولاء على أثري) أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت اليك رب) أي الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لتزداد عني رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قد فتنا قومك) ألقيناهم في فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضلهم السامري) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا واسمه موسى ابن ظفر وكان منافقا

(فرجع موسى) من مناجاة ربه (الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب أو حزينا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا ولا وعد أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي) وعدوه أن يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الآيات فأخلفوا وعده باتخاذ العجل (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الميم مدني وعاصم وبضمها حمزة وعلي وبكسرها غيرهم أي ما أخلفنا موعدك بان ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناك موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده (ولكنا حملنا) بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزارا من زينة القوم)

وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشرعهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تتقووا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا (فيحل عليكم غضبي) أي يجب عليكم غضبي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وسقط في النار (واني لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) أي وحد الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) أي أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة ۞ قوله عز وجل (وما أعجلك) أي وما حملك على العجلة (عن قومك ياموسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك ياموسى فاجاب ربه (قال هم أولاء على أثري) أي هم بالقرب مني يأتون على أثري من بعدي فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أثري قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلت اليك رب لترضى) أي لتزداد رضا (قال فانا قد فتنا قومك) أي فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعد انطلاقك الى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما أضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المسببات تضاف الى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا وأضلهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جار الموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أي حزينا جزعا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقا انه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فأخلفتم موعدي) يعني ماوعدوه من الاقامة على دينه الى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك أمرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أي حملنا مع

انفسنا

أثقالا من حلى القبط أو أرادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة ان لنا غدا عيدا فقال السامرى انما حبس موسى لشؤم حرمتها لانهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستامن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها وخبأ فى حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا مجوفا فخار بدخول الريح فى مجارمنه أشباه العروق وقيل نفخ فيه ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحيى فخار ومالت طباعهم الى الذهب فعبدوه (فقذفناها) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى (فكذلك ألقى السامرى) مامعه من الحلى فى النار أو مامعه من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة (عجلا) خلقه الله تعالى من الحلى التى سبكتها النار ابتلاء (جسدا) مجسدا (له خوار) صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل (فقالوا) أى السامرى واتباعه (هذا الهكم واله موسى) فاجاب عامتهم الاثنى عشر الفا (فنسى) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أو نسى السامرى الاستدلال على ان العجل لا يكون الها بدليل قوله (أفلا يرون ان لا يرجع) أى انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة (اليهم قولا) أى لا يجيبهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه الها وقيل انه ماخار الامرة (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (ياقوم انما فتنتم به) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعونى) كونوا على دينى الذى هو الحق (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على العجل بعبادته (حتى يرجع الينا موسى) فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق السامرى أم لا فلما رجع موسى

أنفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت أوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام أى حملنا آثاما وذلك أن بنى اسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم (فقذفناها) أى ألقيناها قيل ان السامرى قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامرى) أى ما كان معه من الحلى فيها قال ابن عباس أوقد هرون نارا وقال اقذفوا مامعكم فيها وقيل ان هرون مر على السامرى وهو يصوغ العجل فقال له ماهذا قال اصنع ماينفع ولا يضر فادع لى فقال هرون اللهم أعطه ماسألك على مافى نفسه فالقى السامرى ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل فى فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامرى صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثانى انه صار حيا وخار كما يخور العجل (فقالوا هذا الهكم واله موسى) يعنى قال ذلك السامرى ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيأ قط مثله (فنسى) قيل هو اخبار عن قول السامرى أى ان موسى نسى الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه فى طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامرى انه نسى الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا) أى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل ۞ قوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى من قبل رجوع موسى (ياقوم انما فتنتم به) أى ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعونى) على دينى فى عبادة الله (وأطيعوا أمرى) أى فى ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الوجوه لانه زجرهم أولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهى ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) أى لن نزال (عليه) أى على عبادة العجل (عاكفين) أى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كأنهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر

(قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الا تتبعني) بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل وغيرهم بلا ياء أي ماداعاك الى ان لا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني أوما منعك ان تتبعني في الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت أباشره انا لو كنت شاهدا (أفعصيت أمري) أي الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة في الله ملكته (قال يا ابن أم) وبخفض الميم شامي وكوفي غير حفص وكان لابيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترفيقا (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) ثم ذكر عذره فقال (اني خشيت أن تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بني اسرائيل) أو خفت أن تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحق بي فريق وتبع السامري فريق فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولي) اخلفني في قومي واصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامري منكرا عليه حيث (قال فما خطبك) ما أمرك الذي تخاطب عليه (يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به) وبالتاء حمزة وعلي قال الزجاج بصر علم وابصر نظر أي علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذاك قال رأيت جبريل على فرس الحياة فالقي في نفسي ان أقبض من أثره فما ألقيته على شيء الا صار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبصت قبصة فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع (من أثر الرسول) أي من أثر فرس الرسول وقرئ بها (فنبذتها) فطرحتها في جوف العجل (وكذلك سولت) زينت (لي نفسي) ان أفعله ففعلته اتباعا للهوى وهو اعتراف بالخطأ واعتذار (قال) له موسى (فاذهب) من بيننا طريدا (فان لك في الحيوة) ماعشت (ان تقول) لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك (لا مساس) أي لا يمسني أحد ولا أمسه فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق أن يماس أحدا حم الماس والممسوس وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس ويقال ان ذلك موجود في أولاده الى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام ان يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه (وان لك موعدا لن تخلفه) أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا لن تخلفه مكي وأبو عمرو وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا (وانظر الى الهك

الذي

رأسه بيمينه ولحيته بشماله و(قال) له (يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) أي اشركوا (ألا تتبعن) أي تتبع أمري ووصيتي وهلا قاتلتهم قد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما أتوه (أفعصيت أمري) أي خالفت أمري (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أي بشعر رأسي وكان قد أخذ بذوائبه (اني خشيت ان تقول) أي لو أنكرت عليهم لصاروا احزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بني اسرائيل) أي خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب قولي) أي لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فما خطبك) أي فما أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري قال) يعني السامري (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) أي فقذفتها في فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكروا فيه وجهين أحدهما ان أمه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامري من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سولت) أي زينت (لي نفسي) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعني الى فعله غيري واتبعت فيه هواي (قال) يعني موسى للسامري (فاذهب فان لك في الحيوة) أي مادمت حيا (أن تقول لا مساس) أي لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد فعوقب في الدنيا بعقوبة ولا شيء أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى أمر بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحدا ولا يمسه أحد وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) أي يا سامري (موعدا) أي بعذابك في الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهك) أي الذي تزعم

الذى ظلت عليه) وأصله ظللت لحذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقيما (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) لنذرينه (فى اليم نسفا) فحرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز أى وسع علمه كل شئ ومحل الكاف فى (كذلك) نصب أى مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك (وقد آتيناك) أى أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهره أو لانها جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من الضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى ووحد فى فانه حملا على لفظ من (فيه) فى الوزر أى فى جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل

حملا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة ننفخ أبو عمرو (فى الصور) القرن أو هو جمع صورة أى ننفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتسارون (بينهم) أى يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم (ان لبثتم) ما لبثتم فى الدنيا (الا عشرا) أى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار أو لانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة لانها أبد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منه بقوله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (ويسئلونك عن الجبال) سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره ان سألوك (فقل) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى وقوله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى ويسئلونك عن الروح قل الروح ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا لانها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء (ينسفها ربى نسفا) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل يقلعها

(الذى ظلت عليه عاكفا) أى دمت عليه مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) أى لنذرينه (فى اليم) أى فى البحر (نسفا) روى أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه فى النار ثم ذراه فى البحر وقيل معناه لنحرقنه أى لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها فى البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وابطال ما ذهب اليه السامرى رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبنى اسرائيل (انما الهكم الله) أى المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ وقيل علم من يعبده * قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعنى من أخبار (ما قد سبق) يعنى الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أى عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أى حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) أى مقيمين فى عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس ما حملوا أنفسهم من الاثم (يوم ينفخ فى الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) أى يتشاورون (بينهم) ويتكلمون خفية (ان لبثتم) أى مكثتم فى الدنيا (الا عشرا) أى عشر ليال وقيل فى القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى يتشاورون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) قصر ذلك فى أعينهم فى جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم

قوله عز وجل (ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو

القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) أي يدع أماكن الجبال من الارض (قاعا صفصفا) أي أرضا ملساء مستوية لانبات فيها (لاترى فيها عوجا ولا أمتا) أي لاانخفاضا ولا ارتفاعا أي لاترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لاعوج له) أي لاعوج لهم عن دعائه ولايزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) أي سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلاتسمع الاهمسا) وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (يومئذ لاتنفع الشفاعة) لاحد من الناس (الامن أذن له الرحمن) أي الامن أذن له أن يشفع (ورضي له قولا) قال ابن عباس يعني قال لااله الاالله وفيه دليل على انه لايشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لاتحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي أي يعلم الله ماقدموا من الاعمال وماخلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لاتنفع الشفاعة الالمن أذن له الرحمن أن يشفع ثم قال يعلم مابين أيديهم أي أيدي الشافعين وماخلفهم (ولايحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما أي هو يعلم مابين أيديهم وماخلفهم وهم لايعلمونه والمعنى ان العباد لايحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى أي ولايحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر ۞ وقوله تعالى (للحي القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلما ولاهضما) قال ابن عباس معناه لايخاف ان يزاد على سيآته ولاينقص من حسناته وقيل لايؤاخذ بذنب لم يعمله ولاتبطل عنه حسنة عملها ۞ قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أي كما بينا في هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) أي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) أي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم

(فيذرها) فيذر مقارها أو يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ماترك على ظهرها (قاعا صفصفا) مستوية ملساء (لاترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كان المفتوح في الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لايمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال أي يوم اذ نسفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر أي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوبه لايعدلون عنه (لاعوج له) أي لايعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرحمن) هيبة واجلالا (فلاتسمع الاهمسا) صوتا خفيفا لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أي لاتسمع الاخفق الاقدام ونقلها الى المحشر (يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن) محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لاتنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أي أذن للشافع في الشفاعة (ورضي له قولا) أي رضي قولا لاجله بان يكون المشفوع له مسلما أو نصب على المدح لانه مفعول تنفع (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) أي يعلم ماتقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولايحيطون به علما) أي بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما أو يرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بمحاط (وعنت) خضعت وذلت ومنه قيل للاسير عان (الوجوه) أي أصحابها (للحي) الذي لايموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يئس من رحمة الله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلايخاف) أي فهو لايخاف فلا يخف على النهي مكي (ظلما) أن يزاد في سيآته (ولاهضما) ولاينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد

لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكرا) عظة أو شرفا بايمانهم به وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام (الملك) الذي يحتاج اليه الملوك (الحق) المحق في الالوهية ولما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا واذا القنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك (ولا تعجل بالقرآن) بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ (وقل رب زدني علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شئ الا في العلم (ولقد عهدنا الى آدم) أي أوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوصى اليه وعزم عليه وعهد اليه فعطف قصة آدم على وصرفنا فيه (٢٦٥) من الوعيد والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم فخالف الى ما نهي عنه كما انهم يخالفون يعني ان أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فنسي) العهد أي النهي والانبياء عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه (ولم نجد له عزما) قصدا الى الخلاف لامره أو لم يكن آدم من أولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما أو بمعنى نقيض العدم أي وعدمناله عزما وله متعلق بنجد (واذ قلنا) منصوب باذكر (للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه (فسجدوا الا ابليس) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الارواح ولا يتناسلون وابليس من نار السموم وانما صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم و يعبد الله معهم (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الاباء وتوقف (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم يرفضلك (فلا يخرجنكما من الجنة) فلا يكونن سببا لاخراجكما (فتشقى) فتتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقيا مراعاة لرؤس الآي أو دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروى انه أهبط الى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه و يمسح العرق من جبينه

والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرا) أي انما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي و يحدث لهم القرآن ذكرا يرغبهم في الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة * قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تعجل بالقرآن) أراد النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقرآن أي ولا تعجل بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شئ علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شئ الا في العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وايمانا ويقينا ۞ قوله عز وجل (ولقد عهدنا الى آدم) يعني أمرناه وأوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون (فنسي) أي فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه ابليس الذي حسده وأبى أن يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح أقرب ۞ قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا) أي ابليس (عدو لك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء الى آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني أنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي

على زوجته (ان لك ألا تجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها) أي تعطش (ولا تضحى) أي تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والسكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) أي أنهى اليه الوسوسة كاسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشئ الذي رغب الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه ✿ وقوله تعالى (فأكلا منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أي عريا من الثياب التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان بسوآتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي بأكل الشجرة (فغوى) أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله تعالى على قبل أن يخلقني بأربعين عاما فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فهل تلومني على ان عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

﴿الكلام على معنى الحديث وشرحه﴾

قوله احتج آدم وموسى الحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أي جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها والائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومني على أمر قدره الله على من قبل أن يخلقني

﴿فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك﴾ قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن

الاولى وغيرهما بالفتح عطفا على أن لا تجوع ومحله نصب بان ويجاز للفصل كالقول ان في على انك جالس (لا تظمأ فيها) لا تعطش لوجود الانهر به فيها (ولا تضحى) لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان) أي أنهى اليه الوسوسة كاسر اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فأكلا) أي آدم وحواء (منها فبدت لهما سوآتهما) عوراتهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كـكاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا الا انه للشروع في أول الامر وكاد للدنو منه (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) ضل عن الرأي وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان

خرج فعله من أن يكون رشدا فكان غيا لان الغي خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة

الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على أن ذلك لايجوز وقوعه منهم عمدا ولاسهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لايجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع فى أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبائر الثانى قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لايجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائى الرابع انه لايقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا الخامس انه لايقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس فى وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثانى قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لايجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبى الهذيل وأبى على من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لاصغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة و يدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية فى الرفعة والشرف الثانى لو صدر منه وجب أن لايكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز أيضا لان معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبى ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت ببديهة العقل أنه لاشئ أقبح بمن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته فى عباده و بلاده يسمع ربه يناديه لاتفعل كذا فيقدم عليه و يفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يامرون الناس بطاعة الله فلولم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل و يدل على فعل ما ينبغى فعله وترك ما ينبغى تركه فثبت أن الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهى وذلك ينافى صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى فى حق موسى انى اصطفيتك على الناس برسالتى و بكلامى وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق و يعقوب أولى الايدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التى تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافى صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لايجوز أن يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل نو بته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضى عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أى جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما أى نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له انى لكما لمن الناصحين وتوهم ان أحدا لايحلف بالله كاذبا وقيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أى قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لايعلم أنها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لامن المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم فان قلت اذا

فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر

(ثم اجتباه ربه) قربه اليه واصطفاه وقرئ به وأصل الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعني آدم وحواء (بعضكم) ياذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين (فاما يأتينكم مني هدى) كتاب وشريعة (فمن اتبع هداى فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في العقبى قال ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعني ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن ذكرى) عن القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر فقال (أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أي أتتك آيات واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه من عينيك (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي للحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي (افلم

نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شئ عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها واتوها على وجه التأويل او السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين أي يرونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيئات وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى ❁ قوله عز وجل (ثم اجتباه ربه) أي اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أي عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أي هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما يأتينكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) أي الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل أي في الدنيا ولا يشقى أي في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أي بصير العين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أتتك آياتنا فنسيتها) أي فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك نجزي من أسرف) أي كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزي من أسرف أي أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) أي مما يعذبهم الله به في الدنيا والقبر (وأبقى) أي وأدوم ❁ قوله تعالى

(أفلم يهد لهم) أى الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور فى لهم (فى مساكنهم) يريد ان قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول اذا تفكروا علموا ان استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل مافعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على مايقولون) فيك (وسبح) وصل (بحمد ربك) فى موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أى وتعهد آناء الليل أى ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله والصلاة الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أى اذكر الله فى هذه الاوقات رجاء أن تنال عند الله مابه ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أى يرضيك ربك (ولاتمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لايكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشئ بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لاتنظروا الى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها (الى مامتعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوة الدنيا) زينتها وبهجتها وانتصب على الذم أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه

(أفلم يهد لهم) أى أفلم يبين القرآن لكفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) يعنى فى ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) أى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على مايقولون) نسختها آية السيف (وسبح بحمد ربك) أى صل بامر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) أى صلاة العصر (ومن آناء الليل) أى ومن ساعاته (فسبح) يعنى فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعنى صلاة الظهر سمى وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) أى ترضى ثوابه فى المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أى تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لاتضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لايظلم بعضكم بعضا فى رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أى لايزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لاللمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لاترتابون فيه ولاتشكون ۞ قوله عز وجل (ولاتمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيته وانى لامين فى السماء وأمين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولاتمدن عينيك أى لاتنظر نظرا تكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له (الى مامتعنا به) أى أعطينا (أزواجا) أى أصنافا (منهم زهرة الحيوة الدنيا) أى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أى لنجعل ذلك فتنة لهم بان نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا

(ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي (خير وأبقى) مما رزقوا (وأمر اهلك) أمتك أو أهل بيتك (بالصلاة واصطبر) أنت داوم (عليها لا نسئلك رزقا) أي لا نسألك ان ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) واياهم فلا تهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله وعن مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أي وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين (وقالوا) أي الكافرون (لولا يأتينا بآية من ربه) هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم يأتهم) أولم تأتهم مدني وحفص وبصري (بينة ما في الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة يعني انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة ولما يؤول اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) أنتم (فستعلمون) اذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب (الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب ﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي واحدى عشرة آية مدني وبصري﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقترب) دنا (للناس) اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالاضافة الى ما مضى ولان كل آت قريب

وطغيانا (ورزق ربك) أي في المعاد في الجنة (خير وأبقى) أي أدوم وقال أبي بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه ۞ قوله تعالى (وأمر أهلك) أي قومك وقيل من كان على دينك (بالصلاة) أي بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول (لا نسئلك رزقا) أي لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أي الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ۞ قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أي بالآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) أي بيان ما فيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما في الصحف ما في التوراة والانجيل وغيرهما من أخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما في الصحف الاولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا يدعونا (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متربص) أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) أي فانتظروا (فستعلمون) أي اذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوي) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام﴾

وهي مكية وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (اقترب للناس حسابهم) أي وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت في منكري البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس

على

(وهم فى غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه فى دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه فى مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق فى عسكر الموتى فالواجب عليك ان تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل أن تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين (ما يأتيهم من ذكر) شئ من القرآن (من ربهم محدث) فى التنزيل اتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف فى حدوثها (الا استمعوه) من النبى عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير فى استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهى من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهى المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وأسروا) وبالغوا فى اخفاء (النجوى) وهى اسم من التناجى ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا ايذانا بانهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلونى البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة

أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أى والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله فى محل النصب بدل من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون انه سحر (قال ربى) حمزة وعلى وحفص أى قال محمد وغيرهم قل ربى أى قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يعلم القول فى السماء والارض) أى يعلم قول كل قائل هو فى السماء أو الارض سرا كان أو جهرا (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بما فى ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام رآها فى نومه فتوهمها وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا فى دعواه وليس الامر كما يظن (فليأتنا بآية) بمعجزة (كما أرسل الاولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه فى قوله كما أرسل الاولون من حيث انه فى معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد و بين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية عند مجىء الآيات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أى أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا

على بعضه (وهم فى غفلة معرضون) أى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسىء ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكرهم و يعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم و بينه من السنن والمواعظ سوى ما فى القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الا استمعوه وهم يلعبون) أى لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية قلوبهم) أى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أى بالغوا فى اخفاء التناجى وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذى تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا الا بشر مثلكم) يعنى انهم أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من أشكاله أقرب (أفتأتون السحر) أى أتحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) أى تعلمون أنه سحر (قل) لهم يا محمد (ربى يعلم القول فى السماء والارض) أى لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بأفعالهم ۞ قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعنى أباطيل وأهاويل رآها فى النوم (بل افتراه) أى اختلقه (بل هو شاعر) وذلك أن المشركين اقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (بآية) أى بحجة ان كان صادقا (كما أرسل الاولون) أى من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أى قبل مشركى مكة (من قرية) أى من أهل قرية أتتهم الآيات (أهلكناها) أى بالتكذيب (أفهم يؤمنون) أى ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما

(وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) نوحى حفص (فاسئلوا أهل الذكر) العلماء بالكتب [illegible] أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لا تعلمون) [illegible] (وما جعلناهم جسدا) [illegible] وحدة الجنس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا يعني [illegible] الأنبياء [illegible] وقالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين أن الملائكة [illegible] (ثم صدقناهم الوعد) [illegible] في الوعد [illegible] واحتار [illegible] قومه أي من قومه (و [illegible]) [illegible] (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين [illegible] (٢٧/٢) [illegible] (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم ان عملتم به أولانه بلسانكم

وهو موعظتكم [illegible] ذكر دينكم [illegible] أي فيه ذكركم صفة لكتابا (أفلا تعقلون) [illegible] به على غيركم فتؤمنوا (وكم) [illegible] بقوله (قصمنا) أي [illegible] (من قرية) أي أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا ابانة (وأنشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخرين) فسكنوا مساكنهم (فلما أحسوا) أي المهلكون (بأسنا) عذابنا أي علموا علم حس ومشاهدة (اذا هم منها) من القرية واذا للمفاجأة وهم مبتدأ والخبر (يركضون) يهربون مسرعين والركض

[illegible] فيهم أولئك هؤلاء ﴿قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما أرسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك (فاسئلوا أهل الذكر) يعني أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) ﴿قوله عز وجل (وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا الا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم ماله هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) أي في الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) أي من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أي المشركين لان المشرك مسرف على نفسه ﴿قوله عز وجل (لقد أنزلنا اليكم) أي يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل ﴿قوله تعالى (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أي كافرة والمراد أهل القرية (وأنشأنا بعدها) أي أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) أي عذابنا بحاسة البصر (اذا هم منها يركضون) أي يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا) أي قيل لهم لا تركضوا (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) أي تنعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس [illegible] نزلت هذه الآية في أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا [illegible] فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا لثارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) أي لا نفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب

سرعة الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقائل بعض الملائكة (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) نعمتم فيه من العيش والبطر قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (ومساكنكم لعلكم تسئلون) أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعونة في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم وقال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم وأموالكم لعلكم تسئلون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي من السماء يا لثارات الانبياء وأخذتهم السيوف فثم (قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف

وقالوا

(فمازالت تلك) هي اشارة الى ياويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر (خامدين) ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أي جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أي ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لاتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كنا فاعلين) أي ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان أدري أي ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف أي نرمي ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان أو بالاسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان أصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف (فاذا هو) أي الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله من الولد ونحوه (وله من في السموات والارض) خلقا وملكا فاني يكون شيء منه ولدا له وبينهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا يعني الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستحسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم أضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بأم التي بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحيون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أي مدني أو متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان أصنامهم تحيي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لان العاجز عنه لا يصح أن يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحياها

وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فمازالت تلك دعواهم) أي تلك الكلمة وهي قولهم ياويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أي بالسيوف كما يحصد الزرع ((خامدين) أي ميتين ۞ قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويناهما للفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه انه الولد (لاتخذناه من لدنا) أي من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (إِنْ كُنَّا فاعلين) أي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية (بل) أي دع ذلك الذي قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) أي نرمي ونسلط (بالحق) أي بالايمان (على الباطل) أي على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمَغُه) فيهلكه (فاذا هو زاهقٌ) أي ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يا معشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد (وله من في السموات والارضِ) أي عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعني الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرونَ) أي لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتر في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الارض (هم يُنْشِرُون) أي يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد

من العدم ولا يمتنع وجوده ... وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) أي في السماء والارض (آلهة الا الله) أي غير الله (لفسدتا) أي لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذاك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد احدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشئ الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في دلالة التمانع فسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يضيفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) أي لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه (وهم يسئلون) أي والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشئ فعله لم فعلته ﴿ قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا

(لو كان فيهما آلهة الا الله) أي غير الله وصفت آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (لفسدتا) لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه في أصول الكلام ثم نزه ذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب وفعله صواب كله أولى بان لا يعترض عليه (وهم يسئلون) لانهم مملوكون خطؤن فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شئ فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملائكة أي هم مسؤلون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافي الجسمية والمسؤلية (أم اتخذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بان يكون له شريك فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو يأباه كما مر أو نقلي وهو الوحي وهو أيضا يأباه فانكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية الا وفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد

هذا

(هذا) أى القرآن (ذكر من معى) يعنى أمته (وذكر من قبلى) يعنى أمم الانبياء من قبلى وهو وارد فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه معى حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أى القرآن وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق أى هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه) الا نوحى كوفى غير أبى بكر وحماد (أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وحدونى فهذه الآية مقررة لما سبقها من آى التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية تنافى الولادة (لا يسبقونه بالقول) أى بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم بامره يعملون) أى كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبنى على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن رضى الله عنه وقال لا اله الا الله (وهم من خشيته مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (انى اله من دونه) من دون الله انى مدنى وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أى فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزى الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية فى غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد فى ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته (أولم ير الذين كفروا) ألم يرمكى (أن السموات والارض كانتا) اى جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن (رتقا) بمعنى المفعول أى كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا اصلح أن يقع موقع مرتوقتين (ففتقناهما) فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فقام مقام المرئى المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان فى العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما أى فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل

(هذا) يعنى القرآن (ذكر من معى) أى فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) أى خبر (من قبلى) أى من الامم السالفة وما فعل بهم فى الدنيا وما يفعل بهم فى الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معى القرآن وذكر من قبلى التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) * قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أى فوحدونى وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أى عن التأمل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو * قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون) أى أكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أى لا يتقدمونه (بالقول) أى لا يتكلمون الا بما يامرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) أى خائفون وجلون لا يامنون مكره (ومن يقل منهم انى اله من دونه) قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل انى اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) أى الواضعين الالهية والعبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (أولم ير الذين كفروا) أى ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيأ واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) أى فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى وأحيينا بالماء الذى ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حى فهو مخلوق من الماء وقيل

(أفلا يؤمنون) [illegible] (وجعلنا فى الارض رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشئ (أن تميد بهم) لئلا تضطرب بهم [illegible] (وجعلنا فيها فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فج وهو [illegible] (سبلا) [illegible] أى فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت [illegible] وهو بيان لما أبهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بها الى البلاد [illegible] (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) فى موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ومحفوظا بالشهب عن الشياطين [illegible] من كل شيطان رجيم (وهم) أى الكفار (عن آياتها) عن الادلة التى فيها كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) [illegible] فيؤمنون (وهو الذى خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أى كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فى فلك) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسيرون أى يدورون والجملة فى محل النصب على الحال من الشمس والقمر (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفان مت) بكسر الميم مدنى وكوفى غير أبى بكر (فهم الخالدون) والفاء الاولى لعطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أى قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا بشر فان مت أنت أيبقى هؤلاء (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الغنى والنفع (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الا هزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف قيل

[illegible] قلت قد خلق الله بعض ما هو حى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج [illegible] مخرج الاغلب والاكثر معناه ان أكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أى أفلا يصدقون (وجعلنا فى الارض رواسى) أى جبالا ثوابت (أن تميد بهم) أى لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة فى الماء فارساها الله وأثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) أى فى الرواسى (فجاجا) أى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يهتدون) أى الى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) أى من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها معرضون) أى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى أفلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا معتبرون بها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) أى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد ان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذات الكواكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية ✲ قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد فى الدنيا بشر لا أنت ولا هم فان مت أنت أفيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل فقل للشامتين بنا أفيقوا ✲ سيلقى الشامتون كما لقينا

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك فان الله تعالى حى لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونبلوكم) أى نختبركم (بالشر والخير) أى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون (فتنة) أى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا ترجعون) أى للحساب والجزاء ۞ قوله عز وجل (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا) أى ما يتخذونك الا هزوا أى سخريا

(أهذا الذي يذكر) يعيب (آلهتكم) والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم (وهم بذكر الرحمن) أي بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية (هم كافرون) لا يصدقون به أصلا فهم أحق أن يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله تعالى وكرر هم للتأكيد أو لأن الصلة حالت بينه وبين الخبر فأعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * النخل ينبت بين الماء والعجل * وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أي عجلا (سأريكم آياتي) نقماتي (فلا تستعجلون) بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) اتيان العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي استعجالهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة (فتبهتهم) فتحيرهم أي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) فحل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الانبياء اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه ان أتاكم ليلا أو نهارا

قيل نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب ﴿قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل أي من طين قال الشاعر * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أي بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحارث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيهم) يعني الساعة (بغتة) أي فجأة (فتبهتهم) أي تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون للتوبة والمعذرة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي يا محمد كما استهزأ بك قومك (فحاق) أي نزل وأحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم ﴿قوله تعالى (قل من يكلؤكم) أي يحفظكم (بالليل) اذا نمتم (والنهار) اذا انصرفتم في معايشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم

(بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما في أم من معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم (٢٧٨) وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) أي ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام وذكر نأتي يشعر بان الله يجريه على أيدي المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها (أفهم الغالبون) أفكفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا (قل انما أنذركم بالوحي) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامي على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (اذا ما ينذرون) يخوفون واللام في الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) أي ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لان النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية رضخه بها ومع ان بناءها للمرة وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفخ في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله يا أيها الرسل والوزن لصحائف الاعمال في قول (القسط) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أي لاجلهم

من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أي عن القرآن ومواعظه (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) يعني الكفار (وآباءهم) أي في الدنيا بان أنعمنا عليهم وأمهلناهم (حتى طال عليهم العمر) أي امتد بهم الزمان فاغتروا (أفلا يرون) يعني هؤلاء المشركين (أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) يعني ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك أرضا فارضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا في اتيان الارض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن ارادتنا فيهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (انما أنذركم بالوحي) أي أخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) أي يخوفون (ولئن مستهم) أي أصابتهم (نفحة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك ۞ قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) أي ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها (ليوم القيامة) أي لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن أحاطت حسناته بسيآته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الاقوال أنه ميزان واحد وانما جمع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال الهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فعلى هذا في كيفية وزن الاعمال مع أنها أعراض طريقان أحدهما أن توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة

وصحائف

(فلا تظلم نفس شيأ) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشيء مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتينا بها) أحضرناها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه (وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين عن ابن عباس رضي الله عنهما لان من حفظ شيأ حسبه وعلمه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة

وذكر أي شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أي يخافونه في الخلاء (وهم من الساعة) القيامة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ أي جاحدون انه منزل من عند الله (ولقد آتينا ابراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وكنا به) بابراهيم أو برشده (عالمين) أي علمنا انه أهل لما آتيناه (اذ) اما أن تتعلق بآتينا أو برشده (قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل)

وصحائف السيآت في كفة والثاني أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيآت جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه في حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر ﴿وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيأ) أي لا تبخس مما لها وما عليها من خير وشر شيأ (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) معناه أنه لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة مسيء وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها أي أحضرناها لنجازي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هي التي توزن لان الاعمال تتجسد جواهر فتوزن والله أعلم ﴿قوله تعالى (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيأ فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلي انه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا ✽ ثم منوا فاعتقوا　　هكذا سمة الملوك ✽ بالمماليك يرفقوا

﴿قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء (وذكرا للمتقين) يعني يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) أي كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا أي هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) أي جاحدون ﴿قوله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أي صلاحه وهداه (من قبل) أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير (وكنا به عالمين) أي انه من أهل الهداية والنبوة (اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل) يعني الصور والاصنام (التي أنتم لها عاكفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أي فاقتدينا بهم (قال) يعني ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطا بين بعبادتكم اياها (قالوا أجئتنا بالحق) أي

أي الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (التي أنتم لها عاكفون) أي لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل وأكد بأنتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع (قالوا أجئتنا بالحق) بالجد

(أم أنت من اللاعبين) أي أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعادا لان يكون ما هم عليه ضلالا ثم أضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي التماثيل فأنى يعبد المخلوق ويترك الخالق (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد (من الشاهدين وتالله) أصله والله وفي التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمروذ (لأكيدن أصنامكم) لأكسرنها (بعد أن تولوا مدبرين) بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم أي سأسقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام (فجعلهم جذاذا) قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر علي جمع جذيذ أي مجذوذ كخفيف وخفاف (الا كبيرا لهم) للاصنام أو للكفار أي فكسرها كلها بفأس في يده الا كبيرها وعلق الفأس في عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه أو الى ابراهيم ليحتج عليهم أو الى الله لما رأوا عجز آلهتهم (قالوا) أي الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) أي ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لفتى الا أن الاول وهو يذكرهم أي يعيبهم لابد منه للسمع لانك لاتقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع بخلاف الثاني وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم (قالوا) أي نمروذ واشراف قومه (فأتوا به) احضروا ابراهيم (على أعين الناس) في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى منهم ومنظر (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه أو بما فعله كأنهم كرهوا عقابه بلا بينة أو يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) ابراهيم (بل فعله) عن الكسائي انه يقف عليه أي فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز وجاز أن يكون الفاعل مسندا الى الفتى المذكور في قوله سمعنا فتى يذكرهم أو الى ابراهيم في قوله يا ابراهيم ثم قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ وخبر والاكثر انه لاوقف وفاعله كبيرهم وهذا وصف أو بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضي تبكيتا لهم والزاما للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه لا يصلح الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب

بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أي على انه الاله الذي يستحق العباد وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (وتالله لأكيدن أصنامكم) أي لأمكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) أي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه الى الارض وقال اني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم العظيم علق الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذا) أي كسرا وقطعا (الا كبيرا لهم) أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان ۞ وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم رأوا أصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) أي في تكسيرها واجترائه عليها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) أي يسبهم ويعيبهم (يقال له ابراهيم) أي هو الذي نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس وانما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) أي عليه بانه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) يعني ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة

تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للالمي لان اثباته للعاجز منكما والامر كائن بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن أن يقال غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرهن أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر عنه أي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسئلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وانما أضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور (فاسئلوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وأنتم تعلمون عجزهم عنه (فرجعوا الى أنفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بمخانقهم (فقالوا انكم أنتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة مالا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فان من لا يدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابديه الباس (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الاول ثم أدركتهم الشقاوة أي ردوا الى الكفر بعد ان أقروا على أنفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه أي استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولي علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتجا عليهم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) هو في موضع المصدر أي نفعا (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم أن صاحبه متضجر ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف أف مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز أن يكون الها فلما ألزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (ان كنتم فاعلين)

عليهم فذلك قوله (فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) أي حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي لفظ الترمذي قيل في قوله اني سقيم أي سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختي أي في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوي وهذه التأويلات لنفي الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب ۞ وقوله (فرجعوا الى أنفسهم) أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما نراه الا كما قال (انكم أنتم الظالمون) يعني بعبادتكم مالا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أي ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) أي فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) أي ان عبدتموه (ولا يضركم) أي ان تركتم عبادته (أف لكم) أي تبا لكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أي أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما ألزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) يعني انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها (ان كنتم فاعلين) أي ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد وقيل اسمه هيزن خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم

نبيمة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح

﴿ذكر القصة في ذلك﴾

قيل جمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبن في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال الله تعالى انه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيري فان استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب أن ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الاوزاغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على ابراهيم (قلنا) أي قال الله عز وجل (يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفي بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فأقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو وقال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم مني من الايام التي كنت في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي ثم نظر نمرود وأشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيته معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه

أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها والذي أشار باحراقه نمرود أو رجل من أكراد فارس وقيل اسمه هيزن فهموا باحراقه فحبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شجرا أصناف الخشب ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا ورموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أحرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما) أي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام (على ابراهيم) أراد ابردي فيسلم منك ابراهيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها والمعنى ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير

(وأرادوا به كيدا) احراقا (فجعلناهم الاخسرين) فارسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فاهلكته (ونجيناه) أي ابراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) أي أرض الشأم وبركتها ان أكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهي أرض خصب يطيب فيها عيش الغني والفقير وقيل مامن ماء عذب في الارض الا و ينبع أصله من صخرة بيت المقدس روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة و بينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم (ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أي وهبنا له هبة وقيل هي ولد الولد وقد سأل ولدا فاعطيه وأعطي يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) أي ابراهيم واسحق و يعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثاني (صالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في الدين (يهدون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهي جميع الاعمال الصالحة وأصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا لنا عابدين) لا للاصنام فانتم يا معشر العرب أولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهي ما يجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلما) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهي سدوم (التي كانت تعمل الخبائث) اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وادخلناه في رحمتنا) في أهل رحمتنا أو في الجنة (انه من الصالحين) أي جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم

وترجع الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه ۞ قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) أي أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته ۞ قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) يعني من نمرود وقومه (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه مامن ماء عذب الا و ينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه و بها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم أخرجه أبو داود أراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وماذاك يارسول الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي * عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ۞ قوله تعالى (ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة) أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق و يعقوب (وجعلناهم أئمة) أي قدوة يهتدى بهم في الخير (يهدون بامرنا) أي يدعون الناس الى ديننا بامرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي العمل بالشرائع (واقام الصلوة) أي المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) أي الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) أي موحدين ۞ قوله عز وجل (ولوطا آتيناه حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان الذكور في أدبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب (انه من الصالحين) يعني

(ونوحا) أي واذكر نوحا (اذ نادى) أى دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) ى دعاءه (فنجيناه وأهله) أى المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أى من اذاهم (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم ذكرهم واناثهم (وداود وسليمان) أى واذكرهما (اذ) بدل منهما (يحكمان فى الحرث) فى الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت

دخلت (فيه غنم القوم) ليلا فاكلته وأفسدته والنفش انتشار الغنم بلا راع (وكنا لحكمهم) أرادهما والمتحاكمين اليهما (شاهدين) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا (ففهمناها) أى الحكومة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أى قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث و يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان فى شريعتهم فاما فى شريعتنا فلا ضمان عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعى رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم أرسلوها ونسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا اصلاحا وما فعله داود كان حكما والصلح خير (وكلا) من داود وسليمان (آتينا حكما) نبوة (وعلما) معرفة بموجب الحكم

الثواب

الانبياء ﴿ قوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل) أى من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له) أى أجبنا دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) أى منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) ﴿ قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) أى رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيأ فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان سليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام فى هذه المسئلة ان ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لان فى عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشى تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشى حفظها بالليل زاد فى رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأى أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أى علمناه وألهمناه حكم القضية (وكلا) يعنى داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أى بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء فى أن حكم داود كان باجتهاد أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة واذا أخطؤا فلا اثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحى فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد

(وسخرنا) وذللنا (مع داود الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن

قال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الاعجاز لانها جماد روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكنا فاعلين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لتحصنكم) شامي وحفص أي الصنعة وبالنون أبو بكر وحماد أي الله عز وجل وبالياء غيرهم أي اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أنتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أي فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أي وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أي شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لانها تجري باختياره فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجري بامره) بامر سليمان (الى الارض التي باركنا فيها) بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها (وكنا بكل شيء عالمين) وقد أحاط علمنا بكل شيء فتجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا

الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى أنه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فاخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في الخطأ عنه موضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوّم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى أنه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فأما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ماروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ۞ قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه (وكنا فاعلين) يعني ماذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله ألان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) أي تمنعكم (من بأسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل أنتم شاكرون) أي يقول ذلك لداود وأهل بيته ۞ قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) أي شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشتد اشتدت وان أراد أن تلين لانت (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها) يعني الشام وذلك لانها كانت تجري بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكنا بكل شيء عالمين) أي بصحة التدبير فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس أو من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس

الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر و يروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الاسليمان اذ قال المليك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

﴿قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل الآية ويتجاوزون في ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكنا لهم حافظين) أي حتى لايخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه ﴿قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه) أي دعا ربه

﴿ذكر قصة أيوب عليه السلام﴾

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع وخمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه مايصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر وقيل نغير ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لايحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ماأعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لاتصبر عليها

(ومن الشياطين) أي وسخرنا منهم (من يغوصون له) في البحار بأمره لاستخراج الدر وما يكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه (وأيوب) أي واذكر أيوب (اذ نادى ربه

الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى
عليه قال ابليس اذهب فأت الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من
تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدوّ الله ابليس فى صورة قيم من
كانوا اعليها على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلى فقال ياأيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك وأحرقتها ومن
فيها غيرى فقال أيوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو
أولى بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما
كان الافى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو
الذى فعل ما فعل ليشمت به عدوّه و يفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى عريانا
خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغى لك أن تفرح حين
أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك و بما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع
تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم
من القوة فانى لم أكلم قلبه قال عفريت من الجن عندى من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح
الا خرجت روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتا من عند
آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فوجده يصلى فقال له مثل القول الاول فرد
عليه أيوب مثل الردّ الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال
عفريت عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شئ تأتى عليه قال فأت الفدادين فى
الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح
عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى أيوب وهو قائم يصلى
فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره
كلما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر
والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشئ صعد سريعا حتى وقف فى الموقف
الذى يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده
فانها المصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدوّ الله حتى
أتى بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها
بعضا ويرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى
أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت
بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب و بكى وقبض قبضة من
التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمى لم تلدنى فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب
مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله
وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هوّن على أيوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه
فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده
ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب
ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدوّ
الله ابليس سريعا اليه فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخريه

نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره
حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح
لحمه وتقطع وتغير وأنتن فاخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير
امرأته وهي رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه ويلزمه فلما رأى الثلاثة
من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه
فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به
وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من
القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجل من الذي أتيتم وقد
كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم
وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل
الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا
ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه
الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المؤمنين
والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنها
كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل
بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي
ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها
الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا
أسكتتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله ولكنهم اذا
ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر
الله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخاطئين
وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس أقوياء فقال أيوب عليه السلام ان الله يزرع
الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة
من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون
من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل أن
تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني
قربانا لعل الله أن يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو
نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم
فيما خلا توقرونني وأنا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا
كلام معكم فانتم كنتم أشد علي من مصيبتي ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه
فقال يارب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني ياليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت
فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فالحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا
وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتي
جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف
يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي أسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع

الهيبة

الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء في فادلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي ياأيوب ان الله يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك ياأيوب أمرا ما يبلغ لمثله مثلك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها أم على أي شئ وضعت اكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بامرك ليلها ونهارها أين كنت مني يوم انبعث الانهار وسكبت البحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على أي شئ أرسيتها أم باي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شئ انشأت السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزانة الريح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكرها لايوب فقال أيوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شئ ولا تخفى عليك خافية الهي أوثقني البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشئ يسخطك ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على أمري فاعني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشئ تكرهه مني قال الله تعالى ياأيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن أنس يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا يختلف فيه الدود لا يقرب به أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أحزنك قال أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقرب به الا امرأته فاستعنت بكم فتعينوني عليه فقالوا له فاين مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقرب به أحد غيرها قال أصبتم فانطلق ابليس حتى أتى رحمة امرأة

أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما انصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام ان اذوق منه شيأ اعزبي عني فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شيء ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من أهل ومال الا وقد ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردني الى من أكله أدعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني أيوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن أيوب فدعاها وقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني انا أيوب الذي أمرتني أن اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم أراها اياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين أيوب فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فاتته بطعام

اني) أي دعا بأني (مسني الضر) الضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض أو هزال (وأنت أرحم الراحمين) ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال أنت أهل ان ترحم وأيوب أهل ان يرحم فارحموا كشف عنه الضر الذي مسه عن أنس رضي الله عنه اخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض الى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له انا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل انما شكا اليه تلذذا بالنجوى لا منه تضررا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد

والثالث قول ابليس انى أداويه على أن يقول أنت شفيتنى وقيل مسنى الضر أى من شماتة الاعداء حتى روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع لقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبناله والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه فقال كيف تجدك قال أجدنى مغموما وأجدنى مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل أنا وارأساه ﴿ قوله تعالى (فاستجبناله) أى اجبنا دعاءه (فكشفنا مابه من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين رد الله اليه أهله وأولاده باعيانهم احياهم الله وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبعة بنين وسبع بنات وعن أنس يرفعه انه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضا وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها الى أندره فقال له الملك ما يكفيك مافى أندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خرعليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثى فى ثوبه فناداه ربه ياأيوب ألم أكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكنى لا غنى لى عن بركتك وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان أهلك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الآخرة وأوتى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) أى نعمة (وذكرى للعابدين) أى عظة وعبرة لهم ﴿ قوله عزوجل (واسمعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم (وادريس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادريس فقد تقدمت قصته وأما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بنى اسرائيل وكان ملكا أوحى الله اليه انى أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل انه يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى أستخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فاتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فائتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح

(فاستجبناله) أجبنا دعاءه (فكشفنا مابه من ضر) فكشفنا ضره انعاما عليه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى ان أيوب عليه السلام كان روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله عزوجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحى من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى فلما كشف الله عنه أحيا ولده باعيانهم ورزقه مثلهم معهم (رحمة من عندنا) هو مفعول له (وذكرى للعابدين) يعنى رحمة لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (واسمعيل) بن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) أى اذكرهم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمى به لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أى هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال وأخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل اذا قعدت فأتني قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست فأتني وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال عدو الله قال نعم أعييتني وفعلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) أي واذكر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي منهم سبطان ونصف فأوحى الله الى شعياء النبي أن سر الى حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا فاني ألقي في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجي قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فههنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فانذرهم فقال ألتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أي ان لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يعجزنا به فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) أي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما

أي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى انه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله و بغضا للكفر و أهله وكان عليه أن يصابر و ينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت (فظن أن لن نقدر) نضيق (عليه) وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ الآية فقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة (فنادى في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (أن) أي بانه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أي (سبحانك اني كنت من الظالمين) لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي في الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه

فأخذه ثم أهوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبناله ونجيناه من الغم) أي من تلك الظلمات (وكذلك ننجي المؤمنين) أي من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلي فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلي لقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله على انه لقومه أو لملك أولى بحال الانبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أي لن نضيق عليه وذلك أن يونس ظن انه مخير ان شاء أقام وان شاء خرج وان الله تعالى لايضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة وأما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم ۞ قوله عز وجل (وزكريا اذ نادى ربه) أي دعا ربه فقال (رب لاتذرني فردا) أي وحيدا لاولد لي يساعدني وارزقني وارثا (وأنت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبناله ووهبناله يحيى) أي ولدا (وأصلحناله زوجه) أي جعلناها ولودا بعد ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى له بان رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) يعني الانبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعني انهم ضموا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لاينبسط في الامور خوفا من الوقوع في الاثم ۞ قوله تعالى (والتي أحصنت فرجها) أي احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم أك بغيا وهي مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) أي دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام

بالظلم (فاستجبناله ونجيناه من الغم) غم الزلة والوحشة والوحدة (وكذلك ننجي المؤمنين) اذا دعونا واستغاثوا بنا نجي شامي وأبو بكر بادغام النون في الجيم عند البعض لان النون لاتدغم في الجيم وقيل تقديره نجي النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لايجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله ننجي من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التاءين في تنزل الملائكة (وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرني فردا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولايدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أي فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث أي باق (فاستجبنا له ووهبناله يحيى) ولدا (وأصلحناله زوجه) جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق (انهم) أي الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون في الخيرات) أي انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعا وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرهبة منا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذكر التي (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها واضافة الروح اليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتكم

أمة واحدة) الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبياء وأمة حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل مادل عليه اسم الاشارة أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ربيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الاان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة (كل الينا راجعون) فنجازيهم على أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) شيأ (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه) أي فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ (وانا له) لسعي أي الحفظة بامرنا (كاتبون) في صحيفة عمله فنثيبه به (وحرام) وحرم كوفي غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) والمعنى وممتنع على مهلك غير ممكن أن لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام على قرية أهلكناها أي قدرنا اهلاكهم أو حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني (اذا) وما في حيزها (فتحت يأجوج ومأجوج) أي فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شامي وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد (من كل حدب) نشز من الارض أي ارتفاع (ينسلون) يسرعون

اوائلهم

وجعلناها أنهما وأمرهما آية واحدة أي ولادتها اياه من غير أب آية ۞ قوله تعالى (ان هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا وأحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل الينا راجعون) فنجزيهم بأعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه (وانا له كاتبون) أي لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ۞ قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على اهل قرية اهلكناهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن نقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ۞ قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بني آدم (وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان أحدهما أن المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه انه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم فقلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كاني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله ومااسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لاحد أن يقاتلهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر

أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون فى الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم *(شرح غريب ألفاظ الحديث)* قوله حتى ظنناه فى طائفة النخل أى ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشئ وقوله نخفض فيه ورفع أى خفض صوته ورفعه من شدة ماتكلم به فى أمره وقيل انه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره قوله انه شاب قطط أى جعد الشعر وقوله طافئة أى خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة أى انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول فى الشئ قوله فعاث أى أفسد قوله أقدروا له قدره أى قدروا اقدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم أى مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين أى مقحطين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أى قطعتين والغرض الهدف الذى يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة أى شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لايدان لاحد بقتالهم أى لاقدرة ولاقوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون فى أنوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم أى ريحهم المنتنة قوله كالزلفة أى كالمرآة وجمعها زلف ويروى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصابة أى الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة فى الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون أى يختلفون والتهارج الاختلاف وأصله القتل *(الوجه الثانى)* فى تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ۞ قوله عز وجل (واقترب الوعد الحق) أى القيامة قال حذيفة لو أن رجلا افتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر (فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا) يعنى فى الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) أى فى وضعنا العبادة فى غير موضعها ۞ قوله عز وجل (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعنى الاصنام (حصب جهنم) أى حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم فى النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمى (أنتم لها واردون) أى فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعنى الاصنام (آلهة) أى على الحقيقة (ماوردوها) أى مادخل الاصنام النار وعابدوها (وكل فيها

(واقترب الوعد الحق) أى القيامة وجواب اذا (فاذا هى) وهى اذا للمفاجأة وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهى شاخصة أو اذا هى شاخصة كان سديدا وهى ضمير مبهم يوضحه الابصار ويفسره (شاخصة أبصار الذين كفروا) أى مرتفعة الاجفان لاتكاد تطرف من هول ماهم فيه (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا فى غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العباده فى غير موضعها (انكم وما تعبدون من دون الله) يعنى الاصنام وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم (حصب) حطب وقرئ حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ماوردوها) ما دخلوا النار (وكل) أى العابد والمعبود (فيها) فى النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل

(وهم فيها لا يسمعون) شيأ ما لانهم صاروا صما وفى السماع نوع أنس فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لما لا يعقل الا انهم أهل عناد فزيد فى البيان (أولئك) يعنى عزيرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العناية فى البداية فظهرت لهم الولاية فى النهاية (لا يسمعون حسيسها) صوتها الذى يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة فى الابعاد عنها أى لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لا يحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم فى الدنيا ٭ العامل فى (يوم نطوى السماء) لا يحزنهم أو تتلقاهم تطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر نجمعها ونطويها (كطى السجل) أى الصحيفة (للكتب) حمزة وعلى وحفص أى للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم للكتاب أى كما يطوى الطومار للكتابة أى لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يرفع المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كما بدأنا أول خلق نعيده) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيده مثل الذى بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى وأول الخلق ايجاده أى فكما أوجده أولا يعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء والتنكير فى خلق مثله فى قولك هو أول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع

خالدون) يعنى العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو أن يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود فى هذه الآية اذا بقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخر ثم تلك التوابيت فى توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى أحد منهم ان فى النار أحدا يعذب غيره ۞ قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى الا أى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) أى عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة فى كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاثة ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل فى ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لما لا يعقل (لا يسمعون حسيسها) يعنى صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم فى الجنة (وهم فيما اشتهت أنفسهم) أى من النعيم والكرامة (خالدون) أى مقيمون ۞ قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعنى النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا أهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى فى الدنيا ۞ قوله عز وجل (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما طوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر فى ذلك اليوم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة

(وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أي وعدا كائنا لا محالة (انا كنا فاعلين) ذلك أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال (ولقد كتبنا في الزبور) كتب داود عليه السلام (من بعد الذكر) التوراة (ان الارض) أي الشام (يرثها عبادي) ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني به اللوح لان الكل اخذوا منه دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض ارض الجنة (ان في هذا) أي

القرآن أو في المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ (لبلاغا) لكفاية واصله ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم أمة محمد عليه السلام (وما أرسلناك الا رحمة) وقال عليه السلام انما أنا رحمة مهداة (للعالمين) لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما أتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له أو حال أي ذا رحمة (قل انما) انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وفاعل (يوحى الى انما الهكم اله واحد) والتقدير يوحى الى وحدانية الهي ويجوز أن يكون المعنى ان الذي يوحى الى فتكون ما موصوله (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أي أسلموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أي مستوين في الاعلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى لم يطلعني عليه ولكني اعلم بانه كائن لا محالة أو لا أدري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي انه عالم بكل شئ يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه (وان أدري لعله فتنة لكم) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون

حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أي قلفا ﴿ وقوله تعالى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت ﴿ قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعد ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل (أن الارض يرثها عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي في القرآن (لبلاغا) أي وصولا الى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي مؤمنين لا يعبدون أحدا من دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) أي منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أي أسلموا (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أي انذارا بينا نستوي في علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به وقيل معناه استووا في الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أي وما أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) يعني يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي لا يغيب عن علمه شئ منكم في علانيتكم وسركم (وان أدري لعله فتنة لكم) أي لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم

(ومتاع الى حين) وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر قل رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد ربى احكم زيد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ماجرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أى الكفار وهو المستعان على ماتصفون

(سورة الحج مكية وهى ثمان وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) * (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هى التى تزلزل الارض على المجاز الحكمى أو الى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يلون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة فى تسمية المعدوم شيأ فان هذا اسم لها حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أى الزلزلة أو الساعة بقوله (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول اذا احدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذ المرضعة هى التى فى حال الارضاع والكن ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به (وتضع كل ذات حمل) أى حبلى (حملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافى بطنها لغير تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبى نفسى نفسى (وماهم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلى وهو كعطشى فى عطشان روى أنه نزلت الآيتان ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبى عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة

(ومتاع الى حين) أى تتمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أى افصل بينى وبين من كذبنى (بالحق) أى بالعذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) أى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الحج)

وهى مكية غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية وألف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أى احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شئ أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هى من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) أى الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أى كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافى بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة فى الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وماهم بسكارى) على التحقيق ولكن ماأرهقهم من خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) *(ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى

(ومن الناس من يجادل فى الله) فى دين الله (بغير علم) حال نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى أوهى عامة فى كل من يخاصم فى الدين بالهوى (و يتبع) فى ذلك (كل شيطان مريد) عات مستمر فى الشر ولا وقف على مريد لان ما بعده صفته (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه) ان الامر والشأن وهو فاعل كتب (من تولاه) تبعه أى تبع الشيطان (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (و يهديه الى عذاب السعير) النار قال الزجاج الفاء فى فانه للعطف وان مكررة للتأكيد ورد عليه أبو على وقال ان من ان كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذى فالفاء دخل على خبر المبتدا والتقدير فالامر أنه يضله قال والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايته الى النار ثم ألزم الحجة على منكرى البعث فقال (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) يعنى ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا فى بدء خلقكم وقد كنتم فى الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فانا خلقناكم) أى أباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة) أى قطعة دم جامدة (ثم من مضغة) أى لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلنا كم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة

ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد فى رواية قالوا يارسول الله أين ذلك الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخارى وفى حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يرأ كثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبى سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتى سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا ۞ قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا (ويتبع) أى فى جداله فى الله بغير علم (كل شيطان مريد) أى المتمرد المستمر فى الشر وفيه وجهان أحدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثانى أنه ابليس وجنوده (كتب عليه) أى وقضى على الشيطان (أنه من تولاه) أى اتبعه (فانه) يعنى الشيطان (يضله) أى يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفى الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو فى ضلال ثم ألزم الحجة منكرى البعث فقال (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب) أى شك (من البعث) أى بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعنى اباكم آدم الذى هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعنى ذريته من المنى وأصلها الماء القليل (ثم من علقة) أى من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذى تأتى به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثانى هو الناقص عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أخذها ملك بكفه وقال أى رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها فى الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أى رب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأى أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها فى أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتى على آخر صفته والذى أخرجاه فى الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه

(لنبين لكم) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما بدأه (ونقر) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف أي نحن نثبت (في الارحام ما نشاء) ثبوته (الى أجل مسمى) أي وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الارحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربيكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو من ألفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخسه يعني الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي لكيلا يعلم شيأ من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما أو ينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وانه على كل شيء قدير) قادر (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله) في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لانه يهدي الى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحي والعلم للانسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه الى غيره (ليضل) تعليل للمجادلة ليضل مكي وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي جمع له عذاب الدارين (ذلك بما قدمت يداك) أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لان اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أي وبأن الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أي مضطربا

وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ۞ وقوله تعالى (لنبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم أن تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر في الارحام ما نشاء) أي لا نسقطه ولا تمجه (الى أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيأ فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ۞ ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) أي يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وأنبتت) هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك لتعلموا (بأن الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وانه يحيي الموتى) أي انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات (وانه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق ۞ قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لاوي جنبه وعنقه متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهوان وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أي يقال له ذلك (بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يتصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم ۞ قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم

(فان أصابه خير) صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن) سكن واستقر (به) بالخير الذى أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شر و بلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) جهته أى ارتد ورجع الى الكفر كالذى يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت فى أعاريب قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران فى الدنيا بالقتل فيها وفى الآخرة بالخلود فى النار (ذلك) أى خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذى لا يخفى على أحد (يدعو من دون الله) يعنى الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك (ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتهما هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه (لبئس المولى) أى الناصر الصاحب (ولبئس العشير) المصاحب وكرر يدعو كأنه قال يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصرى وشامى

من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على شك وأصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذى غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه (فان أصابه خير) أى صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن به) أى رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) أى بلاء فى جسمه وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) أى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أى خسر فى الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر فى الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود فى النار (ذلك هو الخسران المبين) أى الظاهر (يدعو من دون الله ما لا يضره) ان عصاه ولم يعبده (وما لا ينفعه) أى ان أطاعه وعبده (ذلك هو الضلال البعيد) أى عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى فى الآية الاولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال فى هذه الآية يدعو لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال فى الآية الاولى ما لا يضره أى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أى ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم أن يضروا وينفعوا وجه هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فثبت أنهم الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أى الناصر والمصاحب المعاشر ﴿ قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) أى باوليائه وأهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان ﴿ قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا) أى باعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) أى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه (فليمدد بسبب) أى بحبل (الى السماء) أى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أى

(فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أي الذي يغيظه أو ما مصدرية أي غيظه والمعنى فليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزل (٣٠٢) القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدي من يريد) أي ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم مؤمنون أو يثبت الذين آمنوا أو يزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان أباه قائم (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل ان الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سمي مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه (وكثير من الناس) أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود (ومن يهن الله) بالشقاوة (فما له من

الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده) أي صنيعه وحيلته (ما يغيظ) أي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصره الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله في السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفي الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه روى أن الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود محالفة فقالوا لا يمكننا أن نسلم لاننا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتنقطع المحالفة بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يؤوونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعني عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أي يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد (ان الله على كل شيء شهيد) أي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية في تفسير سورة البقرة ۞ قوله عز وجل (ألم تر) أي ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو أن هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بطاوعتها أفعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت هذا التأويل يبطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا أن بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره أيضا فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين أن كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عز وجل (ومن يهن الله فما له من

مكرم

مكرم) أي من يذله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء و يهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

﴿فصل﴾ هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها ۞ قوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عبادة قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا أكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث و يا حمزة بن عبد المطلب و يا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة و بارز حمزة شيبة و بارز علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم انا أحق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم بما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ و يزوى بعضها الى بعض ولا يظلم ربك من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا وللبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو أهل الاديان الستة وأيضا فانه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر مآل الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شئ اذا حمي أشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي الماء الحار الذي انتهت حرارته (يصهر به) أي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم (ما في بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلت ما في جوفه حتى

مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء (هذان خصمان) أي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى أهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم (في ربهم) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله (فالذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعني بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لانه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق (يصب من فوق رؤسهم) بكسر الهاء والميم بصري وبضمهما حمزة وعلي وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها (يصهر) يذاب (به) بالحميم (ما في بطونهم والجلود) أي يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن

(ولهم مقامع) سياط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتمال من منها باعادة الجار أو الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل مثل كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم الى أعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا والمراد اعادتهم الى معظم النار لأنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم [illegible] (وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك

ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور) جمع أسور جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب مدني وعاصم وعلى ويؤتون لؤلؤا وبالجر غيرهم عطفا على من ذهب وبترك الهمزة الاولى في كل القرآن أبو بكر وحماد (ولباسهم فيها حرير) ابريسم (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) أي أرشد هؤلاء في الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد أي الاسلام أو هداهم الله في الآخرة وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن الدخول في الاسلام ويصدون حال من فاعل كفروا أي وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار وجود الاحسان منه في الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذي جعلناه للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لا تباع دور مكة وان أريد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس (سواء) بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وغير المقيم بالياء مكي وافقه أبو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدأ مؤخر أي العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس حال

عرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) أي سياط من حديد وهي الجرز من الحديد وفي الخبر لو وقع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم (أعيدوا فيها) أي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق وهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ۞ قوله تعالى (وهدوا) من الهداية أي أرشدوا (الى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهدوا الى صراط الحميد) أي الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله ۞ قوله عز وجل (ان الذين كفروا) أي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) أي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا (سواء العاكف) أي المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أي الطارئ المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير أنه لا يزعج أحد أحدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان

(ومن يرد فيه) في المسجد الحرام (بالحاد بظلم) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالالحاد العدول عن القصد (نذقه من عذاب أليم) في الآخرة وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم (أن) هي المفسرة للقول المقدر أي قائلين له (لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي) من الاصنام والاقذار وبفتح الياء مدني وحفص (للطائفين) لمن يطوف به (والقائمين) والمقيمين بمكة (والركع السجود) المصلين جمع راكع وساجد (وأذن في الناس بالحج) ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد منيع وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأجاب من قدر له أن يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والاول أظهر وجواب الامر (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجالا كأنه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث

الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان أرض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار الى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها ۞ وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أي في المسجد الحرام (بالحاد بظلم) أي يميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله ۞ قوله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أي جهة يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنى عليه (أن لا تشرك بي شيأ) أي عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيأ (وطهر بيتي) أي من الشرك والاوثان والاقذار (للطائفين) أي الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين فيه (والركع السجود) أي المصلين ۞ قوله عز وجل (وأذن) أي أعلم وناد والاذان في اللغة الاعلام (في الناس) قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالحج) فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الاذان وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد أبا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم امر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يأتوك رجالا) أي مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة

(يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهر ين أو ثلاثة قال فأنتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال

زر من هويت وان شطت بك الدار ٭ وحال من دونه حجب وأستار لا يمنعنك بعد عن زيارته ٭ ان المحب لمن يهواه زوار

واللام في (ليشهدوا) ليحضروا متعلق باذن أو بيأتوك (منافع لهم) نكرها لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفعه وحدته الا ما سعى في معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التنادي (ويذكروا اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه قيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قضاء التفث مناسك الحج كلها

وقل

تشريفا لهم (يأتين) أي جماعة الابل (من كل فج عميق) أي من كل طريق بعيد فمن أتى مكة حاجا فكأنه قد أتى ابراهيم لانه مجيب نداءه ۞ قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام (فكلوا منها) أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيأ فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر علي ما غبر وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله ببضعة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل منه شيأ قال الشافعي لا يأكل منه شيأ وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند أصحاب الرأي انه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا شيء له ۞ قوله تعالى (ثم ليقضوا تفثهم) أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط

(وليوفوا نذورهم) مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر فى حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذى هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبى عمرو (بالبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابراهيم او الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية الى كرم الحرية أو لانه أعتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان أو من أيدى الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله أو من أيدى الملاك فلم

يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما ان العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا هاجته معية الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلى به الا اشتياقا ولم يفده التشفى باستلام الحجر الا احتراقا فيرده الاسف لهفان ويردده اللهف حوله فى الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدحام الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال فى صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أى التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أى كلها

وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج أشعث أغبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شئ يكون فى الحج أى ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمى والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهى اليه ويمشى أربعا وهذا الطواف سنة لا شئ على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شئ بدأ به حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد فى رواية ثم يصلى ركعتين يعنى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف فى الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشى أربعا ثم يصلى سجدتين والطواف الثانى هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمى والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أرانى الا حابستكم قال النبى صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى قوله عقرى حلقى معناها عقرها الله أى أصابها بالعقر وبوجع فى حلقها وقيل معناه مشؤمة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجرى عن ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمى عتيقا لان الله أعتقه من أيدى الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك ۞ قوله عز وجل (ذلك) أى الامر ذلك يعنى ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أى ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها (فهو خير له عند ربه) أى ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أى ان تأكلوها بعد الذبح وهى الابل والبقر

(الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الا ما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما أحل كتحريم بعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) لان ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها خطوا ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شئ كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع

بين الشرك وقول الزور أي الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لان الشرك من باب الزور اذ المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كحنفاء (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أي تسلبه بسرعة فتخطفه أي تتخطفه مدني (أو تهوي به الريح) أي تسقطه والهوى السقوط (في مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة (ذلك) أي الامر ذلك (ومن يعظم شعائر الله) تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى أن تنحر

والغنم (الا ما يتلى عليكم) أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الاوثان رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) أي الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروي عن أيمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لايمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ✿ قوله تعالى (حنفاء لله) أي مخلصين له (غير مشركين به) ودل ذلك على ان المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا احنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أي تسلبه وتذهب به (أو تهوي به الريح) أي تميل وتذهب به (في مكان سحيق) أي بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرقت أجزاؤه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ✿ قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) أي تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أي في البدن (منافع) قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها (الى أجل مسمى) أي الى أن يسميها ويوجبها هدايا فاذا فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعني الى أن تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها

من

(ثم محلها) أى وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله فى الاتساع قولك بلغت البلد وانما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها اتمامها ومحلها الى البيت العتيق يأباه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحمزة أى موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أى اراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على مارزقهم من بهيمة الانعام) أى عند نحرها وذبحها (فالهكم اله واحد) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم الله (٣٠٩) شرط الذبح يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة باشراك (وبشر المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره مابعده أى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبة (والصابرين على ماأصابهم) من المحن والمصائب (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفى الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أى من أعلام الشريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثانى مفعولى جعلنا (لكم فيها خير) النفع فى الدنيا والاجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) حال من الهاء أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن (فاذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط أى اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلوا منها) ان شئتم (وأطعموا القانع) السائل من قنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسال وقيل القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال

من غير ضرر بها لما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يارسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك فى الثانية أو الثالثة أخرجاه فى الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد مايفضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبها الا أن يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أى بالتجارة والاسواق الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أى بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج (ثم محلها الى البيت العتيق) أى منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر فى حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة ۞ قوله تعالى (ولكل أمة) أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أى مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام) أى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ماسواها لا يجوز ذبحه فى القرابين وان جاز أكله ۞ قوله عز وجل (فالهكم اله واحد) أى سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد (فله أسلموا) أى أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المخبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ماأصابهم) أى من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمى الصلاة) أى فى أوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) أى يتصدقون ۞ قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) أى من أعلام دينه قيل لانها تشعر وهو ان يطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك انها هدى (لكم فيها خير) أى نفع فى الدنيا وثواب فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أى عند نحرها (صواف) أى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والأخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض (فكلوا منها) أمر اباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذى يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذى لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل والمعتر هو الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجىء الى القوم فيتعرض لهم لاجل

(كذلك سخرناها لكم) أي كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أي ذللناها لكم مع قوتها وعظم أجرامها لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا إنعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أو لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا الإبل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كذلك سخرها لكم) أي البدن (لتكبروا الله) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ما هداكم) على ما أرشدكم إليه (وبشر المحسنين) الممتثلين أوامره بالثواب (إن الله يدافع) مكي وبصري وغيرهما يدافع أي يبالغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه إنا لننصر رسلنا (٣١٠) والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (إن الله لا يحب كل خوان) في أمانة الله (كفور) لنعمة الله أي لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها (أذن) مدني وبصري وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدني وشامي وحفص والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية (وإن الله على نصرهم) على نصر المؤمنين ومعنى (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا (الذين) في محل جر بدل من للذين أو نصب بأعني أو رفع بإضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ومحل أن يقولوا جر بدلا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدني ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف حجازي (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أي لولا إظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أي كنائس وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في زمنهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا أو لقربها من التهديم (يذكر فيها اسم الله كثيرا)

لحمهم (كذلك) أي مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) أي لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) أي إنعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون أن ذلك قربة إلى الله تعالى فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أي لن ترفع إلى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) أي ولكن ترفع إليه الأعمال الصالحة والإخلاص وهو ما أريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ما هداكم) وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين ۞ قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور ۞ قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلموا أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء (وإن الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الإخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد وإقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى (وصلوات) هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد

في المساجد أو في جميع ما تقدم (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه وأولياءه (ان الله لقوى) على نصر أوليائه (عزيز) على انتقام أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة اياه أي لست بأوحدي في (٣١١) التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثمود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره (فامليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) انكاري وتغيير حيث ابدلتهم بالنعم نقما وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب (فكأين من قرية أهلكناها) أهلكتها بصري (وهي ظالمة) حال أي وأهلها مشركون (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عروشها) يتعلق بخاوية والمعنى انها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهي خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كأين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها (وبئر معطلة) أي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها أو هي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أو أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها والاظهر ان البئر والقصر على العموم (أفلم يسيروا في الارض) هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا

ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه ونبيه (ان الله لقوى) أي على نصر من ينصر دينه (عزيز) أي لا يضام ولا يمنع مما يريده ۞ قوله عز وجل (الذين ان مكناهم في الارض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) أي آخر أمور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع ۞ قوله تعالى (وان يكذبوك) فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فامليت للكافرين) أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) أي عاقبتهم (فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه ۞ قوله عز وجل (فكأين من قرية أهلكتها) وقرئ أهلكناها على التعظيم (وهي ظالمة) أي وأهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على سقوفها (وبئر معطلة) أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ۞ قوله تعالى (أفلم يسيروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا الى

(فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه و يسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الضمير في فانها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الابصار أي فما عميت أبصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان أربع أعين عينان في رأسه وعينان في قلبه فاذا أبصر ما في القلب وعمي ما في الرأس لم يضره وان أبصر ما في الرأس وعمي ما في القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شئ (و يستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كانه قال ولم يستعجلونك به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) تعدون مكي وكوفي غير عاصم أي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد طوال (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم

مصارع المكذبين من الامم الخالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أي يعلمون بها (أو آذان يسمعون بها) يعني ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) المعنى ان عمى القلب هو الضار في أمر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة و بصر القلوب هو البصر النافع (و يستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث (ولن يخلف الله وعده) أي انه أنجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من أيام الآخرة يدل عليه ماروي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستعجلونك بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل ان يوما من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شئ بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأين من قرية أمليت لها) أي أمهلتها (وهي ظالمة) أي مع استمرار أهلها على الظلم (ثم أخذتها) أي أنزلت بهم العذاب (والى المصير) يعني مصيرهم الي في الآخرة ففيه وعيد وتهديد ﴿قوله عز وجل (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والانذار وأن يقول لهم انما بعثت لكم منذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما أنا نذير مبين أردف ذلك بان أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضا مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في ابطال آياتنا (معجزين) أي مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين أي معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا و يفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار (أولئك أصحاب الجحيم) قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا

حينا (ثم أخذتها) بالعذاب (والي المصير) أي المرجع الي فلا يفوتني شئ وانما كانت الاولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بالواو لان الاولى وقعت بدلا عن فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) وانما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين و يا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا أو نقدبره نذير مبين و بشير فبشر أولا فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أي حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعى في أمر فلان اذا أفسده بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكي وأبو عمرو وعاجزه سابقه كأن كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم (أولئك أصحاب الجحيم) أي النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك) من لابتداء الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيد النفي (ولا نبي) هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض انهما واحد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر ان يدعو الى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره (الا

إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما فى مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه و يتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبى أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم و يقولون قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيى و يميت و يرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم و بلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذى كانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذى يأتيه جبريل بالوحى عيانا ولا نبى النبى هو الذى تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا الا اذا تمنى أى أحب شيأ واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى مراده وقال ابن عباس اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبى الا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبى الا ألقى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى تلاوته قال حسان فى عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبى صلى الله عليه وسلم فى التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة أحدها توهين أصل هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذى يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى الصلاة

اذا تمنى) قرأ قال * تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان فى أمنيته) تلاوته قالوا انه عليه السلام كان فى نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك العرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لانه لا يخلو اما أن يتكلم النبى عليه السلام بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر لانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى عليه السلام جبرا بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ففى حقه أولى أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال فى صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبى صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا القاء قراءة فى النبى عليه السلام وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى عليه السلام و يسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم أحد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم

وآخر يقول قرأها وهو فى نادى قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدثت نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك الى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذى جاء فى الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا أخرجه البخارى ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخارى فهذا الذى جاء فى الصحيح لم يذكر فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذى ذكره المفسرون عن ابن عباس فى هذه القصة فقد رواه عنه الكلبى وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثانى وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح اله غير الله أو ان يتسور عليه الشيطان و يشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث فى تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا و يفصل الآى تفصيلا كما صح عنه فى قراءته فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا الصوت النبى صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبى صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع فى تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان التمنى يكون بمعنى حديث النفس و بمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أى خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمنى اشتغل الخاطر فحصل السهو فى الافعال الظاهرة وعلى الثانى وهو تفسير التمنى بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أى تلا وهو ما يقع للنبى صلى الله عليه وسلم من السهو فى اسقاط آية أو آيات أو كلمة ونحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه و يذكر به للوقت والحين كما صح فى الحديث لقد أذكرنى كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ فى العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم فى ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم ۞ قوله عز وجل (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله و يذهبه (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها (والله عليم حكيم) ۞ قوله عز وجل (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) أى محنة و بلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء (للذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لفى شقاق بعيد) أى فى خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) أى التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق من ربك) أى الذى احكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) أى يعتقدوا انه من الله عز وجل (فتخبت له قلوبهم) أى تسكن اليه (وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) أى الى طريق قويم وهو الاسلام ۞ قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه) أى فى شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أى فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أى عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن فى ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتى بخير وقيل لانه لا مثل له

الزيادة من الشيطان (والله عليم) بما أوحى الى نبيه و بقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه و يزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقوله (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة (وان الظالمين) أى المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله و بدينه و بالآيات (انه) أى القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت) فتطمئن (له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) فيتأولون ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة و يطلبون لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) شك (منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعنى يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتى بخير أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته

ف

(الملك يومئذ) أي يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أي يوم تؤمنون أو يوم تزول مريتهم لله فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضي ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال (والذين هاجروا في سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) في الجهاد قتلوا شامي (أو ماتوا) حتف أنفهم (ليرزقهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) لانه المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا ملال (ليدخلنهم مدخلا) بفتح الميم مدني والمراد الجنة (يرضونه) لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين (وان الله لعليم) باحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حليم) بامهال من قاتلهم معاندا روي ان طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين (ذلك) أي الامر ذلك وما بعده مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) سمي الابتداء بالجزاء عقوبة لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه (ثم بغي عليه لينصرنه الله) أي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره (ان الله لعفو) يمحو آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للافضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أي ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وان توالت الظلمات (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) عراقي غير أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجري فيهما وادراك كل قولهم وفعلهم بسبب ان الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح

في عظم أمره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ۞ قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم ۞ قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغي عليه) أي ظلم باخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم الى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله ان الله لعفو) أي عن مساوي المؤمنين (غفور) يعني لذنوبهم (ذلك) أي ذلك النصر (بأن الله) القادر على ما يشاء فمن قدرته انه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) في معنى هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق) أي ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان ما يدعون) يعني المشركين (من دونه هو الباطل) يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع (وان الله هو العلي) أي العالي على كل شيء (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه ۞ قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح

الارض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان فاروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر ان نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه وان رفعته أثبت شكره (ان الله لطيف) واصل علمه أو فضله الى كل شئ (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (وان الله لهو الغنى) المستغنى بكمال قدرته بعد فناء ما فى السموات وما فى الارض (الحميد) المحمود بنعمته قبل ثناء من فى السموات ومن فى الارض (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض) من البهائم مذللة للركوب فى البر (والفلك تجرى فى البحر بامره) أى ومن المراكب جارية فى البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجرى حال لها أى وسخر لكم الفلك فى حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الارض) أى يحفظها من أن تقع (الا باذنه) بامره أو بمشيئته (ان الله بالناس لرؤف) بتسخير ما فى الارض (رحيم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد آلاءه مقرونة باسمائه ليشكروه (٣١٦) على آلائه ويذكروه باسمائه وعن أبى حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم فى الآيات الثمانية يستجاب لقارئها البتة (وهو الذى أحياكم) فى أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لايصال جزائكم (ان الانسان لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أولا يعرف نعمة الانشاء المبدى للوجود ولا الافناء المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكا) مر بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (فى الامر) امر الذبائح أو الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين مالكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنى الميتة وقيل (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو فى لكل أمة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا (وان جادلوك) مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله أعلم بما تعملون) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم باعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) أى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيهما (فى كتاب) فى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اى علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله

الارض مخضرة) أى بالنبات (ان الله لطيف) أى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان (خبير) أى بما فى قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له ما فى السموات وما فى الارض) أى عبيدا وملكا (وان الله لهو الغنى الحميد) يعنى الغنى عن عباده الحميد فى أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض) أى الدواب التى تركب فى البر (والفلك) أى وسخر لكم السفن (تجرى فى البحر بامره) يعنى سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت (ويمسك السماء أن تقع) أى لكيلا تسقط (على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى انه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية فى الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم (وهو الذى أحياكم) أى أنشأكم ولم تكونوا شيأ (ثم يميتكم) أى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أى يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) أى لجحود لنعم الله عز وجل ۞ قوله تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعنك فى الامر) أى فى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما تقتلون بايديكم ولا تأكلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت ۞ قوله تعالى (وادع الى ربك) أى الى الايمان به والى دينه (انك لعلى هدى مستقيم) أى على دين واضح قويم (وان جادلوك) أى خاصموك فى أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أى من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) أى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى ۞ قوله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب) أى فى اللوح المحفوظ (ان ذلك) أى علمه بجميعه (على الله يسير) اى هين

ويعبدون من دون الله مالم ينزل به) ينزل مكي و بصري (سلطانا) حجة و برهانا (وماليس لهم به علم) أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان
سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي (وما للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب
مذهبهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر
(يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر
من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ماتلي عليكم (النار) خبر مبتدا محذوف كأن
قائلا قال ماهو فقيل النار أي هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (و بئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن لله تعالى
شريكا جارية في الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له)

لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل و يعقوب (من دون الله) آلهة باطلة (لن يخلقوا ذبابا) لن لتأكيد نفي المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال أن يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمي ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي
الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو
اجتمعوا لذلك (وان يسلبهم الذباب شيأ) شيأ ثاني مفعولي يسلبهم (لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ
فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز
الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أي الصنم بطلب ماسلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم و بين الذباب في الضعف
ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه
حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له (ان الله لقوي عزيز) أي ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها
به أو لقوي بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه (الله يصطفي) يختار (من الملائكة رسلا) كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم

وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) أي
حجة ظاهرة من دليل سمعي (وماليس لهم به علم) أي انهم فعلوا مافعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي
(وما للظالمين) أي المشركين (من نصير) أي مانع يمنعهم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني
القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر) أي الانكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) أي يقعون و يبسطون اليكم
أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أي قل
لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أي بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون (النار) أي
هي النار (وعدها الله الذين كفروا و بئس المصير) ۞ قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذي
جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز أن يسمى كل كلام
كان كذلك مثلا وقال في الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا
تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) أي تدبروه حق
تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل لي شبيه وشبه بي الاوثان أي جعل المشركون الاصنام
شركائي يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (لن يخلقوا
ذبابا) أي واحدا في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أي لخلقه والمعنى ان هذه
الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له
(وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء
الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الاصنام فيقع الذباب عليه و يأكل منه (ضعف
الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب مايسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو
الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد
الصنم والمطلوب هو الصنم (ماقدروا الله حق قدره) أي ماعظموه حق عظمته وماعرفوه حق معرفته
ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوي عزيز) أي
غالب لا يقهر ۞ قوله عز وجل (الله يصطفي من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل

(ومن الناس) رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على صربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو سميع لاقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير باحوال الامم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم) ما لم يأت أو ما عملوا وما سيعملوه أوامر الدنيا وأمر الآخرة (والى الله ترجع الامور) أي اليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجم شئ وحمزة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلاتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكرى ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أي كي تفوزوا وافعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغزو أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو ان لا تخافوا في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا *

واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) أي ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (ان الله سميع) أي لاقوالهم (بصير) أي لافعالهم لا تخفى عليه خافية ۞ قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) أي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم (والى الله ترجع الامور) أي في الآخرة ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أي وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

* فصل في حكم سجود التلاوة هنا * لم يختلف العلماء في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروى عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى أنهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد واسحق يدل عليه ما روى عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذي وأبو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك في الموطأ وذهب قوم الى أن في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد في احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى أن المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في القرآن احدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال في القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمرو بن العاص قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ واذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب ۞ قوله عز وجل (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال

(هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالايماء وبالقصر والافطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (ملة أبيكم ابراهيم)

لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فأي رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يبتلي بشيء من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة أبيكم ابراهيم) لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أبا للامة كلها فكيف سماه أبا في قوله ملة أبيكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم كالوالد وفي قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولان أحدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا (وفي هذا) أي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يعني يوم القيامة ان قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) يعني تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة المؤمنين وهي مكية﴾

وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه

أي اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم وسماه أبا وان لم يكن أبا للامة كلها لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام انما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أي الله بدليل قراءة أبي الله سماكم (من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي في القرآن أي فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فأقيموا الصلاة) بواجباتها (وآتوا الزكاة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أي مالككم وناصركم ومتولي أموركم (فنعم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أي الناصر هو حيث أعانكم على طاعته وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب

﴿سورة المؤمنين مكية وهي مائة وثمان عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فازوا بما طلبوه ونجوا مما هربوا والايمان في اللغة

التصديق والمؤمن المصدق لغة وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا حرام على كل بخيل مراء لانه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية (الذين هم في صلوتهم خاشعون) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبي الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام وأضيفت الصلاة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما المصلى له فغني عنها (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني ان لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الا على أزواجهم) في موضع الحال أي الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقال الفراء الا من أزواجهم في زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي امائهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم

روي كذوي النحل ونزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي ۞ قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلوتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لابد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر ۞ قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم للزكوة فاعلون) أي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا هي العمل الصالح والاول أولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الا على أزواجهم) على بمعنى من (أو ما ملكت أيمانهم) يعني الاماء والجواري والآية

(فانهم غير ملومين) أى لالوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم واماءهم (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لاماناتهم مكى وسهل سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعانى والمراد به العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) حافظون والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلاتهم كوفى غير أبى بكر (٣٢١) (يحافظون) يداومون فى أوقاتها

واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها أو لانها وحدت أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار فى الحديث مامنكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس بتأويل

الجنة (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من سلالة) من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمى التراب الذى خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة (من طين) من للبيان كقوله من الاوثان (ثم جعلناه) أى نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة أى ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعنى من نطفة مسلولة من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليلا (فى قرار) مستقر يعنى الرحم (مكين) حصين (ثم خلقنا النطفة) أى صيرناها بدلالة تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة)

فى الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعنى بعدم حفظه فرجه من امرأته وأمته فانه لا يلام على ذلك وانما الايلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأتى وفى حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) أى التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجوارى المملوكة (فأولئك هم العادون) أى الظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ۞ قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أى حافظون ويحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التى عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التى أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أى يداومون ويراعون أوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرار وصفهم أولا بالخشوع فى الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها ۞ قوله عز وجل (أولئك) يعنى أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعنى يرثون منازل أهل النار من الجنة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذى (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون ۞ قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هى المنى لان النطفة تسل من الظهر من طين يعنى طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة (فى قرار مكين) أى حرز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقة) أى صيرنا النطفة قطعة دم جامد (فخلقنا العلقة مضغة) أى جعلنا الدم الجامد قطعة

لما قدر ما يضع (لخلقنا المضغة عظاما) فصيرناها عظاما (فكسونا العظام لحما) فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظما العظم شامي وأبو بكر عظاما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ الانسان ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكور (خلقا آخر) أي خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) المقدرين أي أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضي الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعد ما ذكرنا من أمركم (لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) تحيون للجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) جمع طريقة وهي السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم (وما كنا عن الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم (فأسكناه في الارض) كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض فماء الارض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وانا على ذهاب به لقادرون) أي كما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر

لحم صغير (لخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا بعد ما كان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشي الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أي المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبعـ*ـض القوم يخلق ثم لا يفري

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أي بعد ما ذكر من تمام الخلق (لميتون) أي عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أي للحساب والجزاء ۞ قوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) أي بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنيناها فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا تخفى علينا خافية (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أي يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فأسكناه في الارض) يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه في الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء في الارض من السماء (وانا على ذهاب به لقادرون) وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم

كله

(فأنشأنا لكم) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) سوى النخيل والاعناب (ومنها تأكلون) أي من الجنات أي من ثمارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها أي انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلوا اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبو عمرو للتعريف والعجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف للتأنيث كصحراء (تنبت بالدهن) قال الزجاج

الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن تنبت مكي وأبو عمرو واما لان أنبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا أنبت البقل أولان مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للآكلين) أي ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن والزيت وقيل هو أول شجرة نبتت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم في الانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامي ونافع وأبو بكر وسقي وأسقي لغتان (مما في بطونها) أي نخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهي منافع الاصواف والاوبار والاشعار (ومنها تأكلون) أي لحومها (وعليها) وعلى الانعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) في أسفاركم وهذا اشير الى ان المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد ناقته (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من اله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي أشرافهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) ارسال رسول (لانزل ملائكة) لارسل ملائكة (ما سمعنا بهذا) أي بارسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (في آبائنا الاولين ان

كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان ابن عثمان ابن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى (فأنشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) انما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) أي في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وأيلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة اداما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى في الارض نحو ثلاثة آلاف سنة ﴿ قوله عز وجل (وان لكم في الانعام لعبرة) أي آية تعتبرون بها (نسقيكم مما في بطونها) أي ألبانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه شيء منهما فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعليها) أي وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) أي ما لكم معبود سواه (أفلا تتقون) أي أفلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور (يريد أن يتفضل عليكم) أي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأنتم له تبع (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعني بابلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) أي الذي يدعونا اليه نوح (في آبائنا الاولين ان

هو الا رجل به جنة) جنون (فتربصوا به حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي أمره فان أفاق من جنونه والا قتلتموه (قال رب انصرني بما كذبون) فلما أيس من ايمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي اذ في نصرتي اهلاكهم أو انصرني بدل ما كذبون كقولك هذا بذاك أي بدل ذاك والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم (فأوحينا اليه) أي أجبنا دعاءه فأوحينا اليه (أن اصنع الفلك بأعيننا) أي تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته اياك أو بحفظنا وكلاءتنا كان معك من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أمرنا وتعليمنا اياك صنعها روي أنه أوحي اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر (فاذا جاء أمرنا) أي عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أي فار الماء من تنور الخبز أي أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الانذار والاعتبار روي أنه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فادخل في السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (٣٢٤) (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل الا ما يلد ويبيض من كل حفص والمفضل أي من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان (وأهلك) ونساءك وأولادك (الا من سبق عليه القول) من الله باهلاكه وهو ابنه واحدى زوجتيه فجيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألني نجاة الذين كفروا فاني أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت أنت ومن معك في معنى اذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة (وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب أنزلني منزلا) أي انزالا أو موضع انزال منزلا أبو بكر أي مكانا (مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (ان في ذلك) فيما فعل نوح وقومه (لآيات) لعبرا ومواعظ (وان) هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في الاعراف وهود والشعراء (فأرسلنا فيهم) الارسال يعدى بالى ولم يعد بفي هنا وفي قوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة

* أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم

هو الا رجل به جنة) أي جنون (فتربصوا به حتى حين) أي الى الموت فتستريحوا منه (قال رب انصرني بما كذبون) أي أعني باهلاكهم بتكذيبهم اياي (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فاذا جاء أمرنا) أي عذابنا (وفار التنور) قيل هو التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور (فاسلك فيها) أي فادخل في السفينة (من كل زوجين اثنين) أي من كل حيوان ذكرا وأنثى (وأهلك) أي وسائر من آمن بك (الا من سبق عليه القول) أي وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار وقيل أراد باهله أهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) ۞ قوله عز وجل (فاذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) أي في السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أي الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وأنت خير المنزلين) معناه أنه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن أن يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أنزله ويكلؤه في سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك (ان في ذلك) أي الذي ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله (لآيات) أي دلالات على قدرتنا (وان كنا) أي وما كنا (لمبتلين) أي الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم ۞ قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعني عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعني

(أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) ان مفسرة لارسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملأ من قومه) ذكره مقالة قوم هود في جوابه في الاعراف وهود بغير واو لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء وجيء بالفاء في قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقيبه (الذين كفروا) صفة للملأ أي وقومه (وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ماهذا) أي النبي (الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أي منه فحذف لدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أي فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم (لخاسرون) بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم انكم اذا متم) بالكسر نافع وحمزة وعلي وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى انكم للتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هيهات هيهات) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمر أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث (ان هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لا حياة الا هذه الحياة التي نحن فيها ودنت منا وهذا لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي لنفي الجنس (نموت ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن فيأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا) أي ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني بما كذبون) فأجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقيل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذا عاينوا ما يحل بهم (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضي بالحق أي بالعدل (فجعلناهم غثاء) شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلاكا يقال بعد بعدا وبعدا أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة) من صلة أي ما تسبق أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذي حد لها كما كتب (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فعلى والالف للتأنيث كسكرى لان

هود قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) أي هذه الطريقة التي أنتم عليها مخافة العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بالمصير اليها (وأترفناهم) أي نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحيوة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أي من مشربكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) أي لمغبونون (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) أي من قبوركم أحياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس أي بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر في بدء أمرهم وقدرة الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (ومانحن بمبعوثين) أي بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الا رجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين) أي بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض (فبعدا) أي ألزمنا بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) ۞ قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا

الرسل جاعة ولدالابنون لانه غير منصرف تترى بالتنوين مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الالف للالحاق كارطى وهو نصب على الحال أى القرانين أى متتابعين واحدا بعد واحد ووزنه فعلى والتاء بدل من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فأتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) أخبارا يسمع بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا لاحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما)

أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى) أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة وحد لان الاعجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما) جعلنا مأواهما أى منزلهما (الى ربوة) شامى وعاصم ربوة غيرهما أى أرض مرتفعة وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار على وجه الارض أو انه مفعول أى مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه أو فعيل لانه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه أو هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الغنائم أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشريعة (انى بما تعملون عليم) فأجازيكم على أعمالكم

عز

(كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) أى بالهلاك فأهلكنا بعضهم فى أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) أى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم (فبعدا لقوم لا يؤمنون) ﴿ قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) أى بحجة بينة كالعصا واليد وغيرهما (الى فرعون وملئه فاستكبروا) أى تعظموا عن الايمان (وكانوا قوما عالين) أى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (أنؤمن لبشرين مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) أى مطيعون متذللون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) أى بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهتدون) أى لكى يهتدى به قومه ﴿ قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وأنطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناهما الى ربوة) أى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها ﴿ وقوله (ذات قرار) أى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون ﴿ قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أى استقيموا على ما يوجبه الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم ﴿ قوله

(وان هذه) كوفى على الاستئناف وان حجازى و بصرى بمعنى ولان أى فاتقون لان هـذه أو معطوف على ماقبله أى بما تعملون عليم وبان هذه أو تقديره واعلموا أن هذه (أمتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام وانتصاب أمة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وأنا ربكم) وحدى (فاتقون) فخافوا عقابى فى مخالفتكم أمرى (فتقطعوا أمرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع أى قطعوا أمر دينهم (زبرا) جمع زبور أى كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وقيل تفرقوا فى دينهم فرقا كل فرقة تنتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا جمع زبرة أى قطعا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المقطعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب أو الدين أو من الهوى والراى (فرحون) مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) جهالتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن يقتلوا أو يموتوا (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين) ما بمعنى الذى وخبران (نسارع لهم فى الخيرات) والعائد من خبران الى اسمها محذوف أى نسارع لهم به والمعنى ان هـذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو أصلح له فى الدين وقد أخبر ان ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا أصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله أيحسبون أى انهم اشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا فى ذلك انه استدراج أو مسارعة فى الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هم بربهم لا يشركون) كمشركى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يؤتون ما أتوا بالقصر أى يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم وجلة) خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم (انهم الى ربهم راجعون) الجمهور على أن التقدير لانهم وخبران الذين (أولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (ولا نكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتها يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق (ولدينا كتاب) أى اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم

عزوجل (وان هذه أمتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) أى ملة واحدة وهى الاسلام (وأنا ربكم فاتقون) أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فأمركم واحد وأنا ربكم فاتقون (فتقطعوا) أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (أمرهم) أى دينهم (بينهم زبرا) أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن يموتوا (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين) أى ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نعجل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لرضانا عنهم (بل لا يشعرون) أى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) أى خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم الى ربهم راجعون) أى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يارسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون و يخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون فى الخيرات أخرجه الترمذى ۞ وقوله (أولئك يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات ۞ قوله عزوجل (ولا نكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أى يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به و يبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التى تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من حسناتهم ولا

أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (اذا هم يجأرون) يصرخون استغاثة والجؤار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لا تجأروا اليوم) فان الجؤار غير نافع لكم (انكم منا لا تنصرون) أي من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة (قد كانت آياتي تتلى عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى والنكوص ان يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه (مستكبرين) متكبرين على

المسلمين حال من تنكصون (به) بالبيت أو بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتي لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من أهجر في منطقه اذا أفحش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق أي عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الابلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه الى جنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على ان أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه كابي طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة

يزاد على سيآتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من هذا) أي القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقاوة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف (اذا هم يجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لا تجأروا اليوم) أي لا تجزعوا ولا تضجوا اليوم (انكم منا لا تنصرون) أي لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول أظهر (سامرا) يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهذون وتقولون ما لا تعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) يعني فانكروا وأعرضوا بل قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) ۞ قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو

اتبع

(لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكر لان غيرهم تبع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنون و يقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين الآية (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير) حجازى و بصرى وعاصم خرجا فخرج على وحمزة شامى خراجا فخراج وهو ماتخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق أن يستجيبوا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب

(للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) يترددون يعنى لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) استشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف و بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أى خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أى وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون أى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم بابا ذا عذاب شديد) أى باب الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة) خصها بالذكر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قليلا ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيا (وهو الذى ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (فى الارض واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى و يميت) أى يحيى النسم بالانشاء و يميتها بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) أى مجىء أحدهما عقيب الآخر واختلافهما فى الظلمة والنور أو فى الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره

اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أى لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أى لفسد العالم (بل أتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكرهم) أى شرفهم (معرضون أم تسئلهم) أى على ما جئتهم به (خرجا) أى أجرا وجعلا (فخراج ربك خير) أى ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) تقدم تفسيره (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أى الى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أى عن دين الحق (لناكبون) أى لعادلون عنه ومائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أى قحط وجدوبة (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) أى لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل الله عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد أكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أى ما خضعوا وما ذلوا لربهم (وما يتضرعون) أى لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) أى آيسون من كل خير ۞ قوله عز وجل (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة) أى لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أى لم تشكروا هذه النعم (وهو الذى ذرأكم فى الارض) أى خلقكم (واليه تحشرون) أى تبعثون (وهو الذى يحيى و يميت وله اختلاف الليل والنهار) أى تدبير الليل والنهار

(أفلا تعقلون) فتعرفوا اقتدارنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أى أهل مكة (مثل ما قال الاولون) أى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) متنا نافع وحمزة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) مجىء محمد (ان هذا الا أساطير الاولين) جمع أسطار جمع سطر وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الحجة على المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية أو تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل شئ) الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك (وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (سيقولون لله قل فانى تسحرون) تخدعون عن الحق أو عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذ السؤال لمن وكذا الثانى والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر
اذا قيل من رب المزالف والقرى ✽ ورب الجياد الجرد قيل لخالد أى لمن المزالف ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان (بل أتيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) فى قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك ثم أكذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك فى الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بالذى خلقه فاستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعلا بعضهم على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز للممالك وللتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ولا يقال اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدنى وكوفى غير حفص خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اما تريني ما يوعدون) ما والنون مؤكدان أى ان كان لابد من ان تريني ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة ما وعدتهم

فى الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض (أفلا تعقلون) أى ما ترون من صنعه فتعتبروا (بل قالوا مثل ما قال الاولون) أى كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ما أنكر الاولون مع وضوح الادلة (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أى لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) أى هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أى وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة (ان هذا الا أساطير الاولين) أى أكاذيب الاولين ۞ قوله تعالى (قل) أى يا محمد لاهل مكة (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) أى خالقها ومالكها (سيقولون لله) أى لابد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله (قل) أى قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك (أفلا تذكرون) أى فتعلموا ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أى عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه (قل من بيده ملكوت كل شئ) أى ملك كل شئ (وهو يجير) أى يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أى لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من أراده بسوء (ان كنتم تعلمون) أى فاجيبوا (سيقولون لله قل فانى تسحرون) أى فانى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناهم بالحق) أى بالصدق (وانهم لكاذبون) أى فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) أى من شريك (اذا لذهب كل اله بما خلق) أى لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعلا بعضهم على بعض) أى طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ و يقدر على كل شئ ثم نزه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أى من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أى تعظم من أن يوصف بما لا يليق به ۞ قوله عز وجل (قل رب) أى يا رب (اما تريني ما يوعدون) أى

(رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن رضي الله عنه أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها فامر أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار (ادفع بالتي) بالخصلة التي (هي أحسن السيئة) هو أبلغ من أي يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنه هي شهادة أن لا اله الا الله

والسيئة الشرك أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى ثلم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وساوسهم ونخساتهم والهمزة النخس والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا أو عند تلاوة القرآن وعند النزع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بيصفون أي لا يزالون يشركون الى وقت مجيء الموت أو لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قال رب ارجعون) أي ردوني الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) في الموضع الذي تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ما تمنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلي ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن ورائهم) أي امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم أن لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ في

ما وعدتهم من العذاب (رب) أي يا رب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي لا تهلكني بهلاكهم (وانا على أن نريك ما نعدهم) أي من العذاب (لقادرون ادفع بالتي هي أحسن) أي بالخلة التي هي أحسن وهي الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعني أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أي يكذبون ويقولون من الشرك ۞ قوله عز وجل (وقل رب أعوذ بك) أي امتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شيء من أموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له ۞ عن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث ونزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر أي لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى أن ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولا ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) أي ضيعت وقيل تركت أي منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أي لا يرجع اليها (انها) يعني مسألته الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا ينالها (ومن ورائهم برزخ) أي من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (الى يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ۞ قوله تعالى (فاذا نفخ في

الصور) قيل انها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) وبالادغام أبو عمرو لاجتماع المثلين وان كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لان كلا مشغول عن صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا

(فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه) بالسيئات والمراد الكفار (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) وتزعمون انها ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوتنا) شقاوتنا حمزة وعلي وكلاهما مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون فاغفر

ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يحمل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا اسكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير أن يحضرون ارجعوني ولا تكلموني بالياء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلا ياء (انه) ان الامر والشأن (كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا

الصور فلا أنساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون ۞ قوله عز وجل (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا) أي غبنوا (أنفسهم في جهنم خالدون تلفح) أي تسفع وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار * عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ۞ قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي التي كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) أي عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) أي لما تكره (فانا ظالمون قال اخسؤا فيها) أي ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) أي في رفع العذاب فاني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء قوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم (انه كان فريق من عبادي) يعني المؤمنين (يقولون ربنا آمنا

فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) مفعول ثان و بالضم مدنى وحمزة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم (أنهم) أى لانهم (هم الفائزون) و يجوز ان يكون مفعولا ثانيا أى جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين وجزاهم بما صبروا جنة انهم حمزة وعلى على الاستئناف أى انهم هم الفائزون لا أنتم (قال) أى الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكى وحمزة وعلى أمر للملك أن يسألهم (كم لبثتم فى الارض) فى الدنيا (عدد سنين) أى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان

فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) أى تسخرون منهم وتستهزؤن بهم (حتى أنسوكم ذكرى) أى أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) نزل فى كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) أى على أذاكم واستهزائكم فى الدنيا (انهم هم الفائزون) أى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعنى ان الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم فى الارض) أى فى الدنيا وفى القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعنى الملائكة الذين يحفظون عمل بنى آدم و يحصونه عليهم (قال ان لبثتم) أى ما لبثتم فى الدنيا (الا قليلا) سماه قليلا لان المرء وان طال لبثه فى الدنيا فانه يكون قليلا فى جنب ما يلبث فى الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أى قدر لبثكم فى الدنيا ۞ قوله عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أى لعبا و باطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله عز وجل (وأنكم الينا لا ترجعون) أى فى دار الآخرة للجزاء روى البغوى بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه فى أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت فى أذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أى هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) أى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أى لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة فى دعوى الشرك (فانما حسابه) أى جزاؤه (عند ربه) أى هو مجازيه بعمله (انه لا يفلح الكافرون) أى لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

تفسير سورة النور وهى مدنية وهى اثنتان وقيل أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة (فاسئل العادين) أى الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم فسل بلا همز مكى وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) أى ما لبثتم الا زمنا قليلا أو لبثا قليلا (لو أنكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها قل ان حمزة وعلى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حال أى عابثين أو مفعول له أى للعبث (وانكم الينا لا ترجعون) بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلى ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم أو على عبثا أى للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسىء (فتعالى الله) عن أن يخلق عبثا (الملك الحق) الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان) أى لا حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فالله مثيبه أو صفة لازمة جئ بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان (فانما حسابه) أى جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) أى فهو يجازى به لا محالة (انه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وأنت خير الراحمين) لان رحمته اذا أدركت أحدا أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

(سورة النور مدنية وهى ستون وأربع آيات * بسم الله الرحمن الرحيم

سورة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة (أنزلناها) صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيدا ضربته أو على أتل سورة والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أى فرضنا أحكامها التى فيها وأصل الفرض القطع أى جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكى وأبو عمرو للمبالغة فى الايجاب وتوكيده ولأن فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزانى) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أى فيما فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدهما أو الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط وتقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى أنه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب للائمة لان اقامة الحد من الدين وهى على الكل الا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم المحصن الرجم وشرائط الاحصان للرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافى والتغريب المروى منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والاذى فى قوله فأمسكوهن فى البيوت وقوله فآذوهما بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة والفتح لغة وهى قراءة مكى وقيل الرأفة فى دفع المكروه والرحمة فى ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (فى دين الله) أى فى طاعة الله أو حكمه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر أى فاجلدوا ولا تعطلوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضره موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجر هو وأقلها ثلاثة أو أربعة وهى صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شىء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة الى أربعين رجلا (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) أى الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى خبيثة من شكله أو فى مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين فالآية تزهيد فى نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك فى القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما فى أول الاسلام ثم نسخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزانى يستقذر الزانية ولا يشتهيها

وحرم

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) أى أوجبنا ما فيها من الاحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى واضحات (لعلكم تذكرون) أى تتعظون قوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان فى الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا أى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة التغريب الى رأى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرأفة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية أى القذف ويخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد الفرية ويخفف دون ذلك فى حد الشرب (فى دين الله) أى فى حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال يا بنى ان الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فأوجعت (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه ان المؤمن لا تأخذه الرأفة اذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد) أى وليحضر (عذابهما) أى حدهما اذا أقيم عليهما (طائفة) أى نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك

وهو صحيح لكنه يقتضي اذا قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وسئل صلى الله عليه وسلم عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال أوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا لان تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه الخاطب ومنه بدا الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع أيضا معنى النهي ولكن أبلغ وآكد ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتها جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أولما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب (والذين يرمون المحصنات) وبكسر الصاد على أي يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بان يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط اربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أي ثم لم يأتوا باربعة شهود يشهدون على الزنا لان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفي فيه شاهدان [illegible] وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة في وجوب حد القذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ان كان القاذف حرا ونصب ثمانين نصب المصادر كما نصب مائة جلدة وجلدة نصب على التميز

وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغايا هن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب ابن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيا فنزلت الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني الا بزان أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتي لا تمنع يد لامس فقال طلقها قال اني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية أن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية ﴿قوله تعالى (والذين يرمون) أي يقذفون بالزنا (المحصنات) يعني المسلمات الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصنا ومحصنة بالزنا فقال له يا زاني أو يا زانية أو زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا

بجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر أو يا خبيث أو يا . . . أو يا فاجرة وقال امرأتى لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا أن يريد بذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما انا فما زنيت أو ليست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعى وأبى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف فى حال الغضب دون حال الرضا ۞ وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفى حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته و يزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبى وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى و به قال مالك والشافعى وذهب قوم الى أن شهادة المحدود فى القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعى وشريح وأصحاب الرأى قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعى هو قبل أن يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها فى أحسن حاليه وتقبلونها فى شر حاليه وذهب الشافعى الى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا قلت معنى أبدا مادام مصرا على القذف لان أبد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يراد بذلك مادام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته ۞ قوله عز وجل (والذين يرمون) أى يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أى يشهدون على صحة ما قالوا (الا أنفسهم) أى غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدى ان عويمرا العجلانى جاء الى عاصم بن عدى فقال لعاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتنى بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التى سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهى حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجاه فى الصحيحين زاد فى رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا

الحد أو بعضه على ما عرف وعند الشافعى رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أى القذف (وأصلحوا) أحوالهم استثناء من الفاسقين ويدل عليه (فان الله غفور رحيم) أى يغفر ذنوبهم و يرحمهم وحق الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم ولما ذكر حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) أى يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (الا أنفسهم) يرتفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم أربع) بالرفع كوفى غير أبى بكر على انه خبر المبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لانه فى حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا احسب

أحسب عويمرا الاقد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كانه وحرة فلا أحسب عويمرا الاقد كذب عليها فجاءت به على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى أمه قوله أسحم أى أسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين أى ممتلئ الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض وأراد بها فى الحديث المبالغة فى قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم البينة أو حد فى ظهرك فقال يارسول الله اذا رأى أحد على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول البينة والاحد فى ظهرك فقال هلال بن أمية والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله مايبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاآ فقام هلال بن أمية فشهد والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومى سائر اليوم فمضت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن وفى رواية غير البخارى عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى ان أهيجه حتى آتى باربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت مارأيت ان فى ظهرى لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ألا تسمعون مايقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة له واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يارسول الله بأبى أنت وأمى والله انى لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزنى بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يارسول الله انى جئت الى أهلى عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يارسول الله انى لأرى الكراهة فى وجهك مما أتيتك به والله يعلم انى لصادق وما قلت الاحقا وانى لأرجو أن يجعل الله لى فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبينما هم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحى فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحى قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر ياهلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يارسول الله قد صدقت وماقلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة ياهلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هى الموجبة التى توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدى فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين

(والخامسة) لاخلاف فى رفع الخامسة هنا فى المشهور والتقدير والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه) فهى مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا

(ويدرأ عنها العذاب) ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرأ (ان تشهد أربع شهادات بالله انه) ان الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماني به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان) أى الزوج (من الصادقين) فيما رماني به من الزنا ونصب حفص الخامسة عطفا على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنة الله وان غضب الله بكسر الضاد ورفع الهاء وهما فى حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب فى جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن فذكر الغضب فى جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف فى حقه ومقام حد الزنا فى حقها لان الله تعالى سماه شهادة فاذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كما بين فى النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضى بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة وعند ابى يوسف وزفر والشافعى تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان فى هلال ابن أمية أو عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبى صلى الله عليه وسلم بينهما

فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقى الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومى فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لا يدرى من أبوه الاورق هو الابيض وروى ابن عباس ان عويمرا لاعن زوجته خولة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودى الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة أشهد بالله انها لحبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة أشهد بالله انى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومى فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت فى الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الثالثة أشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الرابعة أشهد بالله انه ما رآنى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الخامسة غضب الله على خولة تعنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لى فى أمرهما رأى ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق بشريك ❁ بيان حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الاجنبية فى وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف أجنبيا أو أجنبية يقام عليه الحد الا أن يأتى بأربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفى الزوجة اذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان فى قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هى بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميت به زوجتى فلانة من الزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماه فى اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ما هو منى ويقول فى الخامسة علىّ لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج ❁ قوله عز وجل (ويدرأ) أى يدفع (عنها العذاب) أى الحد (ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فان أرادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به وتقول فى الخامسة علىّ غضب الله ان كان زوجى من الصادقين فيما رمانى به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأى لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن

أو لعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي فلما ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك فى من هلك فاعتللت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتنى بالافك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوى لا يرقأ لى دمع وما اكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالق كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام ابشرى يا حميراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك (عصبة) جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح

حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة وعند أبى حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأبيد التحريم وعند أبى حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبى حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان أو عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثورى والشافعي وأكثر أهل العلم وقال الزهرى والاوزاعى وأصحاب الرأى لا يجرى اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا فى قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجرى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وأن يكون بحضر جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشئ منها وأما المكان فهو أن يلاعن فى أشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى سائر البلاد فى الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفى التغليظ بالزمان والمكان قولان ﴿قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله تواب) أى يعود على من يرجع على العاصى بالرحمة (حكيم) أى فيما فرضه من الحدود ﴿قوله عز وجل (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الآيات سبب نزولها ما روى عن ابن شهاب قال حدثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيها خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير

ابن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين

استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفى رواية موغرين فى نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لانخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعى ما قال قلت وماقال فاخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أتأذن لى أن آتى أبوى قالت وأنا حينئذ أريد ان أتيقن الخبر من قبلهما فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت أبوى فقلت لامى ياأمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يابنية هونى على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقألى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله قالت فأما أسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يارسول الله ولا نعلم والله الا خيرا وأما على بن أبى طالب فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة لا والذى بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى وفى رواية فى أهل بيتى فوالله ماعلمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلى الا معى قالت فقام سعد بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل فقال أنا أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعنى ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومى ذلك لا يرقألى دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقألى دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندى أبواى وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدى قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذ استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان

كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة وقلت لابى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله فقلت لامى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن انى والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله ما أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا والله حينئذ أعلم انى بريئة وان الله مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لى يا عائشة احمدى الله وفى رواية قال أبشرى يا عائشة اما الله فقد برأك فقالت لى أمى قومى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذى أنزل براءتى قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات فى براءتى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة فانزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط زاد فى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فو الذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجاه فى الصحيحين زاد البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لى من أهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا بيبت من أبياته فقال

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأى عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح أو يهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * حل غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثنى طائفة أى قطعة من حديثها قوله كان اوعى اى احفظ له قولها آذن أى اعلم بالرحيل قولها فاذا عقد لى من جزع اظفار هو نوع من الخرز

وهو الحبر اليماني المعروف قولها لم يهبلن أي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قولها انما يأكلن العلقة من الطعام هو بضم العين أي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك لرمق قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قولها فتيممت أي قصدت قولها فقد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل و بالتخفيف سير الليل كله قولها باسترجاعه وقوله انا لله وانا اليه راجعون قولها فخمرت أي غطيت وجهي بجلبابي أي ازاري قولها موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أي أولها قولها والناس يفيضون أي يخوضون ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشيء يريبني أي شككت فيه قولها ولا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف أي الرفق بها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى نقهت أي أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط و بول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف أو خز قولها تعس مسطح أي عثر وهو من الدعاء على الانسان أي سقط لوجهه قولها ياهنتاه أي يا بلهاء كأنها نسبها الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقأ لي دمع أي لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت يعني النفي أي ما رأيت منها أمرا أغمصه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني أي من يقوم بعذري ان أنا كافأته على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية أي حملته الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها فتثاور الحيان أي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم أي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألممت قيل هو من اللمم وهو صغار الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي أي انقطع جريانه قولها ما رام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه أي كشف عنه وقول زينب أحمي سمعي و بصري أي أمنعهما من أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر قولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أي من ستر أنثى قوله ويستوشيه أي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أي متعففة رزان أي ثابتة ما تزن أي ترمى ولا تتهم بريبة أي بأمر يريب الناس حيية وتصبح غرثى أي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان انه كان ينافح أي يناضل و يخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك أي بالكذب والافك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة أي جماعة منكم أي عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبي ابن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شرا لكم) يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان (بل هو خير لكم) يعني ان الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) أي من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام باشاعته وهو عبد الله بن أبي ابن سلول (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة روي ان النبي صلى الله عليه

(لا تحسبوه) أي الافك (شرا لكم) عند الله (بل هو خير لكم) لان الله تعالى يأجركم عليه وأنزل في البراءة منه ثماني عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك و بعضهم تكلم فيه و بعضهم سكت (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم وبخ الخائضين فقال

(لولا) هلا (اذ سمعتموه) أى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا انفسكم (خيرا) عفافا وصلاحا وذلك نحو ما يروى ان عمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنا قاطع بكذب المنافقين لان الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما اعصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ما أوقع ظلك على الارض لئلا يضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال على رضى الله عنه ان جبريل أخبرك ان على نعليك قذرا وأمرك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك باخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشئ من الفواحش وروى أن أبا أيوب الانصارى قال لامرأته ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير منى وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ فى التوبيخ بطريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الادب (٣٤٣) الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه (قالوا هذا افك مبين) كذب ظاهر لا يليق بهما (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء (فاذ لم يأتوا بالشهداء) الاربعة (فاولئك عند الله) أى فى حكمه وشريعته (هم الكاذبون) أى القاذفون لان الله تعالى جعل التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره بخلاف ما تقدم أى ولولا أنى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع (اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه (بألسنتكم) أى ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (وتحسبونه) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هينا) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة جزع بعضهم عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شأنا وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك)

وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين ۞ قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) أى الحديث الكذب وهو قول أهل الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذا سمعوا قول أهل الافك أن يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين (وقالوا هذا افك مبين) أى كذب بين لا حقيقة له (لولا) أى هلا (جاؤا عليه) أى على ما زعموا (بأربعة شهداء) أى يشهدون بذلك (فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله) أى فى حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قلت قيل هذا فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فاولئك عند الله فى حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره ۞ قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا انى قضيت أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب (اذ تلقونه بألسنتكم) أى يرويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم على بعض (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى من غير أن تعلموا انه حق (وتحسبونه هينا) أى وتظنون انه سهل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) أى فى الوزر (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) قيل هو للتعجب

للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب فى كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة وانما جاز ان تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لان النبى مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يبهت من يسمع (عظيم) وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة فى التبرى (يعظكم الله أن تعودوا) فى ان تعودوا (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدا) مادمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصادّ عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والاداب الجميلة (والله عليم) بكم وبأعمالكم (حكيم) يجزى على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها (ان الذين يحبون أن

تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا) أى ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبة لها (لهم عذاب أليم فى الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرائر الصدور (وأنتم لاتعلمون) أى انه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ لهم (وان الله رؤف) حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب (رحيم) بغفرانه جناية القاذف اذا تاب (يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) فان الشيطان (يأمر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك (ولكن الله يزكى من يشاء) يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم (ولا يأتل) ولا يحلف من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية أو لا يقصر من الالو (أولوا الفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى الدنيا (ان يؤتوا) أى لا يؤتوا ان كان من الالية (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا فى أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها (وليعفوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة

أمر

وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) أى كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روى ان أم أيوب الانصارى قالت لابى أيوب الانصارى ما بلغك ما يقول الناس فى عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله (ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) أى فى الامر والنهى (والله عليم) أى بأمر عائشة وصفوان (حكيم) أى حكم ببراءتهما ۞ قوله عز وجل (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أى يظهر الزنا ويذيع (فى الذين آمنوا) قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب ان تشيع الفاحشة أو نظهر على أحد فهو داخل فى حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لهم عذاب أليم فى الدنيا) يعنى الحد والذم على فعله (والآخرة) أى وفى الآخرة لهم النار (والله يعلم) أى كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وأنتم لاتعلمون) وقيل معناه يعلم ما فى قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لاتعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة (وان الله رؤف رحيم) ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره ومسالكه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) أى بالقبائح من الاقوال والافعال وكل ما يكره الله عز وجل والآية عامة فى حق كل أحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا) أى ما طهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا فى الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذى فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يزكى) أى يطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أى لاقوالكم (عليم) أى بما فى قلوبكم ۞ قوله عز وجل (ولا يأتل) أى ولا يحلف من الالية وهى القسم (أولوا الفضل منكم والسعة) يعنى الغنى يعنى أبا بكر الصديق (ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبى بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينفق عليه فأنزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) أى عن خوض مسطح فى

(ألا تحبون ان يغفر الله لكم) فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنه هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من

نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعامل في (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء حمزة وعلي (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي بما أفكوا أو بهتوا والعامل في (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بان ينتصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شئ من المعاصي تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها فاوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذاك الا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم رضي الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على انافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك (والطيبات

أمر عائشة (ألا تحبون) يخاطب أبا بكر (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها عنه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولو الفضل وقوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ۞ قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفائف (الغافلات) أي عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وروي عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا للآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل ان يختم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) أي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شئ وقيل معناه يبين لهم حقية ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبي ابن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين ۞ قوله عز وجل (الخبيثات للخبيثين) قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله (والخبيثون) أي من الناس (للخبيثات) من القول (والطيبات) أي من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب

للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون) أي فيهم وأولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها ومارميت به من قول لايطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون اشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أو خبر بعد خبر (ورزق كريم) في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله

عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لاتخافي لانك لاتقدمين الا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشي عليها فرحا بما تلا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجني وتزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجري وقبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وينزل عليه الوحي وأنا في لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذري من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا في حقها حصان رزان ماتزن بريبة ❁ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل حليلة خير الناس دينا ومنصبا ❁ نبي الهدى والمكرمات الفواضل عقيلة حي من لؤي بن غالب ❁ كرام المساعي مجدها غير زائل مهذبة قد طيب الله خيمها ❁ وطهرها من كل شين وباطل (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أي بيوتا التي لستم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قرأ به والاستئناس في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء اذا أبصره ظاهرا مكشوفا أي حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح (وتسلموا على أهلها) والتسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستئذان

عمر

من القول لايليق الا بالاطيب من الناس وعائشة لايليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها اطيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لايتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالاطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون (مما يقولون) يعني أصحاب الافك (لهم مغفرة) أي عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة روي ان عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروي انه أتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء ❁ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه اني داخل وقيل هو من آنست أي أبصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتنحنح حتى يعرف أهل البيت (وتسلموا على أهلها) بيان حكم الآية انه لايدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أأدخل سلام عليكم كما في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على

(ذلكم) أى الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن فكان الرجل من أهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أى قيل لكم هذا لكى تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به فى باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) فى البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها لان التصرف فى ملك الغير لابد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أى اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلحوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فاذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبى عبيد ما قرعت بابا على عالم قط (هو أزكى لكم) أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيرا (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا) فى أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فيها متاع لكم) أى منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز

عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم قال أبى بن كعب فوالله لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثانى مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع ❊ عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه من ركنه الايمن أو الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه أبو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الاشعرى وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أستأذن على أمى قال نعم فقال الرجل انى معها فى البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك فى الموطا مرسلا ۞ وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) أى فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير اذن (لعلكم تذكرون) أى هذه الآداب فتعملوا بها ۞ قوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) أى فى البيوت (أحدا) أى يأذن لكم فى دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى فى الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعنى اذا كان فى البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أزكى لكم) أى الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم فى تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتى دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتنى بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر فى باب النبى صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل وفى رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطعنت به فى عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفى رواية للنسائى قال لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فخذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون عليم) أى من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أى اثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أى بغير استئذان (فيها متاع لكم) أى منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هى الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم فى الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هى جميع البيوت التى لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول

مبر استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) ﴿قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى عما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر وانما أمروا ان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذى (م) عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة فى ثوب واحد ﴿ وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أى عما لا يحل قال أبو العالية كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا فى هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وثديهن وأعضادهن وأقدمهن وكذلك الجوارى المستعرضات فى البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكفاك ان أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أزكى لهم) أى غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) أى انه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم ﴿ قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أى عما لا يحل لهن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذى وأبو داود ﴿قوله تعالى (ولا يبدين) أى لا يظهرن (زينتهن) أى لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب فى الرجل والسوار فى المعصم والقرط فى الاذن والقلائد فى العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبى النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الا ما ظهر منها) أى من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعى الوجه والكفان وقال ابن مسعود هى الثياب وقال ابن عباس هى الكحل والخاتم والخضاب فى الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبى النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ من ذلك غض البصر وانما رخص فى هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه فى الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) أى ليلقين بمقانعهن (على جيوبهن) أى موضع الجيب وهو النحر والصدر أى ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله

(والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لان الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفيها وقدميها فى رواية والى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أى غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أطهر من دنس الاثم (ان الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب يعنى انه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الابصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرته الى ركبتيه وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (ولا يبدين زينتهن) الزينة ما تزينت به المرأة من حلى أو كحل أو خضاب والمعنى لا يظهرن مواضع الزينة وهى الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها لا اظهارها مواضعها لا لاظهار أعيانها وموضعها الرأس والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والسوار والدملج والخلخال (الا ما ظهر منها) الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففى سترها حرج بين فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن (وليضربن) وليضعن من قولك ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوبهن) بضم الجيم مدنى وبصرى وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائها فتبقى مكشوفة فأمرن ان يسدلنها من

قدامهن حتى تغطيهن (ولا يبدين زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (الا لبعولتهن) لازواجهن جمع بعل (أو آبائهن) ويدخل فيه الاجداد (أو آباء بعولتهن) فقد صاروا محارم (أو أبنائهن) ويدخل فيهم النوافل (أو أبناء بعولتهن) فقد صاروا محارم أيضا (أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة (أو نسائهن) أي الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أو ما ملكت أيمانهن) أي امائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان أو عنينا أو فحلا وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها (أو التابعين غير) بالنصب شامي ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية (أولى الاربة) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيأ من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنين أو الخصي أو المخنث وفي الاثر انه المجبوب والاول الوجه (من الرجال) حال (أو الطفل الذين) هو جنس فصلح أن يراد به الجمع (لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوي عليه (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجليها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ اسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمي

الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع (ولا يبدين زينتهن) يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر الى فرجها (أو نسائهن) أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبي كتب عمر ابن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء (أو ما ملكت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك فلا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فحجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت بأربع أي ان لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلع عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى

الحلي وسواسا (وتوبوا الى الله جميعا أيه) شامي اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين

ليعلم من خفي من زينتهن فنبه به على ان الذى لاجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) أي من التقصير الواقع فى أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة فى هذه السورة قيل ان أوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا وفى ذلك قوله تعالى (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) * (م) عن الاغر أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لأتوب الى ربي تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشي (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد اضله فى أرض فلاة (م) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه ۞ قوله عز وجل (وانكحوا الايامى منكم) جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) أي من عبيدكم (وامائكم) بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية أمر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو رض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم فى قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائى (م) عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لا يأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاوزاعى وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحاق وجوز أصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ما روى عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولى أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان تشاحوا ٦ فالسلطان ولى من لا ولى له ۞ وقوله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته (والله واسع) أي الغنى والافضال والجود (عليم) أي بما يصلح خلقه من

الرزق

وغيره على فتح الهاء ولان بعدها ألفا فى التقدير (لعلكم تفلحون) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى أوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان لا ينافى الايمان (وانكحوا الايامى منكم) الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكرا كان أو ثيبا وأصله أيائم فقلبت (والصالحين) أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامائكم) أى من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله (والله واسع) غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء وقيل فى الآية دليل على ان تزويج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالى قلنا الرجل لا يلى على الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلى على المرأة الا باذنها لان الايم ينتظمهما

(٦) قوله تشاحوا فى بعض النسخ اشتجروا اه مصحح

(وليستعفف الذين) وليجتهد وافى العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت

أيمانكم) أى المماليك الذين يطلبون الكتاب فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاقه الامر (ان علمتم فيهم خيرا) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندبية معلقة بهذا الشرط (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفى الرقاب وعند الشافعى رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فأبى فنزلت واعلم ان العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون فى التجارة ومكاتب وآبق فمثال الاول ولى العزلة الذى حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثانى ولى العشيرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى فى الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل فى الغضب والرضا ميزانه والقصد فى الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنجاه والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن فى الناس بظواهره بائن منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له عليهم فى الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا

الرزق ۞ قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أى ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أى يوسع عليهم من رزقه (والذين يبتغون الكتاب) أى يطلبون المكاتبة (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وقتل يوم حنين فى الحرب * بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين أو فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فأنت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل فى يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما فى يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذى علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيرا) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعى لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا فى معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثورى وقيل مالا روى ان عبد السلمان الفارسى قال له كاتبنى قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمنى أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعى أظهر معانى الخير فى العبد الاكتساب مع الامانة فأحب أن لا يمنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله أخرجه الترمذى والنسائى وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغا فأما الصبى والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبى المراهق ۞ وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) قيل هو خطاب للموالى فيجب على السيد أن يحط عن مكاتبه

وماهو منوم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام   يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون وما يدريهم انه ضيف الله يرى السموات والارض قائمات بامره وكأنه قيل فيه   فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال   فحال ولى العزلة أصفى وأحلى وحال ولى العشرة أوفى وأعلى ونزل الاول من الثانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان أما النبى عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشرفين وجامع الحالين ومجمع الجلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى العشرة والثالث المجاهد المحاسب

العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المائتين درهما خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبودية وطمعا فى فتح باب الحرية ليسرح فى رياض الجنة فيتمتع بمراده ويفعل ما يشاؤه ويهواه والرابع الاباق فما أكثرهم فمنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل ما لا ينفعه يصول فضلا عن السارق والزانى والغاصب فعنهم أخبر النبى عليه الصلاة والسلام ان الله لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم فى الآخرة (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) كان لابن أبى ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر ابغت (ان أردن تحصنا) تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فان الآمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره اكراها ولانها نزلت على سبب فوقع النهى على تلك الصفة وفيه توبيخ للموالى أى اذا رغبن فى التحصن فأنتم أحق بذلك

من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان وعلى والزبير وجماعة وبه قال الشافعى ثم اختلفوا فى قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول على ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعى قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك فى الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أى سهمهم الذى جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفى الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم الى أنه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعى وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء ما بقى عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعى والحسن وبه قال مالك والثورى وأصحاب الرأى ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتتبعه أولاده وأكسابه كما فى الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم وقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم) أى اماءكم (على البغاء) أى الزنا (ان أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبى ابن سلول يقول لجارية اذهبى فابغينا شيأ قال فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا وفى رواية أخرى ان جارية لعبد الله بن أبى يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون أنزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا أن ندعه فأنزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فأنزل الله هذه الآية واختلف العلماء فى معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذى ذكر فى سبب نزول الآية فخرج النهى على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثانى انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع طوعا الثالث أن ان بمعنى اذا أى اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا

(لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) أى لتبتغوا باكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أى لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التلف فكانت آثمة أولهم اذا تابوا (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء حجازى وبصرى وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجاز أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف أى أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أى بينت هى الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل ❊ قد بين الصبح لذى عينين ❊ (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم

أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا (للمتقين) أى هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضىء له السموات والارض

تحصنا كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم مؤمنين القول الرابع ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء (لتبتغوا) أى لتطلبوا (عرض الحيوة الدنيا) أى من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرههن) يعنى على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يعنى بالمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله ❊ قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أى من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر ❊ قوله عز وجل (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليلة ❊ فقد سار عنها نورها وجمالها

(مثل نوره) أى مثل نور الله عز وجل فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذى أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أى مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا (كمشكوة) هى الكوة التى لا منفذ لها قيل هى بلغة الحبشة (فيها مصباح) أى سراج وأصله من الضوء (المصباح فى زجاجة) يعنى القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزيد فى الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب درى) من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره فى تلك الحال وفى ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل درى أى شديد الانارة نسب الى الدر فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى أحد الكواكب الخمسة السيارة التى هى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) أى اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو

وجاز ان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة (كمشكوة) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج ضخم ثاقب (المصباح فى زجاجة) فى قنديل من زجاج شامى بكسر الزاى (الزجاجة كأنها كوكب درى) مضىء بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلى كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة شبه فى زهرته باحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما (توقد) بالتخفيف حمزة وعلى وأبو بكر الزجاجة يوقد بالتخفيف شامى ونافع وحفص ويوقد بالتشديد مكى وبصرى أى هذا المصباح (من شجرة) أى ابتداء تقويه من زيت شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع

أصفى الادهان وأضوؤها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لانها هي الارض المباركة وهي شجرة لايسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذي ﴿ وقوله (لاشرقية ولاغربية) أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولاغربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظا من الامرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في مقناة لاتصيبها الشمس ولافي مضحاة لايصيبها الظل فهي لاتضرها شمس ولاظل وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولافي غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض لاشرقي ولاغربي وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لوكانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضيء) أي من صفائه (ولولم تمسسه نار) أي قبل أن تمسه النار (نور على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة

﴿ فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية ﴾ اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفائه وصلح أن يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولولم تمسسه النار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية لايهودي ولانصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لاشرقية ولاغربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ماجعله الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لاتصيبها الشمس اذا طلعت ولااذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس ان يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه

بدل من شجرة نعتها (لاشرقية ولاغربية) أي منبتها الشام يعني ليست من المشرق ولامن المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية (يكاد زيتها) دهنها (يضيء ولولم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والوميض وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار (نور على نور) أي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور وهذا لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل بكون بدنيء محسوس معهود لايعلى غير معاين ولامشهود فابو تمام لما قال في المأمون اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء اياس قيل له ان الخليفة فوق من مثلته بهم فقال مرتجلا لاتنكروا ضربي له من دونه ﴿ مثلا شرودا في الندى والباس فالله قد ضرب الاقل

لنوره* مثلا من المشكاة والنبراس (يهدي الله لنوره) أي هذا النور الثابت (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شئ عليم) فيبين كل شئ بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنه مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بمشكاة أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أي توقد في بيوت أو بيسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت (أذن الله) أي أمر (ان ترفع) تبنى كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد أو تعظم من الرفعة وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه أو هو عام في كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والاصال) أي يصلي له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وانما وحد الغدو لان صلاته واحدة وفي الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشي (رجال) فاعل يسبح يسبح شامي وأبو بكر ويسند الى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح أي يسبح له (لا تلهيهم) لا تشغلهم (تجارة) في السفر (ولا بيع) في الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعد ما عم لانه أوغل في الالهاء من الشراء لان الربح في البيعة الرابحة متيقن وفي الشراء مظنون (عن ذكر الله) باللسان والقلب (واقام الصلوة) أي وعن اقامة الصلاة التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما قلبت الواو ألفا اجتمع ألفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت (وايتاء الزكوة) أي وعن ايتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا

والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) أي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك (والله بكل شئ عليم) ۞ قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله أن ترفع) أي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أي يصلي له فيها (بالغدو والآصال) أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا اياه كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لا تلهيهم) أي لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) أي ولا يشغلهم بيع (عن ذكر الله) أي حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة (وايتاء الزكوة) يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لا يحبسونها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) يعني ان هؤلاء الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء

اليها غير متشاقلين كأولياء العشرة (يخافون يوما) أي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في تلهيهم أو صفة أخرى لرجال (تتقلب فيه القلوب) ببلوغها الى الحناجر (والابصار) بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يثيب من شاء ثوابا لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فأما الذين ضلوا عنه فالمذكورون في قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى في

الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجري (بقيعة) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار (يحسبه الظمآن) يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجده شيأ) كما ظنه (ووجد الله) أي جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما أي يجد مغفرته ورحمته (عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أي أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا ووحد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لان ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويأتي خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمسا للدين في الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات في بحر) أو هنا كأو في أو كصيب (لجي) عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاه) يغشى البحر أو من فيه أي يعلوه ويغطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الاعلى سحاب (ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (اذا أخرج يده) أي الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها أي وقيل

فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب في الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي عملهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعني انه سبحانه وتعالى يجزيهم باحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله ۞ قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلا لحال المؤمن وانه في الدنيا والآخرة في نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه لم ير شيأ والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب (يحسبه) أي يتوهمه (الظمآن) أي العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء ما قدر انه ماء وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيأ) أي لم يجد على ما قدره وظنه ووجه التشبيه ان الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيأ فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيأ ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (أو كظلمات) اعلم الله سبحانه وتعالى ان أعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (في بحر لجي) أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي متراكم (من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى (اذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد

لم يقرب ان يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان في الايقان (أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير) عطف على من (صافات) حال من الطير

أي يصففن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أو لله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (والله عليم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شئ (ولله ملك السموات والارض) لانه خالقهما ومن ملك شيأ فبتمليكه اياه (والى الله المصير) مرجع الكل (ألم تر أن الله يزجي) يسوق الى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤلف بينه) وتذكيره للفظ أي يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل (و ينزل) و ينزل مكي وبصري (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان ما

ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) للبيان أو الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أي يصيب الانسان وزرعه (و يصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء و يصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يكاد سنا برقه) ضوءه (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك) في ازجاء السحاب وانزال

وقيل لما كانت اليد من أقرب شئ يراه الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه و بالموج ما يتغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة و بالسحاب الختم والطبع على قلبه قال أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار ۞ قوله عز وجل (ألم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) أي باسطات أجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب أجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض) أي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجب الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه (والى الله المصير) أي والى الله مرجع العباد بعد الموت ۞ قوله تعالى (ألم تر أن الله يزجي) أي يسوق (سحابا) بامره الى حيث يشاء من أرضه و بلاده (ثم يؤلف بينه) أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أي متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو مخارج القطر (و ينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه و ينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه و ينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيهلكه وأمواله (و يصرفه عمن يشاء) أي فلا يضره (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوئه و بريقه (يقلب الله الليل والنهار) أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فيأتي بالليل و يذهب بالنهار ويأتي بالنهار و يذهب بالليل (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر و يذمونه في أشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم ۞ وقوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه

الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (لعبرة لاولى الابصار) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من فى السموات والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكر فهى براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل) خالق كل حمزة وعلى (دابة) كل حيوان يدب على وجه الارض (من ماء) أى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها اناسى وهو كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وهذا دليل على ان لها خالقا ومدبرا والالم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى لان المقصود ثمة أن أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان

أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فاعطى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال فى الامر المستمر قد مشى هذا الامر أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم وقدم ما هو أعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (يخلق الله ما يشاء) كيف يشاء (ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء) بلطفه ومشيئته (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذى يوصل الى جنته والآيات لالزام حجته وقيل لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) بالسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) اى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا وأطعنا لا الى الفريق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك اعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد (ليحكم) الرسول (بينهم اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول

الاشياء (لعبرة لاولى الابصار) أى دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده ﴿قوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أى من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لا نشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) أى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعنى مثل بنى آدم والطير (ومنهم من يمشى على أربع) يعنى كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك المخلوق من غير نطفة لابد أن يتكون من شئ وذلك الشئ أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم استعمل فى غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعا أولى فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة المشى وهى الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشى على رجلين ثم ما يمشى على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفى الحيوانات ما يمشى على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على أربع فى المشى والباقى تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أى مما يعقل ولا يعقل (ان الله على كل شئ قدير) أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته ﴿قوله تعالى (ويقولون) يعنى المنافقين (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) أى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى أرض فقال اليهودى نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الآية (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى الرسول يحكم بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم

ان محمد يحيف علينا (وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا اليه) الى الرسول (مذعنين) حال أى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم فى ذمة الخصم (أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا امرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف وان يقولوا أوغل بخلاف قول المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) النبى عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذى أنزل (٣٥٩) عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله

وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى مطيعين منقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أفى قلوبهم مرض) أى كفر ونفاق (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يظلم (بل اولئك هم الظالمون) أى لانفسهم باعراضهم عن الحق ۞ قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغى أن يكونوا وهو (ان يقولوا سمعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة (وأولئك) أى من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أى ما عمل من الذنوب (ويتقه) أى فيما بعد (فاولئك هم الفائزون) أى الناجون ۞ قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيأ (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) أى لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) أى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهى معروفة أى أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل (ان الله خبير بما تعملون) أى من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعنى بقلوبكم وصدق نياتكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) أى على الرسول (ما حمل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) أى ما كلفتم من

(وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سننه (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فاولئك هم الفائزون) وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد ايمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين

لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخاص من المؤمنين لا ايمان تقسمونها بافواهكم وقلوبكم على خلافها (ان الله خبير بما تعملون) يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه

(وان تطيعوه تهتدوا) أي وان أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر في توليكم والنفع عائدان اليكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وما على الرسول الا أن يبلغ ماله نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض (ليستخلفنهم في الارض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح انه عام

لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل (كما استخلف) استخلف أبو بكر (الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم) وليبدلنهم بالتخفيف مكي وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يميز الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتعضيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدونني) ان جعلته استئنافا فلا محل له كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الاولى وان جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فمحله النصب (لا يشركون بي شيئا) حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الاولى

الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي التبليغ الواضح المبين ۞ قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بني اسرائيل وأهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى) أي اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) آمنين (لا يشركون بي شيئا) فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الارض (خ) عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين ۞ عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلي ستا قال علي قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل

وفيه

(ومن كفر بعد ذلك) أى بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون) هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال

وفيه اجمال وتفصيله أن خلافة أبى بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة كذا ذكر فى الحديث وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر ولهذا جاء فى بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم ۞ وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) أى العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا * عن ابن أخى عبد الله بن سلام قال لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال جئت فى نصرك قال أخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خير لى منك داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان أخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى فما قتل نبى قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا ۞ قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) أى افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (لاتحسبن الذين كفروا معجزين) أى فائتين عنا (فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير) ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الامر وفيه قولان أحدهما أنه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت أيمانكم يعنى العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعنى الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثمانى عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعى وأبو يوسف ومحمد وأحمد فى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجرى عليه الاحكام وان لم يحتلم (ثلاث مرات) أى ليستأذنوا فى ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى وقت المقيل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فأمرهم بالاستئذان فى هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن فى جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات

(وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها (لعلكم ترحمون) أى لكى ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) أى فائتين الله بان لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وبالياء شامى وحمزة والفاعل النبى صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (ومأواهم النار) معطوف على لاتحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (ولبئس المصير) أى المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بان يستأذن العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة وهى (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهى نصف النهار فى القيظ لانها وقت وضع الثياب للقيلولة (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أى هى أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدأ والمضاف وبالنصب كوفى غير حفص بدلا من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة

لان الانسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أي لا اثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أي هم طوافون بحوائج البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التي قبلها أو أن تكون مبينة مؤكدة يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع

بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم الى بيانها (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) في بيان مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أي الاحرار دون المماليك (الحلم) أي الاحتلام أي اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضي الله عنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) فيما يبين من الاحكام (حكيم) بمصالح الانام (والقواعد) جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (من النساء) حال (اللاتي لا يرجون نكاحا) يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدا وهي القواعد والخبر (فليس عليهن جناح) انما دخلت الفاء لما في المبتدا من معنى الشرط بسبب الالف واللام (أن يضعن) في أن يضعن (ثيابهن) أي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار

لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعني العبيد والخدم والصبيان (جناح) أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أي يطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان نفرا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فامرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتا واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) أي دلالته وقيل أحكامه (والله عليم) أي بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره قوله (والقواعد من النساء) يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب

الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وأن يستعففن) أي فلا يلقين الجلباب ولا الرداء (خير لهن والله سميع عليم) ﴿ قوله عز وجل (ليس على الاعمى حرج) اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الاموال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في أي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول ربما آكل أكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء في الاكل من بيوت من سماهم الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شئ ذهب بهم الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فأنزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غيب فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام مستأنف قيل لما نزلت ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله تعالى ولا على أنفسكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الآباء لما جاء في الحديث أنت ومالك لابيك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز أن يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يأكل الشئ اليسير وقيل ما ملكتم مفاتحه أي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه (أو صديقكم) الصديق هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث ابن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا

(غير) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعففن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره (خير لهن والله سميع) لما يعلن (عليم) بما يقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد ابن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الاولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتم مفاتحه) جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضي الله عنه هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وأريد بملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لان العبد وما في يده لمولاه (أو صديقكم) يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريتها كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل الا باذن

(ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة وفي قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أي فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلموا لانها في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا (من عند الله) أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع) أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي ويأذن لهم ولما أراد الله عزوجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيأ آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا (فاذا استأذنوك) في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واستغفر لهم الله

فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتي من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح أي أتحرج ان آكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا جميعا أي مجتمعين أو أشتاتا أي متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أي ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أي عن الله أمره ونهيه وآدابه ❁ قوله عزوجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل (لم يذهبوا) أي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنوه) قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكونوا في المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) أي في الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) أي ان رأيت لهم عذرا في الخروج عن

الجماعة

ان الله غفور رحيم) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لواذا) حال أي ملاوذين اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أي ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير في أمره لله سبحانه

أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر (أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ النعم استدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الامر للايجاب (ألا ان لله ما في السموات والارض) الا تنبيه على ان لا يخالفوا أمر من ما في السموات والارض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون في سترها (ويوم يرجعون اليه) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه خافية وروي أن ابن عباس رضي الله عنه قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت والله أعلم ﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر وتزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لانه لم ينزل جملة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا

الجماعة (ان الله غفور رحيم) ۞ قوله عز وجل (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أي يخرجون (منكم لواذا) أي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كانوا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنة) أي لئلا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (ألا ان لله ما في السموات والارض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أي من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعني يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفرقان وهي مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم (الذي نزل الفرقان) أي القرآن سماه فرقانا لانه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في

(على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به أو نصب على المدح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كزعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كزعمت الثنوية (وخلق كل شيء) أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة و يزدان واهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شيء و يقول بخالق لا تمر آن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على ان لفظ شيء اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد (فقدره تقديرا) فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا أو قدره للبقاء الى أجل معلوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أو لدلالة نذيرا عليهم لانهم المنذرون (من دونه آلهة) أي الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) أي انهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) اماتة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أي اليهود وعداس و يسار وأبو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحرث (فقد جاؤا ظلما وزورا) هذا اخبار من الله رد للكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وزور وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أي هو أحاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع اسطار وأسطورة كأحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه (فهي تملى عليه) أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا (قل) يا محمد (أنزله) أي القرآن (الذي يعلم السر في السموات والارض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا أي شيء لهذا الزاعم انه رسول (يأكل الطعام و يمشي في الاسواق) حال والعامل فيها هذا

أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق (على عبده) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للانس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والارض) أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام (وخلق كل شيء) مما تطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) أي سواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شيء تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ﴿قوله تعالى (واتخذوا) يعني عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعني الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) أي دفع ضر ولا جر نفع (ولا يملكون موتا) أي اماتة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) أي بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا افك) أي كذب (افتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد ابن الخضر الحبشي الكاهن وقيل جبر و يسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعني قائلي هذه المقالة (ظلما وزورا) أي بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها) يعني النضر ابن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر و يسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب (فهي تملى عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعني غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أنزله) يعني القرآن (الذي يعلم السر) أي الغيب (في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) أي لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يأكل الطعام) أي كما نأكل نحن و يمشي في الاسواق) أي يلتمس المعاش كما نمشي

(لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أى ان صح انه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى أن يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف ثم نزلوا الى أن يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى أن يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة على وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين فى قوله (وقال الظالمون) اياهم باعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك (انظر كيف ضربوا) بينوا (لك الامثال) الاشباه أى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المفترى والملقى عليه والمسحور (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا اليه (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أى تكاثر خير الذى ان شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار (اذا رأتهم) أى النار أى قابلتهم (من مكان بعيد) أى اذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أو اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار (واذا ألقوا منها) من النار (مكانا ضيقا) ضيقا مكى فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنه انه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح

نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لا يأكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبتذل وما قالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن سخابا فى الاسواق وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه مَلِكٌ من الملوك (لولا أنزل اليه ملك) أى يصدقه ويشهد له (فيكون معه نذيرا) أى داعيا (أو يلقى اليه كنز) أى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف فى طلب المعاش (أو تكون له جنة) أى بستان (يأكل منها) أى هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كنز (وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أى مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) أى الاشباه التى لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) أى عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة ﴿قوله تعالى (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) أى من الذى قالوا أفضل من البستان الذى ذكروا وقال ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جناتٍ تجرى من تحتها الانهار ويجعلْ لك قصورا) أى بيوتا مشيدة عن أبى امامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معى جبال مكة ذهبا جاءنى ملك ان حجزته لتساوى الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الى ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوى بسنده ﴿قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أى القيامة (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) أى نارا مسعرة (اذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها (سمعوا لها تغيظا) أى غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) أى صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أى وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر لوجهه (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس تضيق

(مقرنين) أى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الاصفاد (دعوا هنالك) حينئذ (ثبورا) هلاكا أى قالوا واثبوراه أى تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) أى المذكور من صفة النار خير (ام جنة الخلد التى وعد المتقون) أى وعدها فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال أذلك خير ولا خير فى النار توبيخا للكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها ما يشاؤن) أى ما يشاؤنه (خالدين) حال من الضمير فى يشاؤن والضمير فى (كان) لما يشاؤن (على ربك وعدا) أى موعودا (مسؤلا) مطلوبا أو حقيقيا أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة فى دعواتهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث عند الجمهور وبالياء مكى ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى يعنى الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم (فيقول) وبالنون شامى (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه فى هذا الطريق والاصل الى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وزيد أنتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلابد من ذكرهم وايلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسؤل عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به لتنزيهه عن الانداد وأن يكون له نبى أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا (ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذ وليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى لواحد وهو من أولياء والاصل أن نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفى والقراءة الثانية من المتعدى الى المفعولين فالمفعول الاول ما بنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء لان من لا تزاد فى المفعول الثانى بل فى الاول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولى

عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) أى مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفى الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبوراهم حتى يقفوا على النار فينادى يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبوراهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة ۞ قوله عز وجل (قل أذلك خير) أى الذى ذكرت من صفة النار وأهلها (أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) أى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤن) أى ان جميع المرادات لا تحصل الا فى الجنة لا فى غيرها فان قلت قد يشتهى الانسان شيأ وهو لا يحصل فى الجنة كان يشتهى الولد ونحوه وليس هو فى الجنة قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره (خالدين) أى فى نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد فى المعنى

أشد الغم عندى فى سرور ۞ تيقن عنه صاحبه انتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) أى مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم فى الدنيا حين قالوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ۞ قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعنى الاصنام ثم يخاطبهم (فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أى أخطؤا الطريق (قالوا) يعنى المعبودين (سبحانك) نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعنى ما كان ينبغى لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك

ولكن

(ولكن متعتهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكر الله والايمان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا (بما تقولون) بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) أي فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالتاء حفص أي فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أي يشرك لان الظلم وضع الشئ في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فسر بالخلود في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الآكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وتسلية للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه في الاسواق يعني انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمكم وحكي أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فرأى خصيا في مواكب ومراكب فخطر بباله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبر ربنا أي وجعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلي به أو بمن يصبر ويجزع (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون عقابنا اما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف أو لان الرجاء في لغة تهامة الخوف (لولا) هلا

(ولكن متعتهم وآباءهم) أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكى أي غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون (بما تقولون) أي انهم آلهة (فما يستطيعون) أي الالهة (صرفا) أي صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) أي ولا نصر أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أي يشرك (نذقه عذابا كبيرا) ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أي يا محمد (من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي بلية قال ابن عباس أي جعلنا بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أنتم الهدى قيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علي فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا أباذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد أسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا وأراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (أتصبرون) أي على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع (وكان ربك بصيرا) أي لمن صبر ولمن جزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ﴿ قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا

(أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته (أو نرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ فى افراطه أى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام فى لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أى يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه (لا بشرى) أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله (يومئذ) مؤكد ليوم يرون أو باضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفى بلا لا يعمل فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر فى موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم

الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء يتناول أكمل المسميات (ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى أشيائه وقصد الى ما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث هو لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تمييز والمستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم ولا نوم فى الجنة ولكنه سمى مكان استراحتهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى لفظ الاحسن تهكم بهم (ويوم) واذكر يوم (تشقق السماء) والاصل تتشقق فحذف التاء كوفى وأبو عمرو وغيرهم أدغمها فى الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذى تشقق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) وننزل الملائكة مكى وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى الا ملكه (للرحمن)

أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا ان محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أى تعظموا (فى أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) أى طغوا وقيل عتوا فى القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به ۞ قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أى عند الموت وقيل يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة ۞ قوله عز وجل (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) يعنى من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أى باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد والهباء هو ما يرى فى الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدى ولا يرى فى الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار ۞ قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أى يوم القيامة (خير مستقرا) أى من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أى موضع القائلة وذلك ان أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر من أول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب فى ذلك اليوم فى أوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس ۞ قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أى عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى الارض من الانس والجن ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التى تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الذى

خبره (وكان) ذلك اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين ففي الحديث يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام في الظالم للعهد وأريد به عقبة لما بينا أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار (يقول ياليتني اتخذت) في الدنيا (مع الرسول) محمد عليه الصلاة والسلام (سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلتا) وقرئ ياويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما في صحارى ومدارى (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام فان أريد بالظالم عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبي بن خلف وهو خليله وجهي من وجهك حرام الا أن ترجع فارتد فالمعنى ياليتني لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان خليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلني عن الذكر) أي عن ذكر الله أو القرآن أو الايمان (بعد اذ جاءني) من الله (وكان الشيطان) أي خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول (للانسان) المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أي من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول) أي محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا (يارب ان قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران

هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أي شديدا وفيه دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ۞ قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فلما أخبر أبي بن خلف قال له يا عقبة صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة فقال له أمية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتد فأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أي ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل تحسرا وندامة (يقول ياليتني اتخذت) أي في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أي ليتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية (ياويلتا) دعا على نفسه بالويل (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) قيل يعني أبي بن خلف (لقد أضلني عن الذكر) أي عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءني) يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) أي كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما أن تحترق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي ۞ قوله عز وجل (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أي متروكا وأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى أن محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن

وهو مفعول ثان لاتخذوا وفى هذا انعطام للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا اشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسليا ووعده النصرة عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) أى كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا والباء زائدة أى وكفى ربك هاديا وهو تمييز (وقال الذين كفروا) أى قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أى مجتمعا (واحدة) يعنى هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا ونزل هنا بمعنى أنزل والا لكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالاتيان بسورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا الى الحجج (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فاعلم ان ذلك (لنثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شئ وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه أى قدرناه آية بعد آية ووقفة بعد وقفة أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل وتثبت أو بيناه تبيينا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت (ولا يأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان (الا جئناك بالحق) الا أتيناك بالجواب الحق الذى لا محيد عنه (وأحسن تفسيرا) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤالهم وانما حذف من مثلهم لان فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وان كان عمرو أحسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا أن نعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها أدخل فى الاعجاز من أن ينزل كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر أولئك وأولئك مع وشر خبر الذين أو التقدير هم الذين أو أعنى الذين وأولئك مستأنف (مكانا) أى مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا (وأضل سبيلا) أى وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازى والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن (وجعلنا معه أخاه هرون) بدل أو عطف بيان (وزيرا)

مهجورا فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) أى وكما جعلت لك أعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبى عدوا من المجرمين) أى المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فانى ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أى كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) أى أنزلناه مفرقا لنقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤن وأنزلنا القرآن على نبى أمى لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث فى أوقات مختلفة ففرقناه ليكون أدعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس وبيناه بيانا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يعنى يا محمد هؤلاء المشركون (بمثل) أى يضربونه لك فى ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) أى بما ترد به ما جاؤا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا (وأحسن تفسيرا) أى أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) أى هم الذين (يحشرون) أى يساقون ويجرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا) أى منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أى أخطأ طريقا ۞ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أى معينا وظهيرا (فقلنا

اذهبا

هو فى اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لاتنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذراهم فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) أى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا وادريس وشيثا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهيأنا (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم الا انه أراد تظليمهم فاظهر أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه (عذابا أليما) أى النار (وعادا) ودمرنا عادا (وثمود) حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحى أو لانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا وهم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لايعلمها الا الله أرسل اليهم الرسل فكذبوهم فاهلكوا (وكلا ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تتبيرا) أى أهلكنا اهلاكا وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له (ولقد أتوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشأم على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما شاهدوا ذلك بابصارهم عند سفرهم الى الشأم فيتفكروا فيؤمنوا (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لايخافون بعثا فلا يؤمنون أو لايأملون نشورا كما يامله المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا رأوك ان يتخذونك) ان نافية (الا هزوا) اتخذه هزؤا فى معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوأ به (أهذا الذى) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء أى قائلين أهذا الذى (بعث الله رسولا) والمحذوف حال والعائد الى الذى محذوف أى بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد ودلالة على انهم لايفوتونه وان طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلالة اذ لايضل غيره الا من هو ضال فى نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أى من أطاع هواه فيما يأتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذى لايرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان

اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى القبط (فدمرناهم) فيه اضمار أى فكذبوهما فدمرناهم (تدميرا) أى أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أى عبرة لمن بعدهم (وأعتدنا للظالمين) فى الآخرة (عذابا أليما) أى غير ما حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا (وعادا وثمود) أى أهلكنا عادا وثمود (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا شعيبا فبيناهم حول البئر فى منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبى يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين ذلك كثيرا) أى وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) أى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تتبيرا) أى أهلكناهم اهلاكا ۞ قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء) يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى أهلك الله منها أربعا ونجيت واحدة وهى أصغرها وكان أهلها لايعملون العمل الخبيث (أفلم يكونوا يرونها) يعنى اذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشأم (بل كانوا لا يرجون نشورا) أى لايخافون بعثا ۞ قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) نزلت فى أبى جهل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) أى قد قارب ان يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أى فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه

يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الاول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) أم منقطعة معناه بل أتحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي وقالوا الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمي مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مد الظل) أي بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة الجنة وظل ممدود اذ لا شمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أي أخذنا ذلك الظل الممدود (الينا) الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أي جزأ فجزأ بالشمس التي تأتي عليه وجاء بثم لتفاضل ما بين الامور فكان الثاني أعظم من الاول والثالث أعظم من الثاني شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتا) راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور في مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أي ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذي أرسل الرياح) الريح مكي والمراد به الجنس (بشرا) تخفيف بشر جمع نشور (بين يدي رحمته) أي قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (طهورا) بليغا في طهارته والطهور صفة كقولك ماء طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى

وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) أي ما تقول سماع طالب الافهام (أو يعقلون) أي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (ان هم) أي ما هم (الا كالانعام) أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لان البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك ۞ قوله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعني الظل (الينا قبضا يسيرا) أي بالشمس التي تأتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا خفيفا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه (والنوم سباتا) أي راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم (وجعل النهار نشورا) أي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) يعني المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) الطهور هو

الطاهر

الطاهر فى نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأى الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى أن الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع فى الماء شئ غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيأ لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث فى قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيأ يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما نزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه نظر ان كان الواقع شيأ طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فا كثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادى يدل عليه ماروى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون فى الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذى وهذا قول الشافعى وأحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث أن الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعى والزهرى واحتجوا بماروى عن أبى سعيد الخدرى قال قيل يارسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شئ وفى رواية قال قلت يارسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شئ ۞ وقوله تعالى (لنحيى به) أى بالمطر (بلدة ميتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) أى نسقى من ذلك الماء (أنعاما وأناسى كثيرا) أى بشرا كثيرا والاناسى جمع انسى وقيل جمع انسان ۞ قوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم) يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه فى الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بامطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى هذه السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافى والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذكروا) أى ليتذكروا

التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل فى شئ وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعد وان كان لازما فلازم (لنحيى به) بالمطر (بلدة ميتا) ذكر ميتا على ارادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) أى ونسقى الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسى أى انعاما وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمى ونسقيه والاناسى جمع انسى على القياس ككرسى وكراسى وانسان وأصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الارض على سقى الانعام والاناسى لان حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسى متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسى ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقى السماء واعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقى الاناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيان ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم لان الطهور بشرط الاحياء (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا) ليذكروا حمزة وعلى ويزيد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا

(فأبى أكثر الناس الا كفورا) فأبى أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها أو صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فأبوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي ومن نسب الامطار الى الانواء وجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله تعالى كفر وان رأى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين) أي لو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع بأيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما

آثرتك على جميع الانبياء فآثر رضائي على جميع الاهواء وأريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم (وجاهدهم به) أي بالله يعني بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه (جهادا كبيرا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وهو الذي مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين (هذا) أي أحدهما (عذب فرات) صفة لعذب أي شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) صفة لملح أي شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان (وحجرا محجورا) وسترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا (وهو الذي خلق من الماء) أي النطفة (بشرا) انسانا (فجعله نسبا وصهرا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أي قرابة وصهرا مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان التواصل يقع بهم وبالمصاهرة لان التوالد يكون بهما (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم) ان عبدوه (ولا يضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير المظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن

معاونة

ويتفكروا في قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا وكفرهم هو أنهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ﴿قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم (وجاهدهم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) أي شديدا ﴿قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل أرسلهما في مجاريهما (هذا عذب فرات) أي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) أي شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) أي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أي سترا ممنوعا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب ﴿قوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء) أي من النطفة (بشرا فجعله نسبا وصهرا) أي جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعها قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء (وكان ربك قديرا) على ما أراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى (ويعبدون من دون الله) يعني هؤلاء المشركين (ما لا ينفعهم) أي ان عبدوه (ولا يضرهم) أي ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي معينا أعان الشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام

(وماأرسلناك الامبشرا)للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ماأسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (الامن شاءأن يتخذ الى ربه سبيلا) والمراد الافعل من شاء واستثناؤه من الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ماأطلب منك ثوابا على ماسعيت الاان تحفظ هـذا المال ولاتضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كانه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لى ورضائى به كرضا المثاب بالثواب ولعمرى انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاءأن يتخذ بالانفاق الى رضا ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لاأسألكم على ماأدعوكم اليه أجرا الااتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك أجرى لان الله يأجرنى عليه (وتوكل على الحى الذى لايموت) اتخذ من لايموت وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعنى ثق به وأسند أمرك اليه فى استكفاء شرورهم ولاتتكل على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لايصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه فى كل أمر (وسبح) من ان يكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذى يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى انه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل ونهار روى عن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت (ثم استوى على العرش الرحمن) أى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدا محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدأ والرحمن خبر (فاسئل)

بلاهمزة مكى وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلة فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون مانعرف الرحمن الاالذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أى اذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أى لانعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم (أنسجد لما تأمرنا) للذى تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يامحمد من غير علم منا به يأمرنا على وحمزة كان بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولانعرف ماهو فقد عاندوا لان معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لاغاية بعدها فى الرحمة لان فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش (وزادهم) قوله اسجدوا للرحمن (نفورا) تباعدا عن الايمان

معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا ههنا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه وقيل أراد بالكافر أباجهل والاصح انه عام فى كل كافر ۞ وقوله تعالى (وماأرسلناك الامبشرا) أى بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيرا) منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يامحمد (ماأسئلكم عليه) أى على تبليغ الوحى (من أجر) فتقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه (الامن شاءأن يتخذ الى ربه سبيلا) معناه لكن من شاءأن يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لاأسألكم لنفسى أجرا ولكن أمنع من انفاق المال الافى طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته ۞ قوله عزوجل (وتوكل على الحى الذى لايموت) معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لايطلب منهم أجرا البتة أمره أن يتوكل عليه فى جميع أموره وانما قال على الحى الذى لايموت لان من توكل على حى يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فانه حى لايموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولايضيع البتة (وسبح بحمده) أى صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعنى انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لايحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا اقدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه فى مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة ۞ قوله عزوجل (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) أى فاسأل الخبير بذلك يعنى بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الانسان لاترجع فى طلب العلم بهذا الى غيرى وقيل معناه فاسأل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أى مانعرف الرحمن الارحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما تأمرنا) أنت يامحمد (وزادهم) أى قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) أى عن الايمان والسجود

(تبارك الذي جعل في السماء بروجا) هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) في السماء (سراجا) يعني الشمس لتوقدها سراجا حمزة وعلي أي نجوما (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد أن يذكر) يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة وخلف أي يذكر الله أو المنسي فيقضي (أو أراد شكورا) أي يشكر نعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعدهما صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أولياءه بعد ما وصف أعداءه (على الارض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيا هينا والهون الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذا كره بعض وقيل العلماء الركوب في الاسواق لقوله يمشون (واذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والافك أو تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة وهذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) هلاكا لازما ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون الى الله في صرف العذاب عنهم

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعها وقراءتها ﴿ قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس (وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن أراد أن يذكر) أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما ﴿ قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلاما) أي سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولا يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال وروي عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليله ﴿ قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فأغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم

(انها ساءت مستقرا ومقاما) أى ان جهنم وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز و يصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد فى النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى فالاسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفى و بضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى و بفتح الياء وكسر التاء مكى و بصرى والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار (قواما) أى عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أى بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر عليه الصلاة (٣٧٩) والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى الرجل شيأ الا أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أى لا يشركون (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) أى حرمها يعنى حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (من يفعل ذلك) أى المذكور (يلق أثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هى لقاء الاثام كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا لجزم تلمم لانه بمعنى تأتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف مكى و يزيد و يعقوب يضعف شامى يضاعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أى يعذب على مرور الايام فى الآخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (و يخلد) جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه (فيه) فى العذاب فيهى مكى وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل فى هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال اى ذليلا (الا من تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس فى موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته

وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعنى جهنم (ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) أى موضع قرار واقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الاسراف النفقة فى معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد فى الانفاق حتى يدخل فى حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو أن لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) أى قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية فى صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع و يقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة و يقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهى شيأ الا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس ان ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك فأنزل الله تعالى تصديقه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى ومن يفعل شيأ من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد فى جهنم و يروى فى الحديث ان الغى والاثام بئران فى جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (و يخلد فيه مهانا) أى ذليلا ۞ قوله تعالى (الا من تاب) أى عن ذنبه (وآمن) أى بربه (وعمل عملا صالحا) أى فيما بينه و بين ربه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر

(فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل مخففا البرجمي (وكان الله غفورا) يكفر السيئات (رحيما) يبدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب

الآية ثم نزلت الا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء قط مثل ما فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿ وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيآتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) أي يعود اليه بعد الموت (متابا) أي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقيل هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيآت ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أي تب الى الله وقيل معناه فليعلم أن توبته ومصيره الى الله تعالى ﴿ قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق (واذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلغى ويترك (مروا كراما) يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهو أن ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه أنه ليس فيه نفي الخرور وانما هو اثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها أكبوا على استماعها بآذان واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم بآذانهم صمم وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ﴿ قوله عز وجل (والذين

بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب (والذين لا يشهدون الزور) أي الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الآثام لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخاطئين أو لا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء (واذا مروا باللغو) بالفحش وكل ما ينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به (مروا كراما) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وعن الباقر رضي الله عنه اذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) هذا ليس بنفي الخرور بل هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحوه لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (والذين

يقولون

يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا) من للبيان كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا (وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفي غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرة أعين) وإنما نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لاسبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل أعين على القلة دون عيون لان المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين انها أعين خاصة وهي أعين المتقين والمعنى انهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم

وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين اماما) أي أئمة يقتدون بنا في الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس أو واجعل كل واحد منا اماما قيل في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب و يرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون (بما صبروا) أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (و يلقون فيها) و يلقون كوفي غير حفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم و يسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا و يسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام أو لولا عبادتكم له أي انه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي الاعتبار عنده بكم لعبادتكم أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم (فقد كذبتم) رسولي يا أهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أي ذا لزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه الها آخر

﴿سورة الشعراء مكية﴾ وهي مائتان وعشرون وسبع آيات

يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) أي أبرارا أتقياء صالحين فيقرون أعيننا بذلك قيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن و يقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) أي أئمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم فيه و يقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم (أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) أي على طاعة الله وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات (و يلقون فيها تحية) أي ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات ۞ قوله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربي) أي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبأ أي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الشعراء﴾

وهي مكية الا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وسبع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم) طس ويس وحم ممالة كوفي غير الاعشى والبرجمي وحفص و يظهر النون عند الميم يزيد وحمزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع) قاتل واهل للاشفاق (نفسك) من الحزن يعني أشفق على نفسك ان تقتلها حسرة وحزنا على ما فاتك من اسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو لامتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (ننزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أي فتظل لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول ان زرتني أكرمتك أي أكرمك كذا قاله الزجاج (أعناقهم) رؤساؤهم ومقدموهم أو جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج

وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

❁ قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) أي هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (أن لا يكونوا مؤمنين) أي ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوي أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم أي فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة ❁ قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن) أي وعظ وتذكير (محدث) أي محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أي عن الايمان به (فقد كذبوا فسيأتيهم) أي فسوف يأتيهم (أنباء) أي أخبار وعواقب (ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد ان لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان في ذلك) أي الذي ذكر (لآية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفي كل شيء له آية ❁ تدل على انه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق علمي فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وان ربك لهو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لاوليائه ❁ قوله تعالى (واذ نادى) أي

٢٠ م (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت فينا وفي بني أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة و يلحقهم هوان بعد عزة (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتيهم) فسيعلمون (نبأ) أخبار (ما كانوا به يستهزؤن) وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة و به نبه على كمال قدرته (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجي ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم ٤ وآية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر أنبتنا أو المراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية أي آية (واذ) مفعول به أي اذكر اذ (نادى) دعا ٤ قوله وآية هكذا بالاصل ولعله سقط منه وافراد ونحو ذلك اه مصححه

واذكر

(ربك موسى أن ائت) أن بمعنى أى (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر و بنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد (ألا يتقون) أى ائتهم زاجرا فقد آن لهم أن يتقوا وهى كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال رب انى أخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع (أن يكذبون ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى مستأنف أو عطف على أخاف (ولا ينطلق لسانى) بان تغلبنى الحية على ما أرى من المحال واسمع من الجدال و بنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فارسل الى هرون) أى أرسل اليه جبريل واجعله نبيا يعيننى على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام (٣٨٣) توقفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فاخاف أن يقتلون) أى يقتلونى به قصاصا وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله (قال كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فأجابه بقوله اذهبا أى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون (با ياتنا) مع آياتنا وهى اليد والعصا وغيرذلك (انا معكم) أى معكما بالعون والنصرة ومع من أرسلتما اليه بالعلم والقدرة (مستمعون) خبران ومعكم لغو أو هما خبران أى سامعون والاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع فلان حديثه أى أصغى اليه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) لم يثن الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل و بمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول واحد أو أريد ان كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (معنا بنى اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فاتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى

واذكر يا محمد اذ نادى (ربك موسى) أى حين رأى الشجرة والنار (أن ائت القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بنى اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون) يعنى القبط (ألا يتقون) أى يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به (قال) يعنى موسى (رب) أى يارب (انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى) أى بتكذيبهم اياى (ولا ينطلق لسانى) أى للعقدة التى كانت على لسانه (فارسل الى هرون) ليوازرنى ويعيننى على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فاخاف أن يقتلون) أى به (قال) الله تعالى (كلا) أى لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون) أى سامعون ماتقولون ومايقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنان قلت أجراهما مجرى الجماعة وهو جائز فى لغة العرب (فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) فان قلت هلا ثنى الرسول كما فى قوله فائتياه فقولا انا رسولا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل و بمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذو رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة وقيل انهما لاتفاقهما فى الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) أى خلهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهرون بها فاخبره بذلك *وفى القصة أن موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هرون ان الله قد أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا

فعند ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) وانما حذف فأتيا فرعون فقالا اختصارا والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة أى ألم تكن صغيرا فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى فعرض اذ كان ملكا (وانت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبازى أو كنت على ديننا الذى تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية (قال فعلتها اذا) أى اذ ذاك (وأنا من الضالين) الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (ففررت منكم) الى مدين (لما خفتكم) أن تقتلونى وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لى ربى حكما) نبوة وعلما فزال عنى الجهل والضلالة (وجعلنى من المرسلين) من جملة رسله (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من أصله وأبى أن تسمى نعمة لانها نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه أبواه فكان فرعون أمتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر أبويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير فى تمنها وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على (قال فرعون ومارب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما صفته لانك اذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره (قال) موسى مجيبا له على وفق سؤاله (رب السموات والارض وما بينهما) أى وما بين الجنسين (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا أو ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن

تضحك منه فدخلا على فرعون وأديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته (فقال) له (ألم نربك فينا وليدا) أى صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) أى ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى (وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وأنت من الكافرين بفرعون والهيته (قال) يعنى موسى (فعلتها اذا وأنا من الضالين) أى من الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين (ففررت منكم) أى الى مدين (لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) يعنى النبوة وقيل العلم والفهم (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) أى اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الاية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم يستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية وتلك نعمة على طريق الاستفهام لحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفتها ﷺ وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة ﷺ تتركنى هكذا وتنطلق

أى أتتركنى والمعنى أتمن على ان ربيتنى وتنسى جنايتك على بنى اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن على بالتربية وقد استعبدت قومى ومن أهين قومه فقد ذل فتعبدك بنى اسرائيل قد أحبط حسناتك الى ولو لم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى تربينى وتكفلنى ولكان لى من أهلى من يربينى ولم يلقونى فى اليم (قال فرعون ومارب العالمين) يقول أى شئ رب العالمين الذى تزعم انك رسوله أى يستوصفه الهه الذى أرسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أنه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان أيقنتم بذلك لزمكم أن تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال أهل المعانى أى كما توقنون هذه الاشياء التى تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك

(قال) أى فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما و ينكرون حدوثهما وان لهما ربا فاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهد واحدوثه وفناءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أى هو خالقكم وخالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) حيث يزعم ان فى الوجود الها غيرى وكان فرعون ينكر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فتستدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم أولا بخالق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب موسى ألا تستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجننه فرعون زاعما أنه حائد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا أن الفرد الحقيقى انما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة فى قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان لكم عقل علمتم أنه لا تمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون

ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيرى) أى غيرى الها (لاجعلنك من المسجونين) أى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر (قال أولو جئتك) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى أتفعل بى ذلك ولو جئتك (بشئ مبين) أى جائيا بالمعجزة (قال فأت به) بالذى يبين صدقك (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدر أى فأحضره (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى ان العصا ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت و يقول فرعون أسألك بالذى أرسلك الا أخذتها فأخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيأ يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فأدخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار و يسد الافق (قال) أى فرعون (للملا حوله) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ والعامل فيه ما يقدر فى الظرف ونصب فى المحل وهو النصب على الحال

موسى تحير فرعون فى جواب موسى (قال لمن حوله) أى من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة (ألا تستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعنى انى انما أطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبنى بأفعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعنى ان موسى ذكر ما هو أقرب اليهم فقال ربكم يعنى أنه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعنى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه و يتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت (قال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين توعده بالسجن (أولو جئتك بشئ مبين) أى بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان (قال) يعنى فرعون (فأت به) أى انا لن نسجنك حينئذ (ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) قيل انها لما صارت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذى أرسلك الا أخذتها فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملا حوله

من الملأ أى كائنين حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم) بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون فى أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهى المشاورة أو من الامر الذى هو ضد النهى لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزال عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما ولا تباغت قتلهما خوفا من الفتنة (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكن بعض قلقه (لجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أى يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة فى قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ماوقت به أى حد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لعلنا نتبع السحرة) فى دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أى غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين على وهما لغتان (وانكم اذا لمن المقربين) أى قال فرعون نعم لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى فى المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لاجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله انكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته (فألقوا حبالهم) سبعين ألف حبل (وعصيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصى (وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) اقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى (فألقى السحرة ساجدين) عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقا آت ولانهم لسرعة ماسجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قالوا آمنا برب العالمين) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا أن يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم آمنا برب العالمين قال اياى عنيتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) بذلك (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وقد تواطأتم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم ثم صرح فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم (ولاصلبنكم أجمعين) كأنه أراد به ترهيب العامة لئلا يتبعوهم فى الايمان (قالوا لا ضير) لا ضرر وخبر لا محذوف أى فى ذلك أو علينا (انا الى ربنا منقلبون انا نطمع

ان هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى (فماذا تأمرون) يعنى ما رأيكم فيه وما الذى أعمله فعند ذلك (قالوا أرجه وأخاه) أى أخره وأخاه (وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة فى أمره ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة ﴿قوله تعالى (لجمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت فى أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أى لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأكده بقوله (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) أى بعظمة فرعون (انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون) أى ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هى كما كانت أول مرة (فألقى السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون) أى لا ضرر علينا فيما ينالنا فى الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا فى الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم (انا

نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادوا الاضرر علينا فى ذلك بل لنا اعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به انه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان (وأوحينا الى موسى أن أسر) وبوصل الهمزة حجازى (بعبادى) بنى اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه أى سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعنى انى بنيت تدابير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة ابيات فى بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) أى جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لا قلة العدد أى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف (وانهم لنا لغائظون) أى انهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم أبكارنا (وانا لجميع حاذرون) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فأخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لا ينفقون منها فى طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) بهى بهيج وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والرفع على انه خبر مبتدا محذوف أى الامر كذلك (وأورثناها بنى اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم

نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أى الكفر والسحر (أن) أى لان (كنا أول المؤمنين) أى من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أى من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل أوحى الله الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وآمرهم أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) يعنى الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن ألف مدينة واثنى عشر ألف قرية فأرسل فرعون فى أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف وخرج فرعون فى الكرسى العظيم فى مائتى ألف ملك مسورين مع كل ألف ملك فلذلك قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) قال أهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون (وانهم لنا لغائظون) الغيظ الغضب يعنى انهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التى استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير اذن منا (وانا لجميع حذرون) أى خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أى ذوو قوة وأداة شاكو السلاح وقيل الحاذر الذى يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى لا تلقاه الا خائفا (فأخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وأنهار جارية (وكنوز) يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أى مجلس حسن قيل أراد مجالس الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى أنا أخرجناهم من بساتينهم التى فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أى كما وصفنا (وأورثناها بنى اسرائيل) وذلك ان الله

(فاتبعوهم) فلحقوهم فاتبعوهم يزيد (مشرقين) حال أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها أى ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى قرب أن يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (ان معى) معى حفص (ربى سيهدين) أى سيهدينى طريق النجاة واضرارهم سيهدينى بالياء يعقوب (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) أى القلزم أو النيل (فانفلق) أى فضرب فانفلق وانشق فصار اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أى جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المنطاد فى السماء (وأزلفنا) حيث انفلق البحر (ثم الآخرين) قوم فرعون أى قربناهم من بنى اسرائيل أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب فى الآجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا فى الهلاك مع اختلاف طوالعهم وروى ان جبريل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم باولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت فهذا البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ (ان فى ذلك) أى فيما فعلنا بموسى وفرعون (لآية) لعبرة عجيبة لا توصف (وما كان أكثرهم) أى المغرقين (مؤمنين) فالوا لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركى قريش (نبأ ابراهيم) خبره (اذ قال لأبيه وقومه) قوم ابراهيم أو قوم الاب (ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجواب ما تعبدون أصناما كيسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا نعبد فى الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد (فنظل لها عاكفين) فنقيم على عبادتها طول النهار وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام

عز وجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) أى لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلما تراءى الجمعان) أى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعنى موسى لثقته بوعد الله تعالى اياه (كلا) أى لن يدركونا (ان معى ربى سيهدين) أى يدلنى على طريق النجاة (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) أى فضربه فانشق (فكان كل فرق) أى قطعة من الماء (كالطود) أى الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته وقال الذى يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده (وأزلفنا ثم الآخرين) أى قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدا ليلحق آخركم أولكم فكان بنو اسرائيل يقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما رأينا أحسن دعة من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعنى انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا فى البحر انطبق عليهم فاغرقهم (ان فى ذلك لآية) يعنى ما حدث فى البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعنى أهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم ابنة ماموسى التى دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر (وان ربك لهو العزيز الرحيم) ۞ قوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أى نقيم على عبادتها وانما قالوا فنظل لانهم كانوا

(قال) أى ابراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (اذ تدعون) عليه (أو ينفعونكم) ان عبدتموها (أو يضرون) أى ان تركتم عبادتها (قالوا بل) اضراب أى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشئ من ذلك ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) الاولون (فانهم) أى الاصنام (عدولى) العدو والصديق يجيآن فى معنى الوحدة والجماعة يعنى لو عبدتهم لكانوا أعداء لى فى يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أى فانى عدوهم وفى قوله عدولى دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة (الا رب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين (الذى خلقنى) بالتكوين فى القرار المكين (فهو يهدين) لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدينى مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدينى للاهم الافضل والاتم الاكمل أو الذى خلقنى لاسباب خدمته فهو يهدينى الى آداب خلته (والذى هو يطعمنى) أضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويروينى بشرابه (واذا مرضت) وانما لم يقل أمرضنى لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضى الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو يشفين) بمشاهدة الحق قال الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفين بكشف منة الافضال (والذى يميتنى ثم يحيين) ولم يقل اذا مات لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم فى الاحياء لتراخيه عن الافناء وأدخل الفاء فى الهداية والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض لا معا معا (والذى أطمع) طمع العبيد فى الموالى بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال (ان يغفر لى خطيئتى) قيل هو قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للبازغ هى أختى لسارة وما هى الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها استغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم فى طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الجزاء (رب هب لى حكما) حكمة أو حكما بين الناس بالحق أو نبوة لان النبى عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (وألحقنى بالصالحين) أى الانبياء ولقد أجابه حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكرا جميلا فى الامم التى تجئ بعدى فاعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلنى من) يتعلق بمحذوف أى وارثا من (ورثة جنة النعيم) اى من الباقين فيها (واغفر لابى) اجعله أهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من

يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) أى يسمعون دعاءكم (اذ تدعون أو ينفعونكم) يعنى بالرزق (أو يضرون) أى ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما ألزمتهم الحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا ذلك وفى الآية دليل على ابطال التقليد فى الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أى الاولون (فانهم عدولى) أى أعداء لى وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لا تعقل قلت معناه فانهم عدو لى يوم القيامة لو عبدتهم فى الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء أطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فانى عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك (الا رب العالمين) أى ولكن رب العالمين فانه ربى ووليى وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ما تعبدون أعداء لى الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة فقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذى هو يطعمنى ويسقين) أى يرزقنى ويغذينى بالطعام والشراب (واذا مرضت) أصابنى مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أى يبرئنى ويعافينى من المرض (والذى يميتنى ثم يحيين) أى يميتنى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة (والذى أطمع) أى أرجو (أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) أى يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين كان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لى حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (وألحقنى بالصالحين) أى بمن سلف قبلى من الانبياء فى المنزلة والدرجة العالية (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما فى الامم التى تجئ بعدى فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويثنون عليه (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابى انه كان من

الضالين) الكافرين (ولا تخزنى) الاخزاء من الخزى وهو الهوان أو من الخزية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لانه معلوم أو للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه أى ولا تخزنى فى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولا بنون) أحد (الا من أتى الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى فى قلوبهم مرض أى ان المال اذا صرف فى وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون فى معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما ان غناه فى دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعله صفة له فى قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلام من كلامه مع المشركين حيث سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم فابطل أمرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة

وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وأزلفت الجنة للمتقين) أى قربت عطف جملة أى تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) أى أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها (للغاوين) للكافرين (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) يوبخون

الضالين) قيل دعا لابيه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تخزنى) أى ولا تفضحنى (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) أى خالص من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالى من البدعة المطمئن الى السنة (وأزلفت الجنة) أى قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) أى أظهرت (للغاوين) أى للكافرين (وقيل لهم) يعنى يوم القيامة (أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أى يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لانفسهم (فكبكبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرح بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم (فيها) أى فى جهنم (هم والغاوون) يعنى الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس أجمعون) يعنى اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعنى العابدين والمعبودين (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) أى نعدلكم (برب العالمين) فنعبدكم (وما أضلنا) يعنى دعانا الى الضلال (الا المجرمون) يعنى من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعنى ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصى (فما لنا من شافعين) يعنى من يشفع لنا كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صديق حميم) أى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق فى المودة مع موافقة

على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار (فكبكبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) فى الجحيم (هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر فى قعرها نعوذ بالله منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) نعدلكم أيها الاصنام (برب العالمين) فى العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أى رؤساؤهم الذين أضلوهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء اذ لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع

(فلو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو في مثل هذا بمعنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي (ان في ذلك) فيما ذكر من الانباء (لآية) أي لعبرة لمن اعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من كذب ابراهيم بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذي قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح في زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة أو برد أو كانوا ينكرون بعث الرسل أصلا فلذا جمع أو لان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة (اذ قال لهم أخوهم) نسبا لا دينا (نوح ألا تتقون) خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام (اني لكم رسول أمين) كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام في قريش (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به وأدعوكم اليه من الحق (وما أسئلكم عليه) على هذا الامر (من أجر) جزاء (ان أجري) بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (الا على رب العالمين) فلذلك أريده (فاتقوا الله وأطيعون) كرره ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه أمينا فيما بينهم وعلة الثاني حسم طمعه منهم كأنه قال اذا عرفتم رسالتي وأمانتي فاتقوا ثم اذا عرفتم احترازي من الاجر فاتقوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال (الارذلون) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا تزري بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا وما زالت أتباع الانبياء كذلك (قال وما علمي) وأي شيء أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أي ليس من شأني ان أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) ما علي الا أن أنذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة

موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) أي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم ۞ قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم في النسب لا في الدين (ألا تتقون) أي ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي (اني لكم رسول أمين) أي على الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (وأطيعون) أي فيما آمركم به من الايمان والتوحيد (وما أسئلكم عليه من أجر) أي من جعل وجزاء (ان أجري) أي ثوابي (الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قيل كرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في مخالفتي واني لست آخذ منكم أجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أي السفلة قال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة (قال) يعني نوحا (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء انما كلفت ان أدعوهم الى الله تعالى ومالي الا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم أعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم (ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) أي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أي عني وقد آمنوا (ان أنا الا نذير مبين) معناه أخوف من كذبني فمن آمن فهو القريب مني ومن لم يؤمن فهو البعيد عني (قالوا لئن لم تنته يا نوح) أي عما تقول (لتكونن من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من

(قال رب ان قومى كذبون) ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبونى فى وحيك ورسالتك (فافتح بينى و بينهم فتحا) أى فاحكم بينى و بينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجنى ومن معى) معى حفص (من المؤمنين) من عذاب عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك) الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجاء نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنتقم باهانة من جحد وأصر (الرحيم) المنعم باعانة من وحد وأقر (كذبت عاد المرسلين) هى قبيلة وفى الاصل اسم رجل هو أبو القبيلة (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله) فى تكذيب الرسول الامين (وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) لبرج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمن مر بهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء أو قصورا مشيدة أو حصونا (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود فى الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يقتل و يضرب على الغضب (فاتقوا الله) فى البطش (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أمدكم بانعام و بنين) قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان الدنيا عصيتمونى (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآى (ان هذا الاخلق الاولين) ما هذا الذى نحن عليه من الحيوة والموت واتخاذ الابنية الا عادة الاولين أو ما نحن عليه دين الاولين الاخلق الاولين مكى و بصرى و يزيد وعلى أى ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم أساطير الاولين أو خلقنا كخلق الاولين نموت ونحيا كما حيوا (وما نحن بمعذبين) فى الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أى هودا (فأهلكناهم) بريح صرصر عاتية (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتتركون) انكار لان يتركوا خالدين فى نعيمهم لا يزالون عنه (فيما ههنا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله

المشئومين (قال رب ان قومى كذبون فافتح) أى احكم (بينى و بينهم فتحا) أى حكما (ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) أى الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا بعد الباقين) أى بعد انجاء نوح ومن معه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين) أى أمين على الرسالة فكيف تتهمونى اليوم (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع) قال ابن عباس أى بكل شرف وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) أى علامة وهى العلم (تعبثون) أى بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم و يعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس أبنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل مآخذ الماء يعنى الحياض (لعلكم تخلدون) أى كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) أى واذا أخذتم وسطوتم (بطشتم جبارين) أى قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يضرب و يقتل على الغضب وهو مذموم فى وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) أى أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمدكم بانعام و بنين وجنات وعيون) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (انى أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتمونى (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم أن (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى انهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما أورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الاخلق الاولين) قرئ بفتح الخاء أى اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام أى عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أى انهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ۞ قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) أى فى

(في جنات وعيون) وهذا أيضا اجمال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تتناول النخل أول شئ تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف (هضيم) لين نضيج كانه قال ونخل قد أرطب ثمره (وتنحتون) تنقبون (من الجبال بيوتا فارهين) شامي وكوفي حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين والفراهة الكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأول كقولهم انبت الربيع البقل (الذين يفسدون في الارض) بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى أن فسادهم مصمت ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر (ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) في دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تزاحمكم هي فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وتنتجت سقبا مثلها في العظم وصدرها ستون ذراعا واذا

كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايأة (ولا تمسوها بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فعقروها) عقرها قدار ولكنهم راضون به فاضيف اليهم روى ان عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا

أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فاصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فأخذهم العذاب) المقدم ذكره (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتطؤن الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أتطؤن أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران أي أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) من تبيين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد أي بل أنتم قوم أحق بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن انكارك علينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال اني لعملكم من القالين) هو أبلغ أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم في العلم والقلى البغض يقلي الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاه من حيث الدين

الدنيا من العذاب (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) أي ثمرها الذي يطلع منها (هضيم) قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرئ فرهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا انما أنت من المسحرين) أي من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب (ما أنت الا بشر مثلنا) والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك (فأت بآية) يعني على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعني انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) أي حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) أي بعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين) أي على عقرها لما رأوا العذاب (فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) يعني نكاح الرجال من بني آدم (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) يعني أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون الى ادبار الرجال (بل أنتم قوم عادون) أي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) أي من قريتنا (قال اني لعملكم من

(رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناه وأهله أجمعين) يعني بناته ومن آمن معه (الا عجوزا) هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وان لم تشاركهم في الايمان (في الغابرين) صفة لها أي في الباقين في العذاب فلم تنج منه والغابر في اللغة الباقي كأنه قيل الا عجوزا غابرة أي مقدرا غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم (ثم دمرنا الآخرين) والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وأمطرنا عليهم مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذرين) والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشامي وكذا في ص علم لبلد وقيل أصحاب الايكة هم أهل مدين التجؤا الى غيضة اذ ألح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففي الحديث ان شعيبا أخا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الايكة (المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين)

ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأمور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهو الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولا تعثوا في الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها في الافساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون جيعا ذلك فنهوا عنه يقال عثا في الارض اذا أفسد وعثى في الارض لغة في عثا (واتقوا الذي خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وتركها في قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وان نظنك لمن الكاذبين) ان مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه لان أصلهما ان تفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا (فأسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهي القطعة وكسفه قطعه (من السماء) أي السحاب أو الظلة ان كنت من الصادقين) أي ان كنت صادقا انك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أي قطعا من السماء عقوبة (قال ربي) بفتح الياء حجازي وأبو عمرو وبسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أي ان الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة أظلتهم بعد ما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم

القالين أي من التاركين المبغضين (رب نجني وأهلي مما يعملون) أي من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) أي امرأته (في الغابرين) أي بقيت في المهلكين (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) يعني الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذب أصحاب الايكة المرسلين) أي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (اذ قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم (ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين) انما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أي بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين) يعني الخليقة والامم المتقدمة (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا) أي قطعا (من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون) أي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا

ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا لمعانيها فى الصدور وليكون أبلغ فى الوعظ والزجر ولان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جديرة بان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به) مخفف والفاعل (الروح الامين) أى جبريل لانه أمين على الوحى الذى فيه الحياة حجازى وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية (على قلبك) أى حفظك وفهمك اياه وأثبته فى قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربى) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما صحفته العامة والباء اما ان يتعلق بالمنذرين أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام أو بنزل أى نزله بلسان عربى لتنذر به لانه لو نزله بلسان أعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التى نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا الا الى معانى الكلام وان كلم بغيرها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين (وانه) وان القرآن (لفى زبر الاولين) يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة (أولم تكن لهم آية) شامى جعلت آية اسم كان وخبره (ان يعلمه) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة وقيل فى يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وان يعلمه بدل منها أو خبر مبتدا محذوف أى أولم تحصل لهم آية وغيره يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل آية (علمؤا بنى اسرائيل) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وخط فى المصحف علمؤا بواو قبل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) جمع أعجم وهو الذى لا يفصح وكذلك الاعجمى الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون أى الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء

(فقرأه عليهم

جميعا (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله أعلم بمراده ۞ قوله عز وجل (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعنى ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين (نزل به الروح الامين) يعنى جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن على وحيه لانبيائه (على قلبك) يعنى على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب فى الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان فى الجسد مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب أخرجاه فى الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم ۞ وقوله تعالى (لتكون من المنذرين) أى المخوفين (بلسان عربى مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه (وانه) يعنى القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لفى زبر الاولين) أى كتب الاولين (أولم يكن لهم آية) يعنى أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه) يعنى يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم (علمؤا بنى اسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد ۞ قوله تعالى (ولو نزلناه) يعنى القرآن (على بعض الاعجمين) جمع أعجمى وهو الذى لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا فى النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربى اللسان (فقرأه عليهم) يعنى القرآن

ما كانوا به مؤمنين) والمعنى انا أنزلنا القرآن على رجل عربي مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله وقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي أدخلنا التكذيب والكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (في قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيارا لكفر والاصرار عليه يعني مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثبات كونه مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الاليم) المراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مألوفاته والله تعالى يقول (أفرأيت ان متعناهم سنين) قيل هي مدة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم * وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القرآن على محمد أنزل (وما تنزلت به) أي القرآن (الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه (انهم عن السمع لمعزولون) لممنوعون بالشهب (فلا تدع مع الله

(ما كانوا به مؤمنين) أي لقالوا لا نفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) أي القرآن (حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) أي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستعجلون) قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستعجلون (أفرأيت ان متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا كانهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أي رسل ينذرونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما تنزلت به الشياطين) يعني ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السمع لمعزولون) أي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع (فلا تدع مع الله

الها

الهاآخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت الهاغيري لعذبتك ۞ قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعلي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يامحمد ان لاتفعل ماتؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ماأمرت به ففعلت ماأمرني به ثم دعوتهم له وكان يومئذ نحوا أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ماقدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلي فان هذا الرجل قدسبقني الى ماسمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعدلنا من الطعام مثل ماصنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابني عبد المطلب اني قدجئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل ان أدعوكم اليه فايكم يوزرني على أمري هذا و يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وأنا أحدثهم سنا فقلت أنا يارسول الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون و يقولون لابي طالب قدأمرك أن تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قدتب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لاأغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لاأغني عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لاأغني عنك من الله شيأ و ياصفية عمة رسول الله لاأغني عنك من الله شيأ و يافاطمة بنت رسول الله سليني ماشئت من مالي لاأغني عنك من الله شيأ (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربد أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا و بالاقرب فالاقرب من أهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع (واخفض) أي ألن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت مامعنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بألسنتهم وهم المنافقون (فان عصوك)

الها آخر فتكون من المعذبين) مورد النهي لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الاخلاص (وأنذر عشيرتك الاقربين) خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لايغني عنهم من الله شيأ وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يابني عبد المطلب يابني هاشم يابني عبد مناف ياعباس عم النبي ياصفية عمة رسول الله اني لاأملك لكم من الله شيا (واخفض جناحك) وألن جانبك وتواضع وأصله ان الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فان عصوك

فقل انى برئ مما تعملون) يعنى أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضى الله عنه التوكل ان تقبل بالكلية عما دونه فان حاجتك اليه فى الدارين فتوكل مدنى وشامى عطف على فقل أو ولا تدع (الذى يراك حين تقوم) متهجدا (وتقلبك) أى ويرى تقلبك (فى الساجدين) فى المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ماهو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم انهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له اذ لا مشقة على من يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه وهو كقوله بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى ❁ ونزل جوابا لقول المشركين

ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبئكم) أى هل أخبركم أيها المشركون (على من تنزل الشياطين) ثم نبأ فقال (تنزل على كل أفاك أثيم) مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم ويلقون حال أى تنزل ملقين السمع أو صفة لكل أفاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجر أو استئناف ولا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم مالم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل والافاكون يلقون السمع الى الشياطين ويلقون وحيهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وهن أخوات لانه اذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدثت حديثا وفى صدرك اهتمام بشئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه ❁ ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاوون) أى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون أى السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج اذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم نافع

أى فيما أمرهم به (فقل انى برئ مما تعملون) أى من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته (الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقلبك فى الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لاراكم من وراء ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى اصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك فى اصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى اخرجك فى هذه الامة (انه هو السميع) أى لقولك ودعائك (العليم) أى بنيتك وعملك (قل) يا محمد (هل انبئكم) أى اخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل افاك) أى كذاب (أثيم) أى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) أى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبد الله الجمحى وأمية بن أبى الصلت الثقفى

الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين أحدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (ألم تر أنهم في كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) يعني حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وقال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشئ ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص في المعاني والقوافي (وانهم يقولون ما لا يفعلون) أي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدر منهم (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل في الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل * عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الاديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وان لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء * هجوت محمدا برا تقيا

(ألم تر أنهم في كل واد) من الكلام (يهيمون) خبر أن أي في كل فن من الكذب يتحدثون أو في كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأبخلهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد بقوله (وانهم يقولون ما لا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد * ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضي الله عنهم

(وذكروا الله كثيرا) أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والادب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور (وانتصروا) وهجوا (من بعد ما ظلموا) هجوا أي ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن كعب بن مالك ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك * وختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) واطلاقه وقوله (أي منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنه حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا وأي منصوب بينقلبون على المصدر لا بيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أي ينقلبون اي الانقلاب

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآياته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته انه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخي والجواد ونكر الكتاب ليكون أفخم له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف

هدى

رسول الله شيمته الوفاء * فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي ان لم تروها * تثير النقع من طرفي كداء * يبارين الاعنة مصعدات
على أكتافها الاسل الظماء * تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان أعرضتم عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء * والا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء * لنا في كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

(فصل في مدح الشعر) (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت وراء النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا قال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره * عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشده في المسجد فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها فقال

أمن آل نعمى أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فانشده القصيدة الى آخرها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة * قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا من بعد ما ظلموا) أي انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا) أي أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء (أي منقلب ينقلبون) أي أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النمل وهي ٢ مائتان وثلاثون وست آيات وألف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين

---

٢ قوله وهي مائتان الخ كذا بالاصول التي بأيدينا وهو مخالف لما في الكشاف والخطيب والنسفي اهـ

(هدى و بشرى) فى محل نصب على الحال من ايات أى هداية و بشارة فالعامل فيهما ما فى تلك من معنى الاشارة أو الجر على انه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هى هدى و بشرى أو على البدل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أى تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق و بشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلوة) يداومون على فرائضها وسننها (و يؤتون الزكوة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول و يحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة و يدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناه اوما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فهم يعمهون) يترددون فى ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء (٤٠١) على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أى حكيم وأى عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب باذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لأهله) لزوجته ومن معه عند مسيره من مدين الى مصر (امكثوا انى آنست) أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتيكم بشهاب) بالتنوين كوفى أى شعلة مضيئة (قبس) نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله آتيكم هنا ولعلى آتيكم فى القصص مع ان أحدهما ترج والآخر تيقن لان الراجى اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا و يكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لأهله انه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة و بأو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الالفاظ فى هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزوج (لعلكم تصطلون) تستدفئون بالنار من البرد الذى أصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد (فلما جاءها) أى النار التى أبصرها (نودى) موسى (أن بورك) مخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشرى لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة أو مفسرة لان فى النداء معنى القول أى قيل له بورك أى قدس أو جعل فيه البركة والخير (من فى النار ومن حولها) أى بورك من فى مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أى موسى لحدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه

(هدى و بشرى للمؤمنين) أى هو هدى من الضلالة و بشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أى الخمس بشرائطها (و يؤتون الزكوة) اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعنى ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة (ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم أعمالهم) أى القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم فى القلب بما فيه المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم يعمهون) أى يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى اشده وهو القتل والاسر (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أى انهم خسروا أنفسهم وأهليهم وساروا الى النار

قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن) أى تؤتاه وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) أى حكيم عليم بما أنزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هى العلم بالامور العلمية فقط والعلم أعم منه لان العلم قد يكون علما وقد يكون نظرا والعلوم النظرية أشرف (اذ قال) أى واذكر يا محمد اذ قال (موسى لأهله) أى فى مسيره بأهله من مدين الى مصر (انى آنست) أى أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) أى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) اى تستدفئون من البرد وكان فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار) أى بورك على من فى النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك ان النور الذى رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من فى النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن

(وسبحان الله رب العالمين) هو من جلة ما نودى فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) الضمير فى انه للشان والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر أو يرجع الى ما دل عليه ما قبله أى ان مكلمك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد الله أن يظهر على يده من المعجزات (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك ويدل عليه ما ذكر فى سورة القصص وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى أنا الله على تكرير حرف التفسير (فلما رآها تهتز) تتحرك حال من الهاء فى رآها (كأنها جان) حية صغيرة حال من الضمير فى تهتز (ولى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها على ظهره خوفا من وثوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أو لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودى (ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى اياهم أو لا يخاف لدى المرسلون من غيرى (الا من ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين بفعل غير ما أذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثم بدل حسنا) أى اتبع توبة (بعد سوء) زلة (فانى غفور رحيم) أقبل توبته وأغفر زلته وارحمه فأحقق أمنيته وكأنه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص ونحوه بيضاء ومن غير سوء حالان (فى تسع آيات) كلام مستأنف وفى يتعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات أو والق عصاك وأدخل يدك فى جملة تسع آيات (الى فرعون وقومه) الى يتعلق بمحذوف أى مرسلا الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما

جاءتهم

عباس فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب فى التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعير بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) قيل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه أنا الله وهذا تمهيد لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وألق عصاك) تقديره فالقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) أى هرب من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى (ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) يريد اذا أمنتهم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم أى اغفر له وأزيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها وأخرجها فاذا هى تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) أى من غير برص (فى تسع آيات) أى آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وقيل فى بمعنى من أى من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة (فلما

جاءتهم آياتنا) أى معجزاتنا (مبصرة) حال أى ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها للابستهم اياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كانها تبصر فتهدى لان الاعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (وجحدوا بها) قيل الجحود لا يكون الامن علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشئ للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر فى شرح التأويلات وذكر فى الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو فى (واستيقنتها) للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من الايقان (أنفسهم) أى جحدوها بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم (ظلما) حال من الضمير فى جحدوا وأى ظلم أفحش من ظلم من استيقن انها آيات من عند الله ثم سماها سحرا بينا (وعلوا) ترفعا عن الايمان بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق هنا والاحراق ثمة (ولقد آتينا) أعطينا (داود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا (٤٠٣) والمراد علم الدين والحكم (وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) والآيات حجة لنا على المعتزلة فى ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضلا عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباده وماسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الالمدانا نهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضى الله عنه (وورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا أوتى النبوة مثل أبيه فكأنه ورثه والافالنبوة لاتورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض روى أنه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى فاخبر انه يقول سبحان ربى الاعلى وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس

جاءتهم آياتنا مبصرة) أى بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أى الذى نراه (سحر مبين) أى ظاهر (وجحدوا بها) أى أنكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أى علموا انها من عند الله والمعنى أنهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلما وعلوا) أى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى الغرق ۞ قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أى علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) أى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع ۞ قوله تعالى (وورث سليمان داود) يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى (وقال) يعنى سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول

(وأوتينا من كل شئ) المراد به كثرة ما أوتى كما تقول فلان يعلم كل شئ ومثله وأوتيت من كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا والنون فى علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روى ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لايقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله و يامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك أن لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انى جئت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضى الله عنه مايزع السلطان أكثر ممايزع القرآن (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى ساروا حتى اذا بلغوا وادى

سبحان ربى القدوس والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخى مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون مايقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا أخبرنا ماتقول القنبرة فى صفيرها والديك فى صعيقه والضفدع فى نقيقه والحمار فى نهيقه والفرس فى صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله ياغافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود فى البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فانه يقول اللهم انى أسألك قوت يوم بيوم يارزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم روى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال اذا صاح النسر قال ياابن آدم عش ماشئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ ۞ وقوله تعالى (وأوتينا من كل شئ) أى مما أوتى الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا لهو الفضل المبين) أى الزيادة الظاهرة على ماأعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفى زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أى جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن المختلفة فى مسيره (فهم يوزعون) أى يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا فى المسير قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه فى وسطه فيقعد وحوله كراسى الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لايتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح وأخبرتك به ● قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى شرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض

النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى لان أتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء (قالت نملة) عرجاء تسمى طاخية ومنذرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأفحم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهي مستأنف وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقة لا أرينك ههنا أي لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لانه من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) قيل أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وهم لا يشعرون) لا يعلمون بمكانكم أي لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل أو فرحا لظهور عدله وضاحكا حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعني) ألهمني وحقيقته كفني عن الاشياء الا عن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدي) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحا ترضاه) في بقية عمري (وأدخلني برحمتك) وأدخلني الجنة برحمتك لا بصالح عملي اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء في الحديث (في عبادك الصالحين) أي في زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (وتفقد الطير

والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب أبكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي الي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وأفرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسر الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فأتى على واد النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور أنه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علمت النملة أن سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا وطؤكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء الا حملته الريح حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ واد النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح قلت كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم * عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيئان أحدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا ما يفعلون الثاني سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراك سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين ۞ قوله عز وجل (وتفقد الطير) أي طلبها وبحث عنها

فقال مالى) مكى وعلى وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ماغاب عنك (لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى لاأراه على معنى انه لايراه وهو حاضر لساتر ستره أوغير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده

لذلك وذكر انه وقعت نفخة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصده فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض وقال يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لاعذبنه عذابا شديدا) بنتف ريشه والقائه فى الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع اضداده وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد أو بابداعه القفص أو بطرحه بين يدى النمل ليأكله وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره

والمعنى انه طلب مافقد من الطير (فقال مالى لاأرى الهدهد) وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى فى الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجىء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق ياوصاف انظر ما تقول ان الصبى منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجىء الهدهد وهو لايبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفى رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالى لاأرى الهدهد على تقدير أنه مع جنوده وهو لايراه ثم انه أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أى أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال (لاعذبنه عذابا شديدا) قيل هو أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه فى الشمس ممعطا لايمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه (أولاذبحنه أوليأتينى بسلطان مبين) أى بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ماذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم وكان فى كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن بحضره من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريبُ والبعيد عنده فى الحق سواءٌ لاتأخذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يتدين يانبى الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يانبى الله قال مقدار ألف سنةٍ فليبلغ الشاهدُ الغائبَ فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا أى وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلى ويتغدى فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت يايعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثناعشر ألف قائد اثناعشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدنى سليمان فى وقت

الصلاة

من المنافع واذا سخر له الطير لم يتم التسخير الا بالتأديب والسياسة (أولاذبحنه أوليأتينى) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لاعذبنه وحذف نون العماد للتخفيف ليأتيننى بنونين مكى الاولى للتأكيد والثانية للعماد (بسلطان مبين) بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتى بسلطان حتى قال والله ليأتينى بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس فى هذا ادعاء دراية

(فمكث) الهدهد بعد تفقد سليمان اياه وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان (غير بعيد) أى مكثا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة على اسراعه للدلالة خوفا من سليمان فلما رجع سأله عما لقى فى غيبته (فقال أحطت) علمت شيأ من جميع جهاته (بما لم تحط به) ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتى من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له فى علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه (وجئتك من سبا) غير متصرف أبو عمرو وجعله اسما للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحى أو الاب الاكبر (بنبا يقين) النبأ الخبر الذى له شان وقوله من سبا بنبا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا ألا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبا على تأويل القوم أو أهل المدينة

الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليمانى ان صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لأعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له على بالهدهد بهذه الساعة فرفع العقاب فى الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدى أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذى قواك وأقدرك على الا ما رحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبى الله قد حلف أن يعذبك أو أن يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك أين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد وما استثنى نبى الله قالوا بلى ولكنه قال أو ليأتينى بسلطان مبين قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبى الله فلما اقترب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذى أبطأك عنى فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فمكث غير بعيد) معناه أى غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) أى علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له فى ترك الاعجاب والاحاطة بالشئ علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجئتك من سبا) قيل هو اسم للبلد وهى مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (بنبا) أى بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (انى) أى الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هى بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف أنا الحية البيضاء التى أحييتنى والاسود الذى قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لى به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء فى الحديث ان أحد أبوى بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت فى الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال انه ابن أخى الملك وكان خبيثا سيئ السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه فعرضت نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعنى ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت فى فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى ملأ كثير من خدمها

(وأوتيت) حال وقد مقدرة (من كل شيء) من أسباب الدنيا ما يليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) الى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدي الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء

الرجاح العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا) بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا والحذف الجار مع أن وأدغمت النون في اللام ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلي وتقديره ألا ياهؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه ويكون يا للنداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا أو وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج انه لا يجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح لآت بها أو ذم لتاركها واحدى القراءتين أمر والاخرى ذم للتارك (الله الذي يخرج الخبء) سمي المخبأ بالمصدر (في السموات والارض) قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) وبالتاء فيهما علي وحفص (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك الى ههنا كلام الهدهد فلما فرغ من كلامه (قال) سليمان للهدهد (سننظر) من النظر الذي هو التأمل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله

كتب

وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزرائه وأحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته أو كرائم عشيرته ثم أرتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها (خ) عن أبي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ۞ قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا ۞ قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام (فهم لا يهتدون) أي الى الصواب (ألا يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي المخبأ (في السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب ثم ان سليمان

الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه) بسكون الها تخفيفاً أبو عمرو وعاصم وحمزة و يختلسها كسر التدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون و يعقوب فالقهى باثبات الياء غيرهم (اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها فى قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذى يردونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهى راقدة وتوارى فى الكوة فانتبهت فزعة أوأتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم (قالت) لقومها خاضعة خائفة (يأيها الملأ انى) وبفتح الياء مدنى (ألقى الى كتاب كريم) حسن مضمونه ومافيه أو مختوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بسم الله الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تبيين لما ألقى اليها كأنها لما قالت انى ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن فى (ألا تعلوا) لا ترتفعوا (على) ولا تتكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا يعنى أى امشوا (وائتونى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الانبياء مبنية على الايجاز والاختصار (قالت يأيها الملأ افتونى فى أمرى) أشيروا على فى الامر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد هنا بالفتوى الاشارة عليها بما عندهم من الرأى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالؤها و يقوموا معها (ما كنت قاطعة أمرا) فاصلة أو ممضية حكما (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح فى موضع الرفع وهذا فى موضع النصب واصله تشهدوننى فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها و بالياء فى الوصل والوقف يعقوب أى تحضرونى أو تشيرونى أو تشهدوا انه صواب أى لا أبت الامر الا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة

كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله فى كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أى تنح عنهم فقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) أى يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أى انصرف الى فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فالقى الكتاب فى حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هى حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا أخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلقيس (يأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم) قيل سمته كريما لانه كان مختوما روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما فى الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا على) قال ابن عباس لا تتكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (وائتونى مسلمين) أى طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يأيها الملأ افتونى فى أمرى) أى أشيروا على فيما عرض لى (ما كنت قاطعة امرا) أى قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) أى تحضرون (قالوا) يعنى الملأ مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أى فى الجسم

وأولوا بأس شديد) أرادوا بالقوة قوة الاجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) أى موكول اليك ونحن مطيعون لك فرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من ابناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين تتبع رأيك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطاء فيه حيث

(قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعى فى الارض بالفساد بهذه الاية ومن استباح حراما فقد كفروا ذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (وانى مرسلة اليهم بهدية) أى مرسلة رسلا بهدية (فناظرة) فمنتظرة (بم) أى بما لان الالف تحذف مع حرف الجر فى الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها أم ردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان

على القتال (وأولوا بأس شديد) أى عند الحرب وقيل أراد بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أى ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيتها الملكة أى فى القتال وتركه (فانظرى ماذا تأمرين) أى تجدينا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أى عنوة (افسدوها) أى خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر بها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها وهو للتأكيد لما قالت ثم قالت (وانى مرسلة اليهم بهدية) أى الى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكى وأختبره بها أملك هو أم نبى فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه فى دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت فى أيديهم أساور الذهب وفى أعناقهم أطواق الذهب وفى آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك أمره ومنظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبى فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا اللبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التى معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أى دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبى الله ما رأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال على بها الساعة فاتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف

كان نبيا ردها ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام

كرسى

عليهم ثياب الجوارى وحليهن راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بن هليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف

وأخبر بما فى الحق وانقب الدرة ثقبا واسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رأيته بشاشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وأمر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فامر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتمدوننى بمال) بنونين واثبات الياء فى الوقف مكى وسهل وافقهما مدنى وأبو عمرو فى الوصل أتمدونى حمزة ويعقوب فى الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل (فما آتانى الله) من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هى

كرسى على يمين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان رأوا أول الامر الدواب التى لا يرى مثلها تروث فى لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبؤا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن فى ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن فى ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأتى به فحركه فجاءه جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فانقب الدرة وأدخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة فى فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقى فى الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لى بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبى الله فأخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقى فى الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجوارى بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجوارى ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله) أى ما أعطانى من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) أى أفضل (مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتى لان الله قد أعطانى منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمنى بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد (ارجع اليهم) أى بالهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) أى لا طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) أى من أرض سبأ (أذلة وهم صاغرون) أى ان لم يأتونى

التى أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندى خير مما عندكم وذلك ان الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بان يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشئ ولا أفرح به الا بالايمان وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدوننى بمال وأنا أغنى منكم وبين ان تقوله بالفاء انى اذا قلته بالواو جعلت مخاطبى عالما بزيادتى فى الغنى وهو مع ذلك يمدنى بمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فانا أخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كأنى أقول له انكر عليك ما فعلت فانى غنى عنه وعليه ورد فما آتانى الله ووجه الاضراب انه لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدهد محملا كتابا آخر اليهم ائت بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدرون أن يقابلوهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (وهم صاغرون

الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا فى أسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هونبي وماله به طاقة ثم جعلت عرشها فى آخر سبعة أبيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه و بعثت الى سليمان انى قادمة اليك لانظر ما الذى تدعوا اليه وشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء

مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها أى من عند سليمان و بلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ماهذا بملك وماليه من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما الذى تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته فى آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى لا يخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه قال ماهذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) قال ابن عباس يعنى طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان فى احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره و يغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فاراد أن يأخذه قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوى وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أى مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له فى الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (وانى عليه) أى على حمله (لقوى أمين) أى على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذى كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحى ياقيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لااله الا انت ائتنى بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدى سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبى ابن النبى وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجىء بالعرش فى الوقت (فلما رآه) يعنى رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أى محمولا اليه من مأرب الى الشام

المعجزات على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه انها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يؤتى به فينكر و يغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) آتى به كما هو لا آخذ منه شيأ ولا أبدله فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف ابن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب وهو ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أو ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لااله الا أنت وقيل كان له علم بمجارى الغيوب الهاما (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك و يروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب

(قال هذا) أى حصول مرادى وهو حضور العرش فى مدة ارتداد الطرف (من فضل ربى) على واحسانه الى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليبلونى أأشكر) ليمتحننى أأشكر انعامه (أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب و يصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد و يرتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفى كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وفلما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله تعالى متقاص عما قريب اذا أنت لم ترج لله وقارا أى لم تشكر لله نعمته (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فان ربى غنى) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطى ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا وله المنة والفضل علينا (قال نكروا لها عرشها) غيروا أى اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (ننظر) بالجزم على الجواب (أتهتدى) الى معرفة عرشها أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قالت كأنه هو) فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل للامرين أو لما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كأنه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أى وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى و بصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة أى احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكنا مسلمين) منقادين لك مطيعين لامرك أو من كلام سليمان وملئه عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله و بقدرته و بصحة ماجاء من عنده قبل علمها أو أوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أى وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلام مبتدأ أى قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن

فى قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربى ليبلونى) يعنى التمكن من حصول المراد (أأشكر) أى نعمته على (أم أكفر) فلا أشكرها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أى يعود نفع شكره اليه وهو أن يستوجب به تمامَ النعمة ودوامَها لان الشكر قيدُ النعمةِ الموجودة وصيدُ النعمةِ المفقودة (ومن كفر فان ربى غنى) أى عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) أى بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا لها عرشها) يعنى غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو أن يزاد فيه أو ينقص منه وقيل انما يجعل أسفله أعلاه و يجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحمر (ننظر أتهتدى) الى معرفة عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ماقال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى اليه أسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها و ينظر الى قدميها ببناء الصرح (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانها تركته فى بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم من قبلها) أى من قبل الآية فى العرش (وكنا مسلمين) أى منقادين منطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أى بالله و بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها أى من قبل الآية فى العرش وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله و بقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين و يكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم فى الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله ۞ قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أى منعها عبادةُ الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها و بينه (انها كانت من قوم كافرين) أخبر الله انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادةَ الشمس (قيل لها ادخلى الصرح) وذلك أن سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش وأراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسألها كشفهما لما أخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهى شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره فى صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت فى الوصفاء والوصائف فلما جلس

سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) ساقيها بالهمزة مكى روى ان سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد

يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقالوا له ان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء وصرف بصره (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس مستو ومنه الامرد (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فازالته فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر الى ساقيها وهى أجنبية فلا يصح القول بمثله (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) فى النسب (صالحا) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون فى الوصل عاصم وحمزة و بصرى وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحدوه (فاذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة وهى العامل فى اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معى وهو مبين فى قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب الذى توعدون (قبل الحسنة) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم

لعلكم

على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلى الصرح (فلما رأته حسبته لجة) أى ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) لتخوض الماء الى سليمان فاذا هى أحسن النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال انه صرح ممرد) أى مملس (من قوارير) زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت فى نفسها ان سليمان يريد أن يغرقنى وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب انى ظلمت نفسى بذلك الظن واختلفوا فى أمر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر فى الكتاب ولا فى خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة انى لم يمسنى حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندرى فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهى سلحين و بينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها فى كل شهر مرة و يقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك اياه فقالت ومثلى يا نبى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ما أحل الله قالت فان كان ولا بد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذى تبع وملك بلقيس وبقى الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ۞ قوله عز وجل (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) أى وحدوه لا تشركوا به شيأ (فاذا هم فريقان) أى مؤمن وكافر (يختصمون) أى فى الدين كل فريق يقول الحق معنا (قال) يعنى صالحا للفريق المكذب (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) أى بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) أى العافية والرحمة (لولا) أى هلا (تستغفرون الله) أى بالتوبة اليه من الكفر

(لعلكم ترحمون) بالاجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (وبمن معك) من المؤمنين (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فانما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه وأصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيامن واذا مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بذنبكم (وكان فى المدينة) مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن أبى دؤاد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) يعنى ان شأنهم الافساد البحت لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا وأخبر فى محل الحال باضمار قد اى قالوا متقاسمين أو أمر أى أمر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيتنه) لنقتلنه بياتا أى ليلا (وأهله) ولده وتبعه (ثم

لنقولن لوليه) لولى دمه لتبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى (ماشهدنا) ماحضرنا (مهلك أهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثانى المصدر ومهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أى لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له أوما حضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناه (وانا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون)

مكرهم ما أضمروه من تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) بفتح الالف كوفى وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خبر مبتدا محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على أنه خبر كان أى فكان عاقبة مكرهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) ساقطة متهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء وهى حال عمل فيها مادل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان فى ذلك) فيما فعل بثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك اوامره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (ولوطا اذ قال) واذكر لوطا واذ بدل من لوطا أى واذكر وقت قول لوط (لقومه أتأتون الفاحشة) اى اتيان الذكور (وأنتم

لعلكم ترحمون) أى لا تعذبون فى الدنيا (قالوا اطيرنا) أى تشاءمنا (بك وبمن معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال طائركم عند الله) أى ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمى طائرا لانه لا شئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذى أتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أى عملكم عند الله سمى طائرا لسرعة صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون ﴿ قوله تعالى (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) يعنى من أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض) أى بالمعاصى (ولا يصلحون) أى لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعنى يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم (لنبيتنه) أى لنقتلنه ليلا (وأهله) يعنى قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) أى لولى دمه (ماشهدنا) أى ما حضرنا (مهلك أهله) أى ما ندرى من قتله ولا اهلاك أهله (وانا لصادقون) أى فى قولنا ماشاهدنا ذلك (ومكروا مكرا) أى غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وأهله (ومكرنا مكرا) أى جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) أى أهلكناهم أى التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة (وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) أى بظلمهم وكفرهم (ان فى ذلك لآية) أى لعبرة (لقوم يعلمون) أى قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف ﴿ قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة (وأنتم

تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها فى ناديهم معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا فى المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أئنكم) بهمزتين كوفى وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهو مضادة لله فى حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة فى قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذ الاصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فخبر كان جواب واسمه أن قالوا (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لانت الحليم الرشيد (فنجيناه) فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله الا امرأته قدرناها) بالتشديد سوى حماد وأبى بكر أى قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر ذى بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آلله خير أما يشركون) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله واحد تعالى ولا يؤثر عاقل شيأ على شئ الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة اذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ (وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فأنبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيد المعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالماء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد ان تأتى ذلك محال من غيره

تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يعنى من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أى الحجارة (فساء) أى فبئس (مطر المنذرين) قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آلله خير أما يشركون) فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لاغنائه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابدها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته ۞ فالنوع الاول قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آلاصنام خير أم الذى خلق السموات والارض ۞ ثم ذكر نعمه فقال (وأنزل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فأنبتنا به حدائق) أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من رآه (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) يعنى ما ينبغى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بان أغرسها وأسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء

(أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له (بل هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد و بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم (أمن جعل الارض) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وجعل خلالها) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والاول (أنهارا) و بين البحرين مثله (وجعل لها) للارض (رواسي) جبالا تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا أن يختلطا (أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله أو المذنب اذا استغفر أو المظلوم اذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (و يكشف السوء) الضر أو الجور (و يجعلكم خلفاء الارض) أي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط (أإله مع الله قليلا ماتذكرون) و بالياء أبو

واحد لايقدر عليه الا الله تعالى ولا يتأتى لاحد وأن تأتى ذلك لغيره محال (أإله مع الله) يعني هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعني ليس معه إله ولا شريك (هم قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل ۞ النوع الثاني قوله عز وجل (أمن جعل الارض قرارا) أي دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لاتميد باهلها (وجعل خلالها أنهارا) أي وسطها بانهار تطرد بالمياه (وجعل لها رواسي) أي جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) يعني العذب والملح (حاجزا) أي مانعا لايختلط أحدهما بالاخر (أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون) أي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه ۞ النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أي المكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعني اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (اذا دعاه) يعني فيكشف ضره (ويكشف السوء) أي الضر لانه لايقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لايعجز والقاهر الذي لايغلب ولا ينازع (و يجعلكم خلفاء الارض) أي سكانها وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض (أإله مع الله قليلا ماتذكرون) أي تتعظون ۞ النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) ۞ النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أي نطفا في الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) أي من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على قولكم ان مع الله إلها آخر (ان كنتم صادقين) ۞ قوله تعالى (قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم الغيب وحده و يعلم متى تقوم الساعة (ومايشعرون أيان يبعثون) يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لايعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادراك علمهم) أي بلغ ولحق علمهم (في الآخرة) هو ماجهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها

عمرو و بالتخفيف حمزة وعلي وحفص ومامزيدة أي تذكرون تذكرا قليلا (أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (في ظلمات البر والبحر) ليلا و بعلامات في الارض نهارا (ومن يرسل الرياح) الريح مكي وحمزة وعلي (بشرا) من البشارة وقدمر في الاعراف (بين يدي رحمته) قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق) ينشأ الخلق (ثم يعيده) وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة لانه أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار (ومن يرزقكم من السماء) أي المطر (والارض) أي ومن الارض النبات (أإله مع

الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) في دعواكم ان مع الله إلها آخر (قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو مالم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لايعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى على أن يكون ممن في السموات والارض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل و يجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل و يقولون مافي الدار أحد الا حمار وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم مافي غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (ومايشعرون) ومايعلمون (أيان) متى (يبعثون) ينشرون (بل ادارك) مكي وبصري و يزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل اداراك غيرهم استحكم وأصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلم بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها

والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشئ منه انه لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لابد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الطريق الى الذي علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام في اذا وانا في قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج

لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد (لقد وعدنا هذا) أي البعث (نحن وآباؤنا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنون نحن وآباؤنا على هذا ليدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمة المبعوثون (ان هذا الا أساطير الاولين) ما هذا الا أحاديثهم وأكاذيبهم (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لاجل أنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم معناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) أي افضال بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وان ربك ليعلم ما تكن) تخفي (صدورهم وما يعلنون) يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كننت الشئ وأكننته اذا سترته وأخفيته (وما من غائبة

ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا ۞ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مشركو مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أي من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ (ان هذا) أي ما هذا (الا أساطير الاولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا اعقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناه ردفكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر ۞ قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تخفي (وما يعلنون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر

ى السماء والارض الا فى كتاب مبين) سمى الشئ الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء فى العاقبة والعافية ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة فى أنها أسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كانه قال ومامن شئ شديد الغيبوبة الاوقد علمه الله وأحاط به وأثبته فى اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) أى يبين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أى من بنى اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم)

بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه) بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين (انك على الحق المبين) وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعى بان تولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا فى الروم وما أنت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أى ما يجدى أسماعك الا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجنا لهم دابة من الارض

وشئ غائب (فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) أى يبين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعنى القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) أى يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين فى الدين يوم القيامة (بحكمه) أى الحق (وهو العزيز) الممتنع الذى لا يرد له أمر (العليم) أى باحوالهم فلا يخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) أى فثق به (انك على الحق المبين) أى البين (انك لا تسمع الموتى) يعنى موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أى معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر قلت هو تأكيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذى لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) الا من يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أى مخلصون ﴿ قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم) يعنى اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك فى آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجنا لهم دابة من الارض) (م) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وروى البغوى باسناده عن الثعلبى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس يوما فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعنى المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فارفض الناس

تكلمهم) هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وفيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر

عنها وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروي عن ابن عباس أنه قال قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروي عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض وروي عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (تكلمهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر ۞ قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة) فوجا أي نحشر من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار (حتى اذا جاؤا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) أي ولم تعرفوها حق معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) أي حين لم تفكروا فيها وقيل معنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة وقيل ان أفواههم مختومة (ألم يروا انا جعلنا) أي انا خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أي مضيئا يبصر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان في ذلك لآيات

وفتح أن كوفي وسهل على حذف الجار أي تكلمهم بان وغيرهم كسر والآن الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعيض أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من الامم زمرة (ممن يكذب) من للتبيين (بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم في آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أكذبتم بآياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادئ الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب (ان في ذلك لآيات لقوم

لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه لم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذكر يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففزع من في السموات ومن في الارض) اختير فزع على يفزع للاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله (وكل أتوه) حمزة وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله آتيوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامي وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب انهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكأنه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل (الذي أتقن كل شيء) أي أحكم خلقه (انه خبير بما يفعلون) مكي وبصري غير سهل وأبو بكر وغير يحيى وغيرهم بالتاء أي انه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك بقوله

لقوم يؤمنون) أي يصدقون فيعتبرون ۞ قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الاجساد فتحيا بها الاجساد (ففزع) أي فصعق (من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى أن يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الا من شاء الله) روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة و يروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب و يروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فاذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية ۞ وقوله تعالى (وكل) أي وكل الذين أحيوا بعد الموت (أتوه) أي جاؤه (داخرين) أي صاغرين قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتسوى بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذي أتقن كل شيء) يعني انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب (انه خبير بما يفعلون) ۞ قوله تعالى

(من جاء بالحسنة) أى بقول لا اله الا الله عند الجمهور (فله خير منها) أى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى افضل و يكون منها فى موضع رفع صفة لخبر أى اسمها (وهم من فزع) كوفى أى من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل و بغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفى ومدنى و بكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) أمن يعدى بالجار و بنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) ألقيت (وجوههم فى النار) يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أى ألقوا على رؤسهم فى النار وعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أى ألقوا فى النار و يقال لهم تبكيتا عند الكب (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك والمعاصى (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذى حرمها) جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ اليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شئ) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وأن أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها (فمن اهتدى) باتباعه اياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الشركاء عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى (فانما يهتدى لنفسه) فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) اى ومن ضل ولم يتبعنى فلا على وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وان يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته فى الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات الله فى الدنيا (وما ربك بغافل عما

(من جاء بالحسنة) أى بكلمة الاخلاص وهى شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص فى العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فيها يصل الى الخير بمعنى انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما من يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لا شئ خير من لا اله الا الله وقيل جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف أعطاه الله بالواحدة عشر أضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من فى السموات ومن فى الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر اليه فأما الفزع الثانى فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه وأما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسيئة) يعنى بالشرك (فكبت وجوههم فى النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم فى النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أى تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون فى الدنيا من الشرك ۞ وقوله تعالى (انما أمرت) يعنى يقول الله تعالى لرسوله قل انما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعنى أمرت أن أخص بعبادتى وتوحيدى الله الذى هو رب هذه البلدة يعنى مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه (الذى حرمها) أى جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذى حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من الاصنام (وله كل شئ) أى خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) لله المطيعين له (وأن أتلو القرآن) أى أمرت أن أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أى نفع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) أى عن الايمان وأخطأ طريق الهدى (فقل انما أنا من المنذرين) أى من المخوفين وما على الا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) أى على جميع نعمه وقيل على ما وفقنى من القيام باداء الرسالة والانذار (سيريكم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبى وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته فى السموات والارض وفى أنفسكم (فتعرفونها) أى فتعرفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل

عما تعملون) بالتاء مدني وشامي وحفص و يعقوب خطاب لاهل مكة و بالياء غيرهم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لايجوزان عليه ﴿سورة القصص ثمانون وثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم تلك آيات الكتاب المبين) يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد و يقال ابنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خبره و بركته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد (نتلوا عليك) نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بامرنا ومفعول نتلو (من نبأ موسى وفرعون) أي نتلوا عليك بعض خبرهما (بالحق) حال أي محقين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للجمل كان قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا) طغا وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية (في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا)

فرقا يشيعونه على ما يريد و يطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه أو فرقا مختلفة يكرم طائفة و يهين أخرى فأكرم القبطي وأهان الاسرائيلي (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم) أي يترك البنات أحياء للخدمة وسبب ذبح الابناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فما معنى القتل و يستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و يذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أي ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لاطائل تحته صدق الكاهن أو كذب (ونريد أن نمن) نتفضل وهو دليل لنا في مسألة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وارادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم في الخير أو قادة الى الخير وولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الارض) أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لاتنبو بهم و يسلطهم و ينفذ أمرهم (ونري فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون ومابعده و بالياء ورفع فرعون ومابعده علي وحمزة أي يرون منهم ماحذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم و يري نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون او رفع على الاستئناف (منهم) من بني اسرائيل و يتعلق بنري دون يحذر ولان الصلة لاتتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقي من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالرؤيا أو باخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحي رسالة ولاتكون رسولا هي (أن ارضعيه) ان بمعنى أي أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فألقيه في اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافي)

عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة القصص﴾

وهي مكية الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لانبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأربعمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (طسم تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام (نتلوا عليك من نبأ) أي خبر (موسى وفرعون بالحق) أي بالصدق (لقوم يؤمنون) أي يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) أي تجبر وتكبر (في الارض) أي أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) أي فرقا في أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعني بني اسرائيل (يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم) سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين) أي بالقتل والتجبر في الارض (ونريد أن نمن) أي ننعم (على الذين استضعفوا في الارض) يعني بني اسرائيل (ونجعلهم أئمة) أي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) يعني أملاك فرعون وقومه بان نجعلهم في مساكنهم (ونمكن لهم في الارض) أي نوطن لهم أرض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي يخافون وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون ۞ قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى) هو وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوي بن يعقوب (أن أرضعيه) قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لايبكي ولايتحرك في حجرها (فاذا خفت عليه) أي الذبح (فألقيه في اليم) أي في البحر وأراد به نيل مصر (ولا تخافي) أي عليه

من الغرق وقيل الضيعة (ولاتحزني) أي على فراقه (انارادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام

﴿ذكر القصة في ذلك﴾ قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت قبالها فلما أن وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ماجئت اليك حين دعوتني الامرادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ماوجدت حب شئ مثل حبه فاحفظي ابنك فاني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فأين الصبي فقالت لاأدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أخبؤه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء مايقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها وكانت القوابل لاتتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولدفيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لاتبرأ الامن قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا

بفراقه (انارادوه اليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله من المرسلين وروى انه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ماجئتك الا لاقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ماوجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهي لاتدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى اليها بالقائه في اليم بعد ان ارضعته ثلاثة أشهر

(فالتقطه آل فرعون) أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أي ليصير الامر الى ذلك لأنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلده الوالدة وهي لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء (وحزنا) وحزنا على وحزة وهما لغتان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطين تخفيف خاطئين أبو جعفر أي كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك) روى انهم حين التقطوا

التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة ولي ولك صفتان لقرة (لا تقتلوه) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع

وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (او نتخذه ولدا) أو نتبناه فانه أهل لان يكون ولد الملوك (وهم لا يشعرون) حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وأنه ولدها قبل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وا ابناه وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة أي انها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بالهام الصبر

كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذ نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في البحر فزعا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) أي عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أي آثمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح الولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه ۞ قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليا من كل شيء الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي الذي أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد اليها أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بان فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح بانه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس

(لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف أي لابدته أو فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون
تبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح
لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين و بشرت
ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعي أثره لتعلمي خبره (فبصرت به) أي
أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهم لا يشعرون) انها أخته (وحرمنا عليه المراضع) تحريم منع
لا تحريم شرع أي منعناه أن يرضع ثديا غير ثدي أمه وكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع أو
جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره أو من قبل أن نرده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت
بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أي موسى (لكم وهم له ناصحون)
النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبيا وذلك قوله (فرددناه الى
أمه كي تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أي وليثبت علمها منف
مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وانما حل لها ما تأخذه من الدينار كل يوم كما قال السدي لانه مال حربي لا أنه أجرة
على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أي لتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق
فيرتابون و يشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة
كنعمة وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس اربعين سنة (آتيناه
حكما) نبوة (وعلما) فقها أو علما بصالح الدارين (وكذلك نجزي المحسنين) أي كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله
تعالى ايتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال
ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة)

كادت تقول وا ابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه اخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من
شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك
وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن يرده عليها (لولا أن ربطنا على قلبها)
أي بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله اياها (وقالت لاخته)
أي لمريم أخت موسى (قصيه) أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل
كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا ترى انها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها أخته وانها ترقبه (وحرمنا
عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان
همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي
قبل مجيء أم موسى وذلك لما رأته أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلب ذلك (فقالت) يعني أخت
موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه و يرضعونه وهي امرأة قتل ولدها فأحب
ما تدعى اليه أن تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) أي لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح
اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على
أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك
واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت أمي قالوا أولامك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد في السنة التي
لا يقتل فيها قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت اليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي
ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا قيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى
(فرددناه الى أمه كي تقر عينها) أي برد موسى اليها (ولا تحزن) أي ولئلا تحزن (ولتعلم ان وعد الله
حق) أي برده اليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها أن يرده اليها (ولما بلغ أشده) قيل الاشد
ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أي بلغ أربعين سنة قاله ابن
عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) أي عقلا وفهما في الدين فعلم وحكم موسى قبل
أن يبعث نبيا (وكذلك نجزي المحسنين) ۞ قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى والمدينة قيل هي

أى مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من الفاعل اى مختفيا وهو ما بين العشاء ين أو وقت القائلة يعنى انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل المدينة الا على تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل قيل هو السامرى وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره (وهذا من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غائبين على جهة الحكاية أى اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه (فاستغاثه) فاستنصره (الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن أو لانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل مالم يؤمر (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (انى ظلمت نفسى) بفعل صار قتلا (فاغفرلى) زلتى (فغفرله) زلته (انه هو الغفور) باقالة الزلل (الرحيم) بازالة الخجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا (للمجرمين) للكافرين وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطاف كأنه قال رب اعصمنى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون

منف من أعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب فى مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فادركه المقيل بأرض منف فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم فى دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن على أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتخاصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) أى من بنى اسرائيل (وهذا من عدوه) أى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطى يريد أن يأخذ الاسرائيلى يحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذى من شيعته) يعنى الاسرائيلى (على الذى من عدوه) يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعونى لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فوكزه موسى) أى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) أى قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل (قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) أى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا الله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وحزبه (قال رب انى ظلمت نفسى) أى بقتل القبطى من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله (فاغفرلى) أى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفرلى أى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون (فغفرله) أى فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أى بالمغفرة والستر الذى (أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فانا لا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على أن الاسرائيلى الذى أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم الثانى أى لم يقل فلم

(فاصبح فى المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطى أن يؤخذ به (يترقب) حال أى يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار أو مايقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف مايقوله بعض الناس انه لايسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذى) اذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ (استنصره) أى موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلى الذى خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطى آخر (قال له موسى) أى للاسرائيلى (انك لغوى مبين) أى ضال عن الرشد ظاهر الغى فقد قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك والرشد فى التدبير أن لايفعل فعلا يفضى الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما ان أراد) موسى (أن يبطش بالذى) بالقبطى الذى (هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلى لانه ليس على دينهما أولان القبط كانوا أعداء بنى اسرائيل (قال) الاسرائيلى لموسى عليه السلام وقد توهم انه أراد أخذه لا أخذ القبطى اذ قال له انك لغوى مبين (ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا) يعنى القبطى (بالامس ان تريد) ماتريد (الا أن تكون جبارا) أى قتالا بالغضب (فى الارض) أرض مصر (وماتريد أن تكون من المصلحين) فى كظم الغيظ وكان قتل القبطى بالامس قد شاع ولكن خفى قاتله فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطى ان قاتله موسى فاخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أو حال من رجل لانه وصف بقوله أقصى المدينة (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أى يأمر بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران و يأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة (انى لك من الناصحين) لك بيان وليس بصلة الناصحين لان الصلة لاتتقدم على الموصول كانه قال انى من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) التعرض له فى الطريق أو أن يلحقه من يقتله (قال رب نجنى من القوم الظالمين) أى قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها والتوجه الاقبال على الشئ ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون و بينها و بين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن بربه (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين

أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فاصبح فى المدينة) أى التى قتل فيها القبطى (خائفا يترقب) أى ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) أى يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبيناهم يطوفون لايجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى (قال له موسى) للاسرائيلى (انك لغوى مبين) أى ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة للاسرائيلى فمد يده ليبطش بالقبطى فظن الاسرائيلى انه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوى مبين (قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى حتى أفشى عليه الاسرائيلى ذلك فسمعه القبطى فأتى فرعون فاخبره بذلك (ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض) أى بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذى يقتل ويضرب ولا ينظر فى العواقب وقيل هو الذى يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى (وماتريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا أن موسى قتل القبطى أمر فرعون بقتله فخرجوا فى طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) أى يسرع فى مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى وأخبره وأنذره بما سمع (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك) أى يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) أى من المدينة (انى لك من الناصحين) أى فى الامر بالخروج (فخرج منها) يعنى موسى (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) أى ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لاملجأ الا اليه (قال رب نجنى من القوم الظالمين) أى الكافرين ۞ قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) أى قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع فى نفسه أن بينهم وبينه قرابة لان أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته فى بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعنى موسى (عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف

الطريق

الماورد) وصل (ماء مدين) ماءهم الذى يسقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من
س مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تطردان غنمهما عن الماء لان على
الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقى أو لئلا تختلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ما خطبكما) ماشأنكما وحقيقته
مخطوبكما أى ما مطلوبكما من الذيادة فسمى المخطوب خطبا (قالتا لا نسقى) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر شامى ويزيد وأبو
رو أى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقى الاغنام (كبير) فى حال أو فى السن لا يقدر على رعى الغنم أبدتا
يه عذرهما فى توليهما السقى بانفسهما (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلهما رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف روى انه نحى القوم عن رأس
بئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا
بالبركة وترك المفعول فى
يسقون وتذودان ولا
نسقى وفسقى لان الغرض
هو الفعل لا المفعول ألا ترى
انه انما رحمهما لانهما
كانتا على الذياد وهم على
السقى ولم يرحمهما لان
مذودهما غنم ومسقيهم
ابل مثلا وكذا فى لا نسقى
وفسقى فالمقصود هو السقى
لا المسقى ووجه مطابقة
جوابهما سؤاله انه سألهما
عن سبب الذود فقالتا
السبب فى ذلك انا امرأتان
مستورتان ضعيفتان
لا نقدر على مزاحمة الرجال
ونستحى من الاختلاط
بهم فلا بد لنا من تأخير
السقى الى ان يفرغوا وانما
رضى شعيب عليه السلام
لابنتيه بسقى الماشية لان
هذا الامر فى نفسه ليس
بمحظور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات الناس فى ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير
مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أى ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة فى الدنيا بخلاف
ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى اذ لا نقص فى الشكوى الى المولى (فقال رب انى لما) لاى شئ (أنزلت الى من
خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق
بظهره بطنه ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك
وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من
الانوار (فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) على استحياء فى موضع الحال أى مستحية

الطريق اليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين ❁ قوله عز وجل (ولما ورد ماء
مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أى على الماء (أمة) أى جماعة (من الناس
يسقون) أى مواشيهم (ووجد من دونهم) أى سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تذودان) أى
تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط
باغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن ان تند وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعنى
موسى للمرأتين (ما خطبكما) أى ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لا نسقى) أى أغنامنا (حتى
يُصدِر الرِّعاء) أى حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال فاذا اصدروا
سقينا نحن مواشينا من فضل ما بقى منهم فى الحوض (وأبونا شيخ كبير) أى لا يقدر أن يسقى مواشيه فلذلك
احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون ابن أخى شعيب
وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما
ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل
زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر
لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت
فذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) أى عدل الى أصل شجرة فجلس فى ظلها من شدة الحر وهو
جائع (فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس
ان موسى سال الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير
فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريعا قبل
الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال
لاحداهما اذهبى فادعيه الى قال الله تعالى (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) قيل هى الكبرى واسمها
صفوراء وقيل سفراء وقيل بل هى الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من
النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها
دعته لتكافئه وقيل لانها رسول أبيها (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى

وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا فأتته مستحية قد استترت بكم درعها ومافى
ماسقيت مصدر به أى جزاء سقيك روى انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا
رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى
لى الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أى قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص (قال) له (لا تخف
نجوت من القوم الظالمين) اذ لا سلطان لفرعون بأرضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشى مع الاجنبية مع ذلك
الاحتياط والتورع وأما أخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روى انها لما قالت
ليجزيك كره ذلك وانما اتبعها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألست جائعا قال
بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه
عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل (قالت احداهما يا أبت استأجره) اتخذه أجيرا لرعى الغنم روى ان

أكبرهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت الى أبيها أن يستأجره وهى التى تزوجها (ان خير من استأجرت القوى الامين) فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشى خلفه وورد الفعل بلفظ الماضى للدلالة على ان أمانته وقوته أمران متحققان وقولها ان خير من استأجرت القوى الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والامانة فى القائم بامرك
فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى فى دينه الامين فى جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى
مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله
عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر (قال انى أريد أن أنكحك) أزوجك (احدى ابنتى هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما
وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقدا لقال قد أنكحتك (على أن تأجرنى) تكون أجيرا لى من أجرته اذا كنت له
أجيرا (ثمانى حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامر الزوجية فلا مناقضة
بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرا) أى عمل عشر حجج (فمن عندك) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو تمامه من
عندك ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وحقيقة قولهم شققت
عليك وشق عليه الامر ان الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه (ستجدنى ان شاء الله من
الصالحين) فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما
وعد من الصالحين الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ذلك

ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت
الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق اذا
أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يافتى فتعش فقال موسى
أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا أهل
بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يافتى ولكنها عادتى وعادة
آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أى موسى (وقص عليه
القصص) أى أخبره بامره أجمع من خبر ولادته وقتله القبطى وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من
القوم الظالمين) يعنى من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت
احداهما يا أبت استأجره) أى اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الامين) يعنى ان
خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت أما قوته
فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لى امشى خلفى
حتى لا تصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (انى أريد أن أنكحك) أى أزوجك (احدى ابنتى
هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهى التى ذهبت فى
طلب موسى (على أن تأجرنى ثمانى حجج) أى تكون لى أجيرا ثمان سنين (فان أتممت عشرا فمن
عندك) أى فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق
عليك) أى ألزمك تمام العشر الا أن تتبرع (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) أى فى حسن الصحبة
والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه
ومعونته

(قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ماعاهده عليه شعيب والخبر (بيني و بينك) يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لايخرج كلا ناعنه لا أنا فيما شرطت على ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال (أيما الاجلين قضيت) أي أي أجل قضيت من الاجلين يعني العشرة أو الثمانية وأي نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لابهام أي وهي شرطية وجوابها (فلا عدوان على) أي لايعتدى على في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لاعدوان عليه في أيهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على مانقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى (٤٣١) بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد

ومعونته (قال) يعني موسى (ذلك بيني وبينك) أي ماشرطت على فلك وماشرطت من تزوج احداهما فلى والامر بيننا على ذلك (أيما الاجلين قضيتُ) أي أي الاجلين أتممتُ وفرغتُ منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على) أي لاظلم على بان أطالب باكثر منه (والله على مانقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى قلت لاأدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروى عن أبي ذر مرفوعا اذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما واذا سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت ياأبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوفاهما وقال وهب أنكحه الكبرى وروى شداد بن أوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ماهذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيألك لقائي ياشعيب لذلك أخدمتك كليمي موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لاياخذها غيرنبي الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ماولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا أراد ان يجازي موسى على حسن رعيه اكراماله وصلة لابنته فقال له اني قد وهبت لك من ولد أغنامي كل أبلق و بلقاء في هذه السنة فاوحى الله تعالى الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت حملها مابين أبلق و بلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام ۞ قوله عزوجل (فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه وفرغ منه (وسار باهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه في العود الى مصر فأذن له فسار باهله أي بزوجته قاصدا الى مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور نارا) وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أو جذوة من النار) أي قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه (لعلكم تصطلون) أي تستدفؤن (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله المباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك و بعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) أي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء ترف

والرقيب روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها أكثر الا ان فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملاى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التي مرت (وسار باهله) بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء لما تم أجل المحنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار باهله ليشتركوا معه في لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل في الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الايمن) بالنسبة الى موسى (في البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى بها (من الشجرة) العناب أو العوسج

(أن ياموسى) أن مسفرة أو مخففة من الثقيلة (انى أنا الله رب العالمين) قال جعفر أبصر نارا دلته على الانوار لانه رأى النور فى هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوار القدس وأحاطت به جلابيب الانس فخوطب بالطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ماسأل وأمن مما خاف والجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن فعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت فى رأسه نار أولم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب (وأن ألق عصاك) ونودى أن ألق عصاك فألقاها فقلبها الله ثعبانا (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع فقيل له (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (يدك فى جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) حجازى بفتحتين و بصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب مابك من فرق أى لاجل الحية عن ابن عباس رضى الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ماهو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه أو أراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لايضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر

(٤٣٢)

وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) قيل ان موسى لما رأى النار فى الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت أنه نداء الله قال انى سمعته بجميع أجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن ألق عصاك) أى فالقاها (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) هى الحية الصغيرة والمعنى انها فى سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة (ولى مدبرا) أى هاربا منها (ولم يعقب) أى ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا بلعتها حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودى عند ذلك (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) ﴿قوله عز وجل (اسلك يدك) أى ادخل يدك (فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أى برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) أى من الخوف والمعنى اذا هالك أمر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره فيذهب عنه ماناله من الخوف عند معاينة الحية ومامن خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون أى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف أن يضطرب قلبه و يرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك وأخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه (فذانك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) أى آيتان (من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفسا) يعنى القبطى (فأخاف أن يقتلون) أى به (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) أى بيانا وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمرة فى فيه (فارسله معى ردأ) أى عونا (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يلخص

الدلائل

لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك فى طه أدخل يمناك تحت يسراك (فذانك) مخففا مثنى ذاك ومشددا مكى وأبو عمرو مثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة (من ربك الى فرعون وملئه) أى ارسلناك الى فرعون وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون) به بغير ياء و بالياء يعقوب (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى) حفص (ردأ) حال أى عونا يقال ردأته أعنته و بلا همز مدنى (يصدقنى) عاصم وحمزة صفة أى ردأ مصدقا وغيرهما بالجزم جواب لارسله

ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لاان يقول له صدقت ألاترى الى قوله هو أفصح منى لسانا فارسله وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان (انى أخاف أن يكذبون) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قال سنشد عضدك باخيك) سنقويك به اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور (ونجعل لكما سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الاعداء (فلا يصلون اليكما بآياتنا) الباء تتعلق بيصلون أى لا يصلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام أو فنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه (أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكى وهو حسن لان الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده أى ما لكم من اله غيرى أو هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده (فاوقد لى يا هامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر واتخذه وانما لم يقل مكان طين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة اذ أمر هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دليل التعظم والتجبر (فاجعل لى صرحا) قصرا عاليا (لعلى أطلع) أى أصعد والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب أنه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له الها وانه أرسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال ما علمت لكم من اله غيرى ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت لموسى الها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلى أطلع الى اله موسى روى ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (فى الارض) أرض مصر (بغير الحق)

الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (انى أخاف أن يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك باخيك) أى سنقويك به وكان هرون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) أى حجة وبرهانا (فلا يصلون اليكما) أى بقتل ولا سوء (بآياتنا) قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) أى لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) أى واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أى مختلق (وما سمعنا بهذا) أى بالذى تدعونا اليه (فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) أى انه يعلم المحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) أى الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فاوقد لى يا هامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجرا وبنى به (فاجعل لى صرحا) أى قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق أحد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله (لعلى أطلع الى اله موسى) أى أنظر اليه وأقف على حاله (وانى لاظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) أى فى زعمه ان للارض والخلق الها غيرى وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم الينا

أي بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ بكفه فطرحهن في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) أي عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) ألزمناهم طردا وابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذي يبصر به الانسان يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدى) وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أي كلمناه وقربناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته (ولكنا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وتتلو في موضع نصب خبر ثان أو حال من الضمير في ثاويا (ولكنا كنا مرسلين) ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة

لك

لا يرجعون) أي للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فألقيناهم في البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعني حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أئمة) أي قادة ورؤساء (يدعون الى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) اي خزيا وبعدا وعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ۞ وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصائر للناس) أي ليبصروا ذلك فيهتدوا به (وهدى) أي من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) أي لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) أي بما فيه من المواعظ (وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت يا محمد (بجانب الغربي) أي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) أي عهدنا اليه وأحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أي الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك (ولكنا أنشأنا قرونا) أي خلقنا بعد موسى أمما (فتطاول عليهم العمر) أي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت ثاويا) أي مقيما (في أهل مدين) أي كمقام موسى وشعيب فيهم (تتلوا عليهم آياتنا) أي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) يعني أرسلناك رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (اذ نادينا) يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب أرني محمدا وأمته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديتُ أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء والارحام أي أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة

(ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدى نسبت الاعمال الى الايدى وان كانت من أعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها فى حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعنى أن ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجىء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤل معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أى القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أى كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أو لم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) فى موسى وهارون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوفى أى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر (وقالوا انا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل ان أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا فى موسى ومحمد ساحران تظاهرا أو فى التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فاخبروهم أنه فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل على (أتبعه) جواب فأتوا (ان

لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم قبل أن تسألونى وقد أجبتكم قبل أن تدعونى وقد غفرت لكم قبل أن تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أى رحمناك رحمة بارسالك والوحى اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعنى أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التى اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا فى أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن فى هذه الاحوال حاضرا بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كانه قال فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ۞ قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أى عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعنى من الكفر والمعاصى (فيقولوا ربنا لولا) أى هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعنى كفار مكة (لولا) أى هلا (أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) يعنى من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتى كتابا جملة واحدة كما أوتى موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) قيل ان اليهود أرسلوا الى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل يعنى اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعنى التوراة والقرآن يقوى كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعنى محمدا وموسى وقيل ان مشركى مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم أن نعته فى كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا انا بكل كافرون) يعنى بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعنى من التوراة والقرآن (أتبعه) يعنى الكتاب الذى تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله (ان

كنتم صادقين) في أنهما سحران (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أحد أضل ممن اتبع في الدين هواه و بغير هدى حال أي مخذولا مخلى بينه وبين هواه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت في مؤمني أهل الكتاب (واذا يتلى القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله آمنا لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد و بعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الاذى (ومما رزقناهم ينفقون) يزكون (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منا لكم بان تقابل لغوكم بمثله (لا نبتغي الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (انك لا تهدي من أحببت) لا تقدر أن تدخل في الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك ان تقول لا اله الا الله

كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) يعني ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ﴿ قوله عز وجل (ولقد وصلنا لهم القول) قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ﴿ ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا يتلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) أي على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) أي في الطاعة (واذا سمعوا اللغو) أي القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل مكة ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم (لا نبتغي الجاهلين) يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه وقيل لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال ﴿ قوله تعالى (انك لا تهدي من أحببت) أي هدايته وقيل أحببته لقرابته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك أن الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان (وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن قدر له الهدى

أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي أنا قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا) قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجبى اليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (يجبى اليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي تجلب وتجمع (ثمرات كل شيء) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء (رزقا من لدنا) هو مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل أي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلا) من السكنى أي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أمها) وبكسر الهمزة حمزة وعلي أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعني محمدا عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أي القرآن (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي وما أهلكناهم للانتقام الا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لانه دائم

(م) عن أبي هريرة قال انك لا تهدي من أحببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عمه أبا طالب على الاسلام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يعني مكة نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا الحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة (يجبى اليه) أي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ان أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك ۞ قوله عز وجل (وكم أهلكنا من قرية) أي من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) يعني لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعني انه يؤدي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي مشركون ۞ قوله عز وجل (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) أي تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة

(أفلا تعقلون) ان الباقي خير من الفاني وخير أبو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أي الجنة فلا شيء أحسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقيه) أي رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل لعنه الله أو في علي وحمزة وأبي جهل أو في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعد هذا التفاوت الجلي يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادي الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائي) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين (٤٣٨) أغوينا) أي دعوناهم الى الشرك وسولناه لهم الغي صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر (أغويناهم) والكاف في (كما غوينا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا أنفسكم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر بخلق (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أي لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه الشماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون في العجز عن الجواب (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بربه وبما جاء من عنده (وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أي فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على الايمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه أو أبا مسعود (وربك

بالقياس الى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أي ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعني الجنة (فهو لاقيه) أي مصيبه وصائر اليه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) أي وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ۞ قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا أنهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع (أغويناهم كما غوينا) أي أضللناهم كما ضللنا (تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعني للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) معناه لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أي يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أي ما كان جوابكم ان أرسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) أي خفيت واشتبهت عليهم (الانباء) يعني الاخبار والاعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) أي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب ۞ وقوله تعالى (وربك

يخلق مايشاء) وفيه دلالة خلق الافعال و يوقف على (و يختار) أى وربك يخلق مايشاء وربك يختار مايشاء (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم ان يختاروا على الله شيأ ماوله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فى ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله و يختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة فى أفعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى و يختار الذى لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل مانفى اختيار الخلق تقرير لاختيار الحق ومن قال ومعناه و يختار للعباد ماهو خير لهم واصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير و بمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى الله برىء من اشراكهم وهو منزه عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ماتكن) تضمر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لاقبلة الاهى (له الحمد فى الاولى) الدنيا (والآخرة) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور و بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أريتم محذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) هو مفعول ثان لجعل أى دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلاثة سرد و واحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل (الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك مالايدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ماتبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أى لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله فى النهار فيكون من باب اللف والنشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما و يكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (و يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن أن لاشئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لاشئ أدخل فى مرضاته من توحيده (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعنى نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) التوحيد (وضل

يخلق مايشاء و يختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفى أخبر الله تعالى انه لايبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بمايشاء لااعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه و يختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ۞ ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ماتكن) أى تخفى (صدورهم ومايعلنون) أى يظهرون (وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة) أى يحمده أولياؤه فى الدنيا و يحمدونه فى الآخرة فى الجنة (وله الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة (واليه ترجعون) ۞ قوله عز وجل (قل) أى قل يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) أى أخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى دائما (الى يوم القيامة) لانهار فيه (من اله غير الله يأتيكم بضياء) أى بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أى سماع فهم وقبول (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) أى لاليل فيه (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أى ما أنتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء فى حال الدنيا وفى حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل مايحتاج اليه ولايتم له ذلك لولا ضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لايتم الا بالراحة والسكون بالليل فلابد منهما فاما فى الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أى يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى بالنهار (ولعلكم تشكرون) أى نعم الله فيهما (و يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ (ونزعنا) أى أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعنى رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) أى للامم المكذبة لرسلها (هاتوا برهانكم) أى حجتكم بان معى شريكا (فعلموا أن الحق لله) أى التوحيد لله (وضل

عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع (ما كانوا يفترون) من ألوهية غير الله والشفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف (كان من قوم موسى) كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى اسرائيل فظلمهم أو من البغى الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم فى الثياب شبرا (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) ما بمعنى الذى فى موضع نصب بآتينا وان واسمها وخبرها صلة الذى ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به أو مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب أنها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتنقل العصبة

فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) أى المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه تاركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولا تنس

عنهم ما كانوا يفترون) أى يختلقون فى الدنيا من الكذب على الله ﴿ قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد فى طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه فى الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعنى خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) أى لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح (ان الله لا يحب الفرحين) أى الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه فى رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك أن تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) أى أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولا تبغ) أى ولا تطلب (الفساد فى الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعنى قارون (انما أوتيته على علم عندى) أى على فضل وخير علمه

نصيبك من الدنيا) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك حظ المؤمن منها (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) بالظلم والبغى (ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندى) أى على استحقاق لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل ما نظر أحد الى نفسه فأفلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الافعال والاقوال والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا

الله

(أولم يعلم) قارون (أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه في التوراة كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو نفي لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندي قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب او يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلا يسئلون أو لا يسئلون لتعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ أو لا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (فخرج على قومه في زينته) في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزينا (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون) قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له (٤٤١) دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاه الخبط (انه لذو حظ عظيم) الحظ الجد وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطي قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التبيان في اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي ألزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها) أي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (الا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (فخسفنا به وبداره الارض) كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار أو طستا من ذهب أو حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى

الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب ۞ قال الله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي للاموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم ۞ قوله عز وجل (فخرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) أي من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا ۞ قوله تعالى (فخسفنا به وبداره الارض)

﴿ذكر قصة قارون﴾

قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونني به اذا نظروا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا نأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه ياموسى ان الصغير من أمري ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما فعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهي رآسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقربانهم الى هرون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى الى موسى فقال له ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شئ من ذلك وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا فقال أما أنا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هرون قد اهتزلها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا فقال له قارون والله ماهذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينارا وعلى كل ألف درهم عنها درهما وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم أن تجيؤا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يابني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله اليه اني أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يابني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى ياأرض خذيهم فأخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فأخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال ياأرض

استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتي لو استرحمني مرة لرحمته فقال بعض بني اسرائيل انما أهلكه ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه

(فما كان له من فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من
الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزلته من الدنيا (بالامس)
ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر)
وي منفصلة عن كان عند البصريين قال سيبويه وي كلمة تنبه على الخطا وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعني ان القوم قد تنبهوا على
خطئهم في تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا تمنيناه بالامس (لخسف بنا) وبفتحتين
حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (وي كأنه لا يفلح الكافرون) أي تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح

الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله (نجعلها) خبر تلك والدار نعتها (للذين لا يريدون علوا في الارض) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال
بعضهم حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض (والعاقبة) المحمودة
(للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر في النمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا
السيآت موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا
يعملون) الا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (ان الذي
فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر
فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لاهلها
ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آبائه

خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه في ذلك يتضرعون الى
موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت
اليه لشدة غضبه ثم قال ياأرض خذيهم فاطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك
قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لاغثته وفي بعض الآثار لا أجعل الارض
بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى
يوم القيامة وأصبح بنو اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله
فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) أي جماعة
(ينصرونه من دون الله) أي يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من الممتنعين مما نزل به من الخسف
(وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أي صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الاموال والزينة يندمون على
ذلك التمني (يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله واحسانه
وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم أن الله وروي ان وي مفصولة من كأن والمعنى ان القوم ندموا فقالوا متندمين
على ما سلف منهم وي وكأن معناها أظن وأقدر ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن
عباس أي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا أن من الله علينا) أي بالايمان (لخسف بنا ويكأنه
لا يفلح الكافرون) ۞ قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي
استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان
وعن علي أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة (ولا فسادا) قيل الذين يدعون الى غير عبادة
الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة لمن
اتقى عقاب الله باداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ۞ قوله تعالى (ان الذي فرض
عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك الى معاد) قال ابن
عباس الى مكة أخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع
الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام
وقال له أتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه

ولما وعد رسوله الرد الى معاد قال (قل) للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) يعني نفسه وماله من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعني المشركين ومايستحقونه من العذاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضمر أي يعلم (وما كنت ترجوا أن يلقى) يوحى (اليك الكتاب) القرآن (الا رحمة من ربك) هو محمول على المعنى أي وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك أو الا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي اليك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أي لا يمنعنك هؤلاء عن العمل بآيات الله أي القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) الآيات أي بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهي والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (لا اله الا هو) صفة لالها آخر وفيه من الفساد مافيه (٤٤٤) (كل شئ هالك الا وجهه) أي الا اياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء في خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم

(سورة العنكبوت)

مكية وهي تسع وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطري الجملة فاتبعهم فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقول عنترة * فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وروي انها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين أو في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله

الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لفي ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبين) يعني المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين ﴿قوله عز وجل (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أي يوحى اليك القرآن (الا رحمة من ربك) فاعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أي معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكر نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ماهم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعني القرآن (بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الا أنه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهي قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا اله الا هو كل شئ هالك) أي فان (الا وجهه) أي الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الا ما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة العنكبوت﴾

وهي مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة
وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الم أحسب الناس) أي أظن الناس (أن يتركوا) أي بغير اختبار وابتلاء (أن) أي بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة

(ولقد فتنا) اختبرنا وهو موصول بأحسب أو بلا يفتنون (الذين من قبلهم) بأنواع الفتن فمنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل ان يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد والمعنى ولنميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين (أم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك والمعاصي (ان يسبقونا) أي يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد مفعولين كقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا (٤٤٥) الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين (ساء ما يحكمون) ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف أي بئس حكما يحكمونه حكمهم (من كان يرجوا لقاء الله) أي يؤمل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما (فان أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لآت) لا محالة فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يفعلونه فلا يفوته شيء وقال الزجاج من للشرط ويرتفع بالابتداء وجواب الشرط فان أجل الله لآت كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) أي الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم في الاسلام (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا أو بايلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أولهما أو افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما

فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الانبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلي بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع ۞ قوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (ان يسبقونا) أي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله (فان أجل الله لآت) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم) أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو ۞ قوله تعالى (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه) أي له ثوابه وهذا الحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغني عن العالمين) أي عن أعمالهم وعباداتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلأنه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو أعطى جميع ما خلقه لعبد من عبيده لا شيء عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلأن الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو أهلكهم بعذابه فلا شيء عليه لاستغنائه عنهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) أي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا ۞ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه أن يفعل بهما ما يحسن

معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسيران وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول لابد من اضمار القول معناه وقلنا (وان جاهداك) أيها الانسان (لتشرك بي ماليس لك به علم) أي لاعلم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيأ لايصح ان يكون الها (فلا تطعهما) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فاجازيكم حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين روى ان سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه ان لاتأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في

الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ والخبر (لندخلنهم في الصالحين) في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما وألحقني بالصالحين أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله) أي اذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم) أي واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فاعطونا نصيبنا من المغنم (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي هو أعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) أي حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وأرادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أي ان تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لانبعث نحن ولا أنتم فان كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أي أثقال أنفسهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم

التي

نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بأبيه قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ان شئت وان شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لايطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما) وفي الحديث لاطاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعد بالمصير اليه فقال تعالى (الى مرجعكم فانبئكم) أي فاخبركم (بما كنتم تعملون) أي بصالح أعمالكم وسيآتها أي فاجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة ۞ قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي) يعني أصابه بلاء من الناس افتتن (في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاكذبهم الله تعالى فقال (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي من الايمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) أي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) أي بترك الاسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وباقي السورة مكي (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان (للذين آمنوا) أي من قريش (اتبعوا سبيلنا) يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله (ولنحمل خطاياكم) أي أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل بقوله (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقالهم) أي أوزار أعمالهم

(وأثقالا مع أثقالهم) أى أثقالا أخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى أثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يختلقون من الاكاذيب والاباطيل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لانه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولان القصة سيقت لما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام فكان ذكر الالف أفخم وأوصل الى الغرض وجىء بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد فى كلام واحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة (فأخذهم الطوفان) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما (وهم ظالمون) أنفسهم بالكفر (فأنجيناه) أى نوحا (وأصحاب السفينة) وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم (وجعلناها) أى السفينة أو الحادثة أو القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (وابراهيم) نصب باضمار اذكر بدل عنه (اذ قال) بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على

التى عملوها بانفسهم (وأثقالا مع أثقالهم) أى أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فان قلت قد قال أولا وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أى سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم بأعمالهم وافترائهم ۞ قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث) أى أقام (فيهم) يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده (ألف سنة الا خمسين عاما) فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان احداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا أو الا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هى لبيان أن نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعقد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أعلم أن الانبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحا لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم فصبر فى الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقى فى قومه يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفا وخمسين عاما وقيل فى عمره غير ذلك ۞ قوله تعالى (فأخذهم الطوفان) أى فاغرقهم (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فأنجيناه وأصحاب السفينة) يعنى من الغرق (وجعلناها) يعنى السفينة (آية) أى عبرة (للعالمين) قيل انها بقيت على الجودى مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة ۞ قوله تعالى (وابراهيم) أى وأرسلنا ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أى أطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أى ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) أى تقولون كذبا وقيل تصنعون أصناما بايديكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) أى لا يقدرون أن يرزقوكم (فابتغوا) أى فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه القادر على ذلك (واعبدوه) أى وحدوه (واشكروا له) لانه المنعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) أى فى

نوح أى وأرسلنا ابراهيم أو ظرف لارسلنا يعنى أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعى وأبو حنيفة رضى الله عنهما وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم) من الكفر (ان كنتم تعلمون) ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أصناما (وتخلقون) وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة والسلمى رضى الله عنهما وتخلقون من خلق بمعنى التكثير فى خلق (افكا) وقرئ أفكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يستطيعون ان يرزقوكم شيأ من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه هو الرازق وحده لا يرزق غيره (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب

(وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى وان تكذبونى فلا تضروننى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالامم قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت فالجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه ان ايراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له بان أباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى نحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يامعشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه (أولم يروا) (٤٤٨) وبالتاء كوفى غير حفص (كيف يبدئ الله الخلق) أى قد رأوا ذلك وعلموه وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (ان ذلك) أى الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) يامحمد وان كان من كلام ابراهيم فتقديره وأوحينا اليه أن قل (سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأ وأبدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أى البعث وبالمد حيث كان مكى وأبو عمرو وهذا دليل على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء أى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع فى الاعادة فلما قررهم فى الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب أن لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (ان الله على كل شئ قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة السنة (واليه تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (فى الارض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولى) يتولى أموركم (ولا نصير) ولا ناصر يمنعكم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته (ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى) جنتى (وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه

الرؤساء

الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) ﴿قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة فى قصة ابراهيم وهى فى تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) أى يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) أى فى الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) أى الخلق الاول والخلق الثانى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) أى انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أى ثم ان الله الذى خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شئ قدير) أى من البداءة والاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (ويرحم من يشاء) تفضلا (واليه تقلبون) أى تردون (وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) قيل معناه ولا من فى السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه أهل الارض فى الارض ولا أهل السماء فى السماء وقيل معنى قوله ولا فى السماء أى لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولى) أى يمنعكم منى (ولا نصير) أى ينصركم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) يعنى بالقرآن (ولقائه) أى البعث (أولئك يئسوا من رحمتى) يعنى الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات فى تذكير أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال

(فأنجاه الله من النار) حين قذفوه فيها (ان فى ذلك) فيما فعلوا به وفعلنا (لآيات لقوم يؤمنون) روى انه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم ألقى ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا) حمزة وحفص مودة بينكم مدنى وشامى وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكى وبصرى وعلى مودة بينكم الشمنى والبرجمى النصب على وجهين على التعليل أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه وما كافة أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أى مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان ان يكون خبرا لان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أى هى مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) تتبرأ الاصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أى يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) أى مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (ومالكم من ناصرين) ثمة (فآمن له) لابراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخى ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهى من برية الشام ومن ثم قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم (الى ربى) الى حيث أمرنى ربى بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من

أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما هو خير (ووهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد ولد ولم يذكر اسمعيل لشهرته (وجعلنا فى ذريته النبوة) أى فى ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناه) أى ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (فى الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى من أهل الجنة عن الحسن (ولوطا) أى واذكر لوطا (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح وهى اللواطة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة (وتأتون فى ناديكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه أهله (المنكر) أى المضارطة والمجامعة والسباب والفحش فى المزاح والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس

الرؤساء للاتباع اقتلوه أو حرقوه (فأنجاه الله من النار) أى بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعنى ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا) أى ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها فى الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) يعنى العابدين والمعبودين جميعا (ومالكم من ناصرين) أى مانعين من عذابه (فآمن له لوط) أى صدقه برسالته لما رأى معجزاته وهو أول من صدق ابراهيم وأما فى أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) الى حيث أمرنى ربى فهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشأم ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أى الذى لا يغلب والذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما يصلحنى ۞ قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناه أجره فى الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح ۞ قوله عز وجل (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أئنكم لتأتون الرجال) يعنى انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون السبيل) وذلك بانهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس المر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون فى ناديكم المنكر) أى مجالسكم والنادى مجلس القوم ومتحدثهم عن أم هانئ بنت أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله

(فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب انكم أئنكم شامي وحفص وهو الموجود في الامام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص آينكم آينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأينكم أينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) اضافة مهلكو لم تفد تعريفا لانها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم وهذه القرية تشعر بانها قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان أهلها كانوا ظالمين) أي الظلم قد استمر منهم في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) أي أتهلكونهم وفيهم من هو بريء من الظلم وهو لوط (قالوا) أي الملائكة (نحن أعلم منك (بمن فيها لننجينه) لننجينه يعقوب وكوفي غير عاصم (وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) ساءه مجيئهم وان صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يتناولوهم بالفجور سيء بهم مدني وشامي وعلي (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك) وبالتخفيف مكي وكوفي غير حفص (وأهلك) الكاف في محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أي وننجي أهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون) منزلون شامي (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه الارض (لقوم) يتعلق بتركنا أو بينة (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة أو خافوه (ولا تعثوا في الارض مفسدين) قاصدين الفساد (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها (فأصبحوا

وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يخذفون أهل الارض ويسخرون منهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الخذف هو رمي الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه قال أنا أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازرار والصفير والخذف والرمي بالجلاهق والوطية (فما كان جواب قومه) أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح (الا أن قالوا) يعني استهزاء (ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال رب انصرني على القوم المفسدين) أي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم ۞ قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) يعني من الله باسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) يعني قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين قال) يعني ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله (ان فيها لوطا قالوا) أي قالت الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) أي من الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) أي ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه أنه جاءه ما ساءه (وضاق بهم ذرعا) أي عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك (وقالوا لا تخف) أي من قومك (ولا تحزن) علينا (انا منجوك وأهلك) أي انا مهلكوهم ومنجوك وأهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) أي عذابا (من السماء) قيل هو الخسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) أي من قريات لوط (آية بينة) أي عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعني أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض ۞ قوله تعالى (والى مدين) أي وأرسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثاني وأرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أي افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة

(فاصبحوا فى دارهم) فى بلدهم وأرضهم (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه فى معنى الهلاك (وثمود) حمزة وحفص وسهل و يعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعنى ماوصفه من اهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصدهم عن السبيل) السبيل الذى أمروا بسلوكه هو الايمان بالله ورسله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أى وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فبه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هى ريح عاصف فيها حصباء وهى لقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هى لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعنى قارون (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى آلهة يعنى مثل من أشرك بالله الاوثان فى الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أى كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقى ماتقى البيوت كذلك الاوثان لا تنفعهم فى الدنيا والآخرة جعل ... اتخذت مالا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أوهن من بيتها عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما ان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج فى جماعة تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (ان الله يعلم مايدعون) بالياء بصرى وعاصم و بالتاء غيرهم ساغير الاعشى والبرجمى وما بمعنى الذى وهو مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمر أى يدعونه يعنى يعبدونه (من دونه من شئ) من فى من شئ للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذى لا شريك له (الحكيم) فى ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئ الحكيم الذى لا يفعل كل شئ الا بحكمة وتدبير (وتلك الامثال) الامثال نعت والخبر (نضربها) نبينها (للناس) كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت و يضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) به و باسمائه وصفاته أى لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الا هم

(فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى باركين على الركب ميتين (وعاداً وثمودَ) أى وأهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) أى من منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أى عبادتهم لغير الله (فصدهم عن السبيل) أى عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أى عقلاء ذوى بصائر وقيل كانوا معجبين فى دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارونَ وفرعونَ وهامانَ) أى أهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أى بالدلالات الواضحات (فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) أى فائتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهى الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعنى قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أى بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بالاشراك ۞ قوله تعالى (مثَل الذين اتخذوا من دون الله أولياءَ) يعنى الاصنام يرجون نصرها ونفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان بيتها فى غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حراو لا بردا ...
لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل أن المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما ان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع (وان أوهن البيوت لبيتُ العنكبوتِ) أشار الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أوهن الاديان (لو كانوا يعلمون) أى ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعنى ان الذى يدعون من دونه ليس بشئ (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شئ و يشتغل بعبادة من ليس بشئ أصلا (وتلك الامثال) أى الاشباه يعنى أمثال القرآن التى شبه بها أحوال الكفار من هذه الامة باحوال كفار الامم السابقة (نضربها) أى نبينها (للناس) أى لكفار مكة (وما يعقلها الا العالمون) يعنى

لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على فضل العلم على العقل (خلق الله السموات والارض بالحق) أي محقا يعني لم يخلقهما باطلا بل لحكمة وهي أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى الى قوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) وخصصهم بالذكر لانتفاعهم بها (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه (وأقم الصلوة) أي دم على اقامة الصلاة (ان الصلاة تنهى عن

الفحشاء) الفعلة القبيحة كالزنا مثلا (والمنكر) هو ما ينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى أن ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي أنه قيل يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي أن فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الاركبه فوصف له فقال ان [illegible] [illegible] فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف ان الصلاة تنهى اذا كنت فيها فانت في معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه (ولذكر الله أكبر) أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وانما قال

ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال والصلاة أكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله بتشديد اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لان ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني ولان ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام الا انبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله قال ذكر الله وسئل أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله أو ذكر الله أكبر من أن تحويه أفهامكم وعقولكم أو ذكر الله أكبر من ان تبقى معه معصية أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره

يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل وروى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أي للحق واظهار الحق (ان في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ۞ وقوله تعالى (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلوة) فان قلت لم أمر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهو الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيأ لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك أمر بهما (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) أي ما قبح من الاعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيأ الاركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم [illegible] ان تاب [illegible] ومعنى الآية انه مادام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية أنه قيل يارسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لابد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها (ولذكر الله أكبر) أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قال يارسول الله والغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل

(والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن للمثوبة وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا منهم) فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة ومعناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجدالهم بالسيف والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة وقوله (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم

والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) من جنس المجادلة بالاحسن وقال عليه السلام ما حدثتكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية أو كما أنزلنا الكتب الى من قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام ومن معه (ومن هؤلاء) أي من أهل مكة (من يؤمن به) وأراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها (الا الكافرون) الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه ككعب بن الاشرف واضرابه (وما كنت تتلو من قبله) من قبل القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك) خص اليمين لان الكتابة غالبا تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا (اذا) لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجد نعته في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي القرآن (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف

بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله أكبر ذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله أكبر أي لن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) أي لا يخفى عليه شيء من أمركم ﴿ قوله عز وجل (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تخاصموهم (الا بالتي هي أحسن) أي القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وأراد بهم من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فالجئوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم بشيء مما في كتبهم (آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية ﴿ قوله عز وجل (وكذلك) أي كما أنزلنا اليهم الكتاب (أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون) وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلو) يا محمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك) أي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذا لارتاب المبطلون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه انهم اذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين

(وما يجحد بآياتنا) الواضحة (الا الظالمون) أى المتوغلون فى الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مكى وكوفى غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل ناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولست أملك شيأ منها (وانما أنا نذير مبين) كلفت الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لى ان أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أى أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون فى مكان دون مكان (ان فى ذلك) أى فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعنتين (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أى شاهدا بصدق ما أدعيه من الرسالة وانزال القرآن على وتكذيبكم (٤٥٤) (يعلم ما فى السموات والارض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم على هدى أو فى ضلال مبين وروى ان كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية (ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم بآجالهم والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيره الى ذلك الأجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم) العذاب عاجلا أو ليأتينهم العذاب فى الاجل المسمّى (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) فى بوقت مجيئه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ولا وقف على بالكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم (ويقول) بالياء كوفى ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاء أعمالكم (ياعبادى) وبسكون الياء بصرى وكوفى غير عاصم (الذين آمنوا ان أرضى واسعة) وبفتح الياء شامى يعنى ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت فى ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للدين من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصى والبدع فى أرض فاخرجوا منها الى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة (فاياى فاعبدون)

أتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعته وصفته فى كتبهم (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) يعنى اليهود (وقالوا) يعنى كفار مكة (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أى كما أنزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) أى هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها (وانما أنا نذير مبين) أى انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدى (أولم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) يعنى القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أى تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لى انى رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما فى السموات والارض) أى هو المطلع على أمرى وأمركم ويعلم حقى وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثانى لبيان قبح الاول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أى المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان * قوله عز وجل (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت فى النضر بن الحرث حيث قال فأمطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك انى لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعنى العذاب وقيل الاجل (بغتة وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أى يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاء ما كنتم تعملون ۞ قوله تعالى (ياعبادِيَ الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) قيل نزلت فى ضعفاء مسلمى أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم

و بالياء يعقوب وتقديره فاياى فاعبدوا فاعبدونى وجىء بالفاء فى فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها (ثم الينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) لنزلنهم من الجنة علالى لنثوينهم كوفى غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا والوجه فى تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم أو لنبوئنهم أو حذف الجار وايصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) و يوقف على العاملين على ان (الذين صبروا) خبر مبتدا محذوف أى هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى والوصل أجود ليكون الذين نعتا للعاملين (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت (وكاين من دابة) أى وكم من دابة وكائن بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لاتحمل رزقها) لاتطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها واياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لولم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التى لاتحمل وعن الحسن لاتحمل رزقها لاتدخره انما تصبح فيرزقها الله وقيل لايدخر شئ من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفارة والنملة (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والعيلة (العليم) بما فى ضمائركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) أى ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن الذى سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فانى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله

فى ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أى جاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عملوا فى الارض بالمعاصى فاهربوا منها فان أرضى واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فان أرضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان فى بلد يعمل فيه بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى ان أرضى واسعة أى رزقى لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أى كل أحد ميت خوفهم بالموت ليهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) فنجزيكم باعمالكم ۞ قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) أى علالى جمع غرفة وهى العلية (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أى لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتمدون على الله فى جميع أمورهم ۞ قوله عزوجل (وكاين من دابة لاتحمل رزقها) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من دابة لاتحمل رزقها أى لاترفع رزقها معها لضعفها ولاتدخر شيأ لغد مثل البهائم والطير (الله يرزقها واياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أى لاقوالكم (العليم) بما فى قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب أول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيأ قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس ليس من شئ يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه ألا وان الروح الامين نفث فى روعى الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أى الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء لرزق ان تطلبوه بمعاصى الله عزوجل فانه لايدرك ما عند الله الا بطاعته قوله ❋ عزوجل (ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثانى اشارة الى اتحاد الصفات وهى الحركة فى الشمس والقمر (ليقولن الله فانى يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف

(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له) أى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله) أى هم مقرون بذلك (قل الحمد لله) على انزاله الماء لاحياء الارض أو على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله وفى الشرك عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما يريهم من الآيات ونقيم عليهم من الدلالات أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) أى وما هى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضى (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى الحياة أى ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهى الحياة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة و يوقف على الحيوان لان التقدير (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان الباقى ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فاذا ركبوا فى الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر (فلما نجاهم الى البر) وأمنوا (اذا هم يشركون) عادوا الى حال الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة قيل هى لام كى وكذا فى (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر أى لكى يكفروا ولكى يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذا أنجاهم و يجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التلذذ والتمتع وعلى هذا لا وقف على يشركون ومن جعله لام الامر متثبتا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلى وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه فى أصول الفقه يقف عليه (فسوف يعلمون) سوء تدبيرهم عند تدميرهم (أولم يروا) أى أهل مكة (انا جعلنا) بلدهم (حرما) ممنوعا مصونا (آمنا) يامن داخله (ويتخطف الناس من حولهم) يستلبون قتلا وسبيا (أفبالباطل يؤمنون) أى بالشيطان والاصنام (وبنعمة الله يكفرون) أى بمحمد عليه السلام والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم أنه خالق السموات والارض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر الخالق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه و بقاء الخالق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (و يقدر له) أى يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) أى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أى على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم (بل أكثرهم لا يعقلون) أى انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء ۞ قوله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث وفى هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى الحياة الدائمة الخالدة التى لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا و بقاء الآخرة لما آثروا الفانى على الباقى ۞ قوله عز وجل (فاذا ركبوا فى الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) أى تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) أى عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها فى البحر وقالوا يا رب يا رب (ليكفروا بما آتيناهم) أى ليجحدوا نعمة الله فى اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لا فائدة لهم فى الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به فى العاجلة ولا نصيب لهم فى الآخرة (فسوف يعلمون) يعنى عاقبة أمرهم ففيه تهديد ووعيد ۞ قوله عز وجل (أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون (أفبالباطل) يعنى الشيطان والاصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى فزعم أن له شريكا فانه منزه عن الشركاء

(أوكذَّبَ بالحق) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس فى جهنمَ مثوىً للكافرين) معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى فى جهنم ﴿ قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا المشركين لنصر ديننا (لنهدينهم سُبُلَنا) لنثيبنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهى التى توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) أى بالنصرة والمعونة فى دنياهم والمغفرة فى عقباهم فى الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم

﴿تفسير سورة الروم وهى مكية﴾

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (الم غلبت الروم فى أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر رجالا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بحنين فالتقيا باذرعات وبصرى وهى أدنى الشأم الى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبى بن خلف الجمحى فقال كذبت فقال أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة أى أراهنك على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال أزايدك فى الخطر وأماددك فى الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشى أبى بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال انى أخاف أن تخرج من مكة فاقم لى ضامنا كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن أبى بكر فلما أراد أبى بن خلف أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله بن أبى بكر فلزمه وقال والله لا أدعك حتى تعطينى كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى أحد قال ثم رجع أبى بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التى جرحه النبى صلى الله عليه وسلم حين بارزه

بان جعل له شريكا (أوكذب بالحق) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب (لما جاءه) أى يتلعثموا فى تكذيبه حين سمعوه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثوائهم فى جهنم لان همزة الانكار اذا أدخلت على النفى صار ايجابا يعنى ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم ان فى جهنم مثوى للكافرين حين اجترؤا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى فى مقابلة لنبوئنهم يؤيد قراءة الثانى (والذين جاهدوا) أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (فينا) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) سبلنا أبو عمرو أى لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعمل انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا فى رضانا لنهدينهم الى الوصول الى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا فى التوبة لنهدينهم سبل الاخلاص أو جاهدوا فى خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا أو جاهدوا فى طلبنا تحريا للرضا لنهدينهم سبل الوصول الينا (وان الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة فى الدنيا وبالثواب والمغفرة فى العقبى ﴿سورة الروم مكية وهى ستون أو تسع وخمسون آية﴾ والاختلاف فى بضع سنين (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الم غلبت الروم) أى غلبت فارس الروم (فى أدنى الارض) أى فى أقرب أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أى فى أدنى أرضهم الى عدوهم

(وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي غلبة فارس اياهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر الى المفعول (سيغلبون) فارس ولا وقف عليه لتعلق (في بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث الى العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أذرعات و بصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى ابرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال

له أبي بن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر وأبعد في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وان القرآن من عند الله لانها أنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل كل شئ ومن بعد كل شئ أو حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء تتصل بيفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء) ينصر

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر أبو بكر أبيا وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لاصحابه لقد رأيت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهرمان اذا أتاك كتابي فابعث الي برأس أخيك فرحان فكتب اليه أيها الملك انك لم تجد مثل فرحان ان له لنكاية وصولة في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا عنه فعجل الي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس اني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد بصحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولي فرحان الملك وانقاد له أخوه فأعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة الى فرحان فلما قرأها استدعى بأخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك الى أخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم أما بعد ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يريد أن يمكر به حتى أتاه عيونه فاخبروا انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فابيت عليه ثم أمر أخي بقتلي فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبتما وأشار أحدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الارض يعني قرب أرض الشام الى فارس وقيل هي أذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أي فارس لهم (سيغلبون) أي الروم لفارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل ما دون العشرة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أي بيده النصر

وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) العاطف على أوليائه (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (يعلمون) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل و بين وجود العلم الذى لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظاهرا من الحيوة الدنيا) يفيد ان للدنيا ظاهرا و باطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها و باطنها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة و بالاعمال الصالحة وتنكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (وهم عن الاخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها (أولم يتفكروا فى أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كانه قيل أولم يثبتوا التفكر فى أنفسهم أى فى قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده فى قلبك وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر فى الامر وأجال فيه فكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لابد لها من الانتهاء الى وقت تجازى فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة فى التدبير وانه لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ماخلق الله

السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه (الا بالحق وأجل مسمى) أى ماخلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة انما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة و بتقدير أجل مسمى لابد لها من أن تنتهى اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجاحدون وقال الزجاج أى لكافرون بلقاء ربهم (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم وصف حالهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) وحرثوها (وعمروها) أى المدمرون (أكثر) صفة مصدر محذوف وما مصدرية فى (مما عمروها) أى من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) وتقف عليها الحق الحذف أى فلم يؤمنوا فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان تدميره اياهم ظلما لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامى وكوفى (الذين أساؤا السوأى) تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى انهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر وهو الذين أساؤا موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى النار التى أعدت للكافرين (أن كذبوا) لان كذبوا أو بان وهو يدل على ان معنى أساؤا كفروا

ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أى بالمؤمنين ۞ قوله تعالى (وعد الله) أى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعنى أمر معاشهم كيف يكسبون و يتجرون ومتى يغرسون و يزرعون و يحصدون وقال الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلى وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أى ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون بها قوله عز وجل (أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعنى لاقامة الحق (وأجل مسمى) أى لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا فى الارض) أى يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) أى حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعنى الامم الخالية (أكثر مما عمروها) يعنى أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أى بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى ببخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أى أساؤا العمل فاستحقوا (السوأى) يعنى الخلة التى تسوءهم وهى النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أى لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم

تلك السيآت على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) ﴿ قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم اليه يرجعون) أي فيجزيهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه أنهم ييأسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعني أصنامهم التي عبدوها (شفعؤا) أي يشفعون لهم (وكانوا بشركائهم كافرين) أي جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا فهو قوله تعالى (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الا وردته وسأل أبا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيحاوب بعضها بعضا فما يسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث يوم القيامة (فاولئك في العذاب محضرون) ﴿ قوله تعالى (فسبحان الله) يعني فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) قال ابن عباس يحمده أهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) أي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر (وحين تظهرون) أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأ هاتين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاعمال أدومها والانسان لا يقدر أن يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وأمر بها في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ستين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة

﴿ فصل في فضل التسبيح ﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده ٣ في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله

(بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يحييهم بعد الموت (ثم اليه ترجعون) وبالياء أبو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس) ييأس ويتحير يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييأس من أن يحتج (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكتب (شفعؤا) في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها (وكانوا بشركائهم كافرين) أي يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي بستان وهي الجنة والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المسار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع في الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث (فاولئك في العذاب محضرون) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم وتلا هذه الاية وهو نصب على المصدر والمعنى نزهوه عما لا يليق به أو صلوا لله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في السموات والارض) اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه وفي السموات حال من الحمد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر أظهر أي دخل في وقت الظهيرة والقول الاكثر ان الصلوات الخمس

صلى

ان الصلوات الخمس [illegible] نكتة ٣ قوله في كل يوم ساقط من نسخة الطبع من الترمذي وفي بعض النسخ التي بايدينا من الخازن بدون كل

(يخرج الحى من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحماد وبالتشديد غيرهم (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك تخرجون) تخرجون حمزة وعلى وخلف أى ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم والكاف فى محل النصب بتخرجون والمعنى أن الابداء والاعادة يتساويان فى قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه روى ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون الى الثلاث وآخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الامطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات أجرى له بكل

حرف عشر حسنات فى قبره وقال عليه السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربوبيته وقدرته (ان خلقكم) أى أباكم (من تراب ثم اذا أنتم بشر) أى آدم وذريته (تنتشرون) تتصرفون فيما فيه معاشكم واذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن اليه اذا مال اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بينكم التوادد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أى بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان قوام الدنيا بوجود التناسل (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أى اللغات أو أجناس النطق واشكاله (وألوانكم) كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله متفاوتون

صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث آخر صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى فى مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال مازلت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفى رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا ۞ قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيى الارض بعد موتها) أى بالمطر واخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) أى مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته ان خلقكم من تراب) أى خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أى تنبسطون فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أى جنسكم من بنى آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا اليها) أى لتميلوا للازواج وتألفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ أحب الى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أى فى عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أى اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق واشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (وألوانكم) أى أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أى ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة ولا يعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان

(ان فى ذلك لآيات للعالمين) جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) هذا من باب اللف وترتيبه أى ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين أو المراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الاول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى ما دل عليه القرآن (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى يسمعون سماع تدبر بآذان واعية (ومن آياته يريكم البرق) فى يريكم وجهان اضمار ان كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من ان تراه أى ان تسمع أو سماعك قوله (خوفا) من الصاعقة ومن الاخلاف (وطمعا) فى الغيث أو خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أى ارادة خوف وارادة طمع أو على الحال أى خائفين وطامعين (وينزل من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (ماء) مطرا (فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم (ومن آياته ان تقوم) تثبت بلا عمد (السماء والارض بأمره) أى باقامته وتدبيره وحكمته (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) من قبوركم هذا كقوله يريكم فى ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكها بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقوله دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك ثم

(وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وهو الذى يبدؤا الخلق) أى ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أى البعث (أهون) أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله هو على هين لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الاهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أى كبير والاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء أو هو أهون على الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا الى تكميل خلقهم (وله المثل الاعلى فى السموات والارض) أى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره وقد عرف به ووصف فى السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو انه القادر الذى لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله (وهو العزيز) أى القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الارفع الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم)

من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفى ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) أى لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أى منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أى للمسافر ليستعد للمطر (وطمعا) أى للمقيم ليستعد المحتاج اليه من أجل الزرع وتسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) أى قدرة الله تعالى وانه القادر عليه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره) قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا أنتم تخرجون) أى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون من الارض (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) أى مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون فى الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العبادة (وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده) أى يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أى هو هين عليه وما من شئ عليه بعزيز وقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى أن يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أى الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله شئ وقيل هو الذى لا اله الا هو (فى السموات والارض وهو) أى فى ملكه (العزيز الحكيم) أى فى خلقه ۞ قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أى بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل (من أنفسكم

فهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء كانه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (مما ملكت أيمانكم) عبيدكم ومن للتبعيض (من شركاء) من مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) في ذلك الرزق (سواء) من غير تفصلة بين حر وعبد يحكم مماليككم في أموالكم كحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في سواء أي متساوون خائفا بعضكم بعضا مشاركته في المال والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم (كخيفتكم أنفسكم) يعني كما يخاف بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نفصل الايات) نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الامثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (فمن يهدي من أضل الله) أي أضله الله تعالى (وما لهم من ناصرين) من العذاب (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة ألا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله فالمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد والاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه ان الله تعالى فطر الخلق على الايمان به على ما جاء في الحديث ان الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم بانه خالقهم فقال واذ أخذ ربك الى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بان الله تعالى خالقها فمعنى فطرة الله دين الله (التي فطر الناس عليها) أي خلق

ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكت أيمانكم) أي عبيدكم وامائكم (من شركاء فيما رزقناكم) أي من المال (فانتم فيه سواء) أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامر دون شريكه ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب أن ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لانفسكم فكيف ترضون أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي (كذلك نفصل الآيات) أي الدلالات والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) أي في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدي من أضل الله) أي عن طريق الهدى (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من عذاب الله ۞ قوله تعالى (فأقم وجهك للدين) يعني أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده ۞ قوله تعالى (حنيفا) أي مائلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) أي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخاري فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا فطرت الله الآية ولهما في رواية قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله ألست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطري في أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المأمور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطري فانه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك انه قال في معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته أي خلقته التي

(لاتبديل لخلق الله) أى ماينبغى أن تبدل تلك الفطرة أوتغير وقال الزجاج معناه لاتبديل لدين الله ويدل عليه مابعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثر الناس لايعلمون) حقيقة ذلك (منيبين اليه) راجعين اليه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولاتكونوا معطوف على هذا الضمير أو من قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه السلام أمر لامته فكانه قال فاقيموا وجوهكم منيبين اليه أو التقدير كونوا منيبين دليله قوله ولاتكونوا (واتقوه وأقيموا الصلاة) أى أدوها فى أوقاتها (ولاتكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره فى العبادة (من الذين) بدل من المشركين باعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا حمزة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أى تركوا دين الاسلام (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى أضلها (كل حزب) منهم (بمالديهم فرحون) فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا (واذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غيرها (دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أى خلاص من الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فى العبادة (ليكفروا) هذه لام كى وقيل لام الامر للوعيد (بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) بكفركم قليلا أمر وعيد (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته (بما كانوا به يشركون) ما مصدرية أى بكونهم بالله يشركون أو موصولة ويرجع الضمير اليها أى فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) من الرحمة واذا للمفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهما فى التعقيب (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انكر عليهم بانهم قد علموا بانه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته ولما ذكران السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر مايجب ان يفعل ومايجب ان يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة

خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى مافطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهم وقيل معناه ان كل مولود فى مبدأ الخلقة على الفطرة أى على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لابائهم والميل الى اديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعنى هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء وهى المقطوعة الاذن أو الانف ۞ قوله عز وجل (لاتبديل لخلق الله) أى لاتبدلوا دين الله وقيل معنى الاية الزموا فطرة الله ولاتبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لاتبديل لخلق الله هو ماجبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقى سعيدا وقيل الآية فى تحريم اخصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثر الناس لايعلمون) ۞ قوله عز وجل (منيبين اليه) أى فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة (واتقوه) أى ومع ذلك خافوه (وأقيموا الصلاة) أى داوموا على أدائها فى أوقاتها (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامة (كل حزب بمالديهم فرحون) أى راضون بما عندهم ۞ قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) أى قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) أى مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أى خصبا ونعمة (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أى ليجحدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أى حالكم فى هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) أى ينطق (بما كانوا به يشركون) أى بشركهم ويأمرهم به (واذا أذقنا الناس رحمة) أى الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أى فرحوا وبطروا (وان تصبهم سيئة) أى جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (اذا هم يقنطون) أى ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (فآت ذا القربى حقه) أى من البر والصلة والمسكين

(والمسكين وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا (ذلك) أي ايتاء حقوقهم (خير للذين يريدون وجه الله) أي ذاته أي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا (وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس) يريد وما أعطيتم أكلة الربا من ربا ليربو في أموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أي وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربو عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله (وما آتيتم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة (فاولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار أتيتم من ربا بلا مد مكي أي وما غشيتموه من اعطاء ربا لتربو مدني أي لتزيدوا في أموالهم وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن لانه يفيد التعميم كانه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به

لانه لا بد له من ضمير يرجع الى ما الموصولة وقال الزجاج في قوله فاولئك هم المضعفون أي فاهلها هم المضعفون أي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار الى عجز آلهتهم فقال (الله الذي خلقكم) مبتدأ وخبر (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أي هو المختص بالخلق والرزق والاماتة والاحياء (هل من شركائكم) أي أصنامكم التي زعمتم انهم شركاء الله (من يفعل من ذلكم) أي من الخلق والرزق والاماتة والاحياء (من شئ) أي شيأ من تلك الافعال فلم يجيبوا عجزا فقال استبعادا (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (ظهر الفساد في البر والبحر) نحو القحط وقلة الامطار والريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شئ (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة وبالنون عن قنبل (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم أكد تسبيب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فأقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق بيأتي والمعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجئ به ولا راد له من جهته

(والمسكين) أي حقه وهو التصدق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) ۞ قوله عز وجل (وما آتيتم) أي أعطيتم (من ربا ليربو في أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطي غيره عطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يربو عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتم من زكوة) اي أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) أي بتلك الصدقة (فاولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات ۞ قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره ۞ قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلو أجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فما وقع فيها من المطر صار لؤلؤا (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي لترو منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فاهلكوا بكفرهم ۞ قوله عز وجل (فأقم وجهك للدين القيم) اي لدين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد

(يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون ثم أشار الى غناه عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أي يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد لنفسه فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده من نتوء وغيره والمعنى انه يمهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف اليهم وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجاوزه (ليجزي) متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقريرانه لا يفلح عنده الا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (ومن آياته) أي ومن آيات قدرته (أن يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارسالها فقال (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله انما أمره اذا أراد شيأ الآية (٤٦٦) (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي كفروا بالاهلاك في الدنيا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبتدئ علينا نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذي يرسل الرياح) الريح مكي (فتثير سحابا فيبسطه) أي السحاب (في السماء) أي في سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (ويجعله كسفا) قطعا جمع كسفة أي يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزيد وابن ذكوان (فترى الودق) المطر (يخرج) في التارتين جميعا (من خلاله) وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يريد اصابة بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر للتأكيد كقوله فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (لمبلسين) آيسين (فانظر الى آثار) شامي وكوفي غير أبي بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيي الارض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد موتها ان ذلك) أي الله (لمحيي الموتى) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أي الدبور (فرأوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت (مصفرا) بعد اخضراره وقال مصفرا لان تلك

على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) فيه تهديد ووعيد لهم ۞ قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي تبشر بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي بالمطر وهو الخصب (ولتجري الفلك) أي بهذه الرياح (بأمره ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) أي هذه النعم ۞ قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) يعني انا عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي مع انجائهم من العذاب وفيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء ۞ عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن ۞ قوله عز وجل (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي تنشره (فيبسطه في السماء كيف يشاء) يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) أي قطعا متفرقة (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه (فاذا أصاب به) أي بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) أي يفرحون بالمطر (وان كانوا) أي وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أي آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) أي المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره في الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى) يعني ان الذي أحيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى (وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أي الزرع بعد الخضرة

لظلوا

صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لان السحاب الاصفر لا يمطر واللام فى لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط فسد مسد جوابى القسم والشرط (لظلوا) ومعناه ليظلن (من بعده يكفرون) اى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا وأن يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لا تسمع الموتى) أى موتى القلوب أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا يسمع الصم مكى (اذا ولوا مدبرين) فان قلت الاصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادى العمى) أى عمى القلوب وما أنت تهدى العمى حمزة (عن ضلالتهم) أى لا يمكنك ان تهدى الاعمى الى طريق قد ضل عنه باشارة منك له اليه (ان تسمع) ما تسمع (الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) منقادون لاوامر الله تعالى (الله الذى

خلقكم من ضعف) من النطف كقوله من ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعنى حال الشباب و بلوغ الاشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يعنى حال الشيخوخة والهرم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة (وهو العليم) باحوالهم (القدير) على تغييرهم وهذا الترديد فى الاحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير فتح الضاد فى الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لما روى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف (ويوم تقوم الساعة) أى القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا (يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولا وقف عليه لان (مالبثوا) فى القبور أو فى الدنيا (غير ساعة) جواب القسم استقلوا مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم فى شدائدها أو ينسون أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب فى الدنيا و يقولون ماهى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) هم الانبياء والملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم فى كتاب الله) فى علم الله المثبت فى اللوح أو فى حكم الله وقضائه (الى يوم البعث) ردوا ما قالوه وحلفوا عليه أطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم) فى الدنيا (لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه والفاء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذى أنكرتموه (فيومئذ لا ينفع) بالياء كوفى (الذين ظلموا) كفروا (معذرتهم) عذرهم (وهم لا يستعتبون) أى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبنى فلان فاعتبته أى استرضانى فارضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل

(لظلوا من بعده) أى من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) أى يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتى (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره ۞ قوله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف) أى بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذى ضعف وقيل هو اشارة الى أحوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه أحوال غاية الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أى من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) أى هرما (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق مايشاء) أى من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على مايشاء ۞ قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أى يحلف المشركون (مالبثوا) أى فى الدنيا (غير ساعة) معناه أنهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه مالبثوا فى قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) أى يصرفون عن الحق فى الدنيا وذلك انهم كذبوا فى قولهم مالبثوا غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا ان لا يبعثوا والمعنى ان الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شئ تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث) أى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه من اللبث فى القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله والايمان يعنى الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث أى فى قبوركم (فهذا يوم البعث) أى الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أى وقوعه فى الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) أى لا تطلب منهم العتبى والرجوع فى الآخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التى تزيل الجريمة لانها لا تقبل منهم ۞ قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما

ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة
الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي مثل ذلك الطبع وهو الختم
يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على
أذاهم أو عداوتهم (ان وعد الله) بنصرك على أعدائك واظهار دين الاسلام على كل دين (حق) لا بد من انجازه والوفاء به (ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون) أي لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملنك على الخفة والقلق
جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفنك بسكون النون عن يعقوب
والله الموفق للصواب

﴿سورة لقمان مكية وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعامل معنى الاشارة في تلك وحمزة بالرفع على أن تلك مبتدا وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف أي هو أو هي هدى ورحمة (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى

وقد سمعا أو للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها (أولئك على هدى) مبتدا وخبر (من ربهم) صفة لهدى (وأولئك هم المفلحون) عطف عليه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري أخبار
الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث الاكاسرة فيميلون الى حديثه ويتركون استماع
القرآن واللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لا أصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضي
الله عنهما يحلفان أنه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء
الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت والاشتراء
من الشراء كما روي عن النضر أو من قوله اشتروا الكفر بالايمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه أي يختارون حديث الباطل على حديث
الحق واضافة اللهو الى الحديث للتبيين بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء
في الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش أو للتبعيض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه

فوق الكفاية من الانذار (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) يعني ما أنتم الا على
باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جئتهم والجمع في قوله ان أنتم الا
مبطلون قلت فيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه انكم
كلكم أيها الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي توحيد الله (فاصبر ان وعد الله
حق) أي في نصرك واظهارك على عدوك (ولا يستخفنك) أي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفن
رأيك (الذين لا يوقنون) أي بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده ﴿تفسير سورة لقمان﴾
وهي مكية وأربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) أي الذين يعملون الحسنات ثم
ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم
وأولئك هم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت في النضر بن
الحرث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم
بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون
استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين ومعنى الآية ومن الناس من يشتري
ذات لهو أو ذا لهو الحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس
من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله له شيطانين أحدهما
على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت
أخرجه الترمذي ولفظه عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات والمغنيات
ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشتري
لهو الحديث الآية * وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار وقال
مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى

(ليضل) أي ليصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ليضل مكي وأبو عمرو أي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويزيد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلا منه بما عليه من الوزر به (ويتخذها) أي السبيل بالنصب كوفي غير أبي بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطفه على يشتري (هزوا) بسكون الزاي والهمزة حمزة وبضم الزاي بلا همز حفص وغيرهم بضم الزاي والهمزة (أولئك لهم عذاب مهين) أي يهينهم ومن لابهامه يقع على الواحد والجمع أي النضر وأمثاله (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كأن لم يسمعها) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كأنه والضمير ضمير الشأن (كأن في أذنيه وقرا) ثقلا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد وحقا يدل على معنى الثبات

فاكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء فيهين أعداءه بالعذاب المهين (الحكيم) بما يفعل فيثيب أولياءه بالنعيم المقيم (خلق السموات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني ولا محل لها من الاعراب لانها مستأنفة أو في محل الجر صفة لعمد أي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته (وألقى في الارض رواسي) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) لئلا تضطرب بكم (وبث) ونشر (فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) يعني آلهتهم بكتهم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فأروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة (بل الظالمون في ضلال مبين) أضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي اذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل وقيل تتلمذ لالف نبي وتتلمذ له ألف نبي وان في

يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أي يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الله مزحا (أولئك) يعني الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أي لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأسا (كأن لم يسمعها) أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن في أذنيه وقرا) أي ثقلا ولا وقر فيهما (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا) يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) ۞ قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحفة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما أنه راجع الى السموات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني أنه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية (وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) أي لئلا تتحرك بكم (وبث فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي يسكنون فيها (وأنزلنا من السماء ماء) يعني المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرت مما تعاينون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) ۞ قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة

(أن اشكر لله) مفسرة والمعنى أي اشكر لله لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته وقال السري السقطي الشكر أن لا تعصى الله بنعمه وقال الجنيد أن لا ترى معه شريكا في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز عن الشكر والحاصل ان شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان منفعته تعود اليه فهو يريد المزيد (ومن كفر) النعمة (فان الله غني) غير محتاج الى الشكر (حميد) حقيق بان يحمد وان لم يحمده أحد (واذ) أي واذكر اذ (قال لقمان لابنه) أنعم أو اشكم (وهو يعظه يابني) بالاسكان مكي يابني حفص بفتحه في كل القرآن (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهي منه ومن لا نعمة له أصلا (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) أي حملته تهن وهنا على وهن أي تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا (وفصاله في عامين) أي فطامه عن الرضاع لتمام عامين (أن اشكر لي ولوالديك) هو تفسير لوصينا أي وصيناه بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (الي المصير) أي مصيرك الي وحسابك علي (وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم) أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ماليس بشئ يريد الاصنام (فلا تطعمهما) في الشرك

والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف الليل فنودي يالقمان هل لك أن نجعلك خليفة في الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة واني أعلم ان الله ان فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يالقمان قال ان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحري أن ينجو وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الاخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود لحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعي غنم فروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعي قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل الحكمة شئ يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر ﴿ وقوله (أن اشكر لله) وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فان الله غني) أي غير محتاج الى شكر الشاكرين (حميد) أي محمود في صنعه وحقيق بان يحمد وان لم يحمده أحد ﴿ قوله تعالى (واذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكم (وهو يعظه) وذلك لان أعلى مراتب الانسان أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها ﴿ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف (وفصاله في عامين) أي فطامه في سنتين (أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والاخرة وقيل لما أمر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الي قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعمهما) قال النخعي يعني ان طاعتهما واجبة فان أفضى ذلك الى الاشراك بي

(وصاحبهما في الدنيا معروفا) صفة مصدر محذوف أي صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة (واتبع سبيل من أناب الي) أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه أنوار خدمتي (ثم الي مرجعكم) أي مرجعك ومرجعهما (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فأجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني اناوصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما في الشرك وان جاهدا كل الجهد لقبحه (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) بالرفع مدني والضمير للقصة وأنث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الاساءة والاحسان أي ان كانت مثلا في الصغر كحبة خردل (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض) أي فكانت مع صغرها في أخفى موضع (471) وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي والاكثر على انها التي عليها الارض وهي السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الارض (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهها أو لطيف باستخراجها خبير بمستقرها (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فانها تورث المنح (ان ذلك) الذي وصيتك به (من عزم الامور) أي مما عزمه الله من الامور أي قطعه قطع ايجاب والزام أي أمر به أمرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أي مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأمورا بها في سائر الامم (ولا تصعر خدك للناس) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أبو عمرو ونافع وحمزة وعلي وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون (ولا تمش في الارض مرحا) أي تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال أي مرحا أو لا تمش لاجل المرح والاشر (ان الله لا يحب كل مختال) متكبر (فخور) من يعدد مناقبه تطاولا (واقصد) القصد التوسط بين العلو والتقصير (في مشيك) أي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (واغضض من صوتك) وانقص منه أي اخفض صوتك (ان أنكر الاصوات) أي أوحشها (لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن

فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب الي) أي اتبع دين من أقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الي يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام أسلموا بارشاد أبي بكر (ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله قال يا بني انها أي الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل أي في الصغر (فتكن) أي مع صغرها (في صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السماء فلذلك قال (أو في السموات أو في الارض) والصخرة على متن الريح والريح على القدرة (يأت بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله (ان الله لطيف) أي باستخراجها (خبير) أي بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي أمر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خدك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحتقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والغني عندك سواء (ولا تمش في الارض مرحا) أي خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال) في مشيه (فخور) أي على الناس (واقصد في مشيك) أي ليكن في مشيتك قصد بين الاسراع والتأني أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو أن يرى في نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وقيل انقص (من صوتك ان أنكر) أي أقبح (الاصوات لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال

الثورى صياح كل شئ تسبيح الا الحمار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على أن رفع الصوت فى غاية الكراهة يؤيده ماروى أنه عليه السلام كان يعجبه ان يكون الرجل خفيض الصوت و يكره أن يكون مجهور الصوت وانما وحد صوت الحمير ولم يجمع لانه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (ومافى الارض) يعنى البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وأسبغ) وأتم (عليكم نعمه) مدنى وأبو عمرو وسهل وحفص نعمته غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (و باطنة) مالا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك و يروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ماسوى من خلقك والباطنة ماستر من عيوبك (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت فى النضر ابن الحرث وقد مر فى الحج (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أى فى حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) عدى هنا بالى وفى بلى من أسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هى ما يعلق به الشئ (الوثقى) تأنيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه فيجازى عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن يحزنك نافع من أحزن أى لا يهمنك كفر من كفر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) فنعاقبهم على أعمالهم (ان الله عليم بذات الصدور) ان الله يعلم مافى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم) نلجئهم (الى عذاب غليظ) شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشئ والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (ولئن

صياح كل شئ تسبيح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها وائتنى بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أى الناس شر قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيأ ﴿قوله عزوجل﴾ (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض وأسبغ) أى أتم وأكمل (عليكم نعمه ظاهرة و باطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) معناه أفيتبعونهم وان كان الشيطان يدعوهم (الى عذاب السعير) ﴿قوله عزوجل﴾ (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يخلص لله دينه و يفوض اليه أمره (وهو محسن) أى فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه و يرتقى بسببه الى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) أى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) أى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم ﴿قوله تعالى﴾ (نمتعهم قليلا) أى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) أى نلجئهم ونردهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن

سالتهم

سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بأن الذى خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم يتنبهوا (لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركون ان هذا أى الوحى كلام سينفد فاعلم الله أن كلامه لا ينفد بقوله (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أى ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا وقرئ يمده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد لكن أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوأة مدادا فهى تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى

الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التى حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت أقلاما وأوثر الكلمات وهى جمع قلة على الكلم وهى جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تفى بكتبها البحار فكيف بكلمه (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شئ فلا تنفد كلماته وحكمه (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فحذف للعلم به أى سواء فى قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجازيهم (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار) يدخل ظلمة الليل فى ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أى كل واحد من الشمس والقمر (يجرى) فى فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالياء عياش دل أيضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين فى فلكيهما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) بالياء عراقى غير أبى بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف الذى وصف به من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلى الشأن الكبير السلطان (ألم تر أن الفلك) وقرئ الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل (تجرى فى البحر بنعمت الله) باحسانه ورحمته أو بالريح لان الريح من نعم الله (ليريكم من آياته) عجائب قدرته البحر اذا ركبتموها

سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى﴾ (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسئلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أتعنينا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا أوتينا التوراة فيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد أتاكم الله بما ان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود أمروا وفد قريش أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتى به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فأنزل الله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام أى فبريت أقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم (والبحر يمده) أى يزيده وينصب اليه (من بعده سبعة أبحر) أى مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله (ما نفدت كلمات الله) لانها لا نهاية لها (ان الله عزيز حكيم) ﴿قوله تعالى﴾ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أى الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شئ (ان الله سميع) أى لاقوالكم (بصير) بأعمالكم (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) أى ذلك الذى هو قادر على هذه الاشياء التى ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلى) أى فى صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) فى ذاته لانه أكبر من كل كبير ﴿قوله تعالى﴾ (ألم تر أن الفلك) أى السفن والمراكب (تجرى فى البحر بنعمت الله) أى ذلك من نعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) أى من عجائب صنائعه

(ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فالايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكأنه قال ان فى ذلك لايات لكل مؤمن (واذا غشيهم) أى الكفار (موج كالظلل) الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أى باق على الايمان والاخلاص الذى كان منه ولم يعد الى الكفر أو مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياتنا) أى بحقيقتها (الا كل ختار) غدار والختر أقبح الغدر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده) لا يقضى عنه شيأ والمعنى (٤٧٤) لا يجزى فيه فحذف (ولا مولود هو جاز عن والده شيأ) وارد على طريق من التوكيد لم يرد

عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة فى الآخرة ومعنى التأكيد فى لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا فى الكشاف (ان وعد الله) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) بزينتها فان نعمتها دانية ولذتها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا أو الامل

(ان الله عنده علم الساعة) أى وقت قيامها (وينزل) بالتشديد شامى ومدنى وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف أى من الفعل تقديره ان الله يثبت عنده علم الساعة وينزل (الغيث) فى ابانه من غير تقديم ولا تأخير (ويعلم ما فى الارحام) أذكر أم أنثى تام أم ناقص (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا أو عازمة على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أى أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كأنه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعملت

(ان فى ذلك لآيات لكل صبار) أى على ما أمر الله (شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كالظلل) أى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج فى كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع فى شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فاذا انجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أى عدل موف فى البر بما عاهد عليه الله فى البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت فى عكرمة بن أبى جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده فى يدى فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) أى غدار (كفور) أى جحود لنعمنا عليه ۞ قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أى خافوا (واخشوا) أى وخافوا (يوما لا يجزى) أى لا يقضى ولا يغنى (والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى و بالادنى على الاعلى فالوالد يجزى عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزى عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسى نفسى ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لا يجزى والد عن ولده فى ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) أى لانها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتمنى المغفرة ۞ قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا أجدبت فقل لى متى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبلى فمتى تلد ولقد علمت أين ولدت فبأى أرض أموت فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليلا أو نهارا (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا الا الله (ويعلم ما فى الارحام) أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلقة أم ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدرى نفس بأى أرض تموت)

الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يختص بها ولا شئ أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان معرفة ما عداهما أبعد وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فانه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على انه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فاشار باصابعه الخمس يعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة أيام فقال أبو حنيفة رضي الله عنه هو اشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله (ان الله عليم) بالغيوب (خبير) بما كان ويكون وعن الزهري رضي الله تعالى عنه أكثروا قراءة سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم ﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي وتسع وعشرون آية بصري﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿الم﴾ على انها اسم السورة مبتدا وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بانه خبر مبتدا محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين لانه معجز للبشر ومثله أبعد شئ من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد لان أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أيقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلا (لتنذر قوما) أي العرب (ما أتاهم من نذير من قبلك) ما للنفي والجملة صفة لقوما (لعلهم يهتدون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) استولى عليه باحداثه (ما لكم من دونه) من دون الله (من ولي ولا شفيع) أي اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا أي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أفلا تتذكرون) تتعظون بمواعظ الله (يدبر الامر) أي امر الدنيا (من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله أي يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) هو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للمشبهة بقوله اليه في اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه أو أمره كما لا تشبث لهم بقوله اني ذاهب الى ربي اني مهاجر الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله

أي ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الارض في بر أو بحر في سهل أو جبل (ان الله عليم) أي بهذه الاشياء وبغيرها (خبير) أي ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيأ من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة السجدة وهي مكية﴾

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشركين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذ لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلهم يهتدون) يعني تنذرهم راجيا اهتداءهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) تقدم تفسيره قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) أي يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الآمر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التي هي مقام

(ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزيز) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لان (الذي) صفته (أحسن كل شئ) أي حسنه لان كل شئ مرتب على ما اقتضته الحكمة (خلقه) كوفي ونافع وسهل على الوصف أي كل شئ خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البدل أي أحسن خلق كل شئ (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) من نطفة (من ماء) أي مني وهو بدل من سلالة (مهين) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله في أحسن تقويم (ونفخ) ادخل (فيه من روحه) الاضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشئ الذي اختص هو به وبعلمه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون قليلا (وقالوا) القائل أبي ابن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم (أئذا ضللنا في الارض) أي صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا في الارض بالدفن فيها وقرأ علي ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف في أئذا ضللنا بما يدل عليه (أئنا لفي خلق جديد) وهو نبعث بل هم (بلقاء ربهم كافرون) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو أبلغ وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم بقبض أرواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفي استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حقي من فلان اذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لافعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها

جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة دخلت انا وعبدالله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره ان أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزيز) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) باوليائه وأهل طاعته ۞ قوله تعالى (الذي أحسن كل شئ خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شئ وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه ألهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه أحسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلالة) أي من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق بعد ان كنتم نطفا مواتا (السمع والابصار والافئدة) قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلا ما تشكرون) يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه الا قليلا ۞ قوله تعالى (وقالوا) يعني منكري البعث (أئذا ضللنا) هلكنا (في الارض) والمعنى صرنا ترابا (أئنا لفي خلق جديد) استفهام انكاري قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي انه لا يغفل عنكم واذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع أعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهي تتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم الى ربكم ترجعون)

اى

(ولوترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو وامتناعية والجواب محذوف أي لرأيت أمراً عظيماً (اذ المجرمون) هم
الذين قالوا أئذا ضللنا في الارض ولو واذ للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل
ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له (ناكسوا رؤسهم) من الذل والحياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف
اذ التقدير يقولون (ربنا أبصرنا) صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا

وصما فابصرنا وسمعنا (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا) أي الايمان والطاعة (انا موقنون) بالبعث والحساب الآن (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في الدنيا (أي لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا ولكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره وهو حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله ان يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهتد وهم اولوا الآية بمشيئة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف في تبصرة الادلة (ولكن حق القول مني لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) ولكن وجب القول مني بما علمت انه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وفي تخصيص الانس والجن اشارة الى انه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم
لقاء) بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الايمان به (انا نسيناكم) تركناكم في العذاب كالمنسي (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب
الدائم الذي لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا)
سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله عما لا يليق به واثنوا عليه حامدين له (وهم
لا يستكبرون) عن الايمان به والسجود له (تتجافى) ترتفع وتتنحى (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع النوم قال سهل وهب

أي تصيرون الى ربكم احياء فيجزيكم باعمالكم ۞ قوله عز وجل (ولو ترى اذ المجرمون) أي
المشركون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) أي يطأطؤنها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون
(ربنا ابصرنا) أي ما كنا به مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما اتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا
وسمعنا ما قيل فيها (فارجعنا) أي فارددنا الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) أي في الحال آمنا ولكن
لا ينفع ذلك الايمان (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي رشدها وتوفيقها للايمان (ولكن حق القول
مني) أي وجب القول مني (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفار الجن والانس (فذوقوا)
أي فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أي تركتم الايمان في الدنيا (هذا انا
نسيناكم) اي تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناس قطع الرجاء كم (وذوقوا عذاب الخلد بما
كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب ۞ قوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي وعظوا
بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا
سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدنا مكانا
لوضع جبهته في غير وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم
السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت
بالسجود فأبيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ وللمستمع ۞ قوله تعالى (تتجافى
جنوبهم) أي ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم
المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى
رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع
نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي
داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي
صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة
الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله
أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا وأشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول
الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

﴿فصل في فضل قيام الليل والحث عليه﴾ عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

سفرة فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يارسول الله وانا المؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيآت ومنهاة عن الآثام ومطردة الداء عن الجسد أخرجه الترمذي * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله الى صلاته فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه أخرجه الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذي (خ) عن الهيثم بن أبي سنان انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة

قال وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ما اذا قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث ۞ وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع ۞ قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) أي مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أي من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ۞ قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شئ فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وأنا شيخ والله اني أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا

لقوم هبة وهو أن أذن لهم في مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع (يدعون) داعين (ربهم) عابدين له (خوفا وطمعا) مفعول له أي لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم ان تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة يعني بصلاة الليل وعن أنس كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ومما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي (لهم) ما بمعنى الذي أخفي على حكاية النفس حمزة ويعقوب (من قرة أعين) أي لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر أي جوزوا جزاء (بما كانوا يعملون) عن الحسن رضي الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه دليل على ان المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين ان من كان في نور الطاعة والايمان لا يستوي مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أي كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله (لا يستوون) على المعنى بدليل قوله

(أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنان تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش (نزلا بما كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ التكذيب يقابل الايمان (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) أى عذاب الدنيا من الاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين (دون العذاب الاكبر) أى عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن الدارانى العذاب الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود فى النيران وقيل عذاب الادنى عذاب القبر (لعلهم) لعل المعذبين بالعذاب الادنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) أى بالقرآن (ثم أعرض عنها) أى فتولى عنها ولم يتدبر فيها وثم للاستبعاد أى ان الاعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز (انا من المجرمين منتقمون) ولم يقل منه لانه اذا جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن فى مرية) شك (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربه فى الآخرة كذا عن النبى صلى الله عليه وسلم (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وجعلنا منهم أئمة) بهمزتين كوفى وشامى

فسقوا واحدا (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أى التى يأوى اليها المؤمنون (نزلا) هو ما يهيأ للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعنى من الطاعات فى دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) ۞ قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) أى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أى الى الايمان يعنى من بقى منهم بعد القحط و بعد بدر (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن ذكر بآيات ربه) أى بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم أعرض عنها) أى ترك الايمان بها (انا من المجرمين) يعنى المشركين (منتقمون) معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر ۞ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فلا تكن فى مرية) أى فى شك (من لقائه) أى من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله اياه فلا تكن فى مرية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره فان قلت قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى السماء السادسة عند مراجعته فى الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته فى قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شئ قدير فان قلت كيف تصح منه الصلاة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه بأجوبة أحدها ان الانبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح فى الحديث وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحياء فى هذه الدار التى هى دار العمل الى أن تفنى ثم يرحلون الى دار الجزاء التى هى الجنة الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذى كانوا عليه فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه فى الجنة أكثر مما كان يعبده فى الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل فى قوله فلا تكن فى مرية من لقائه أى من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعنى الكتاب (هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم) أى من بنى اسرائيل (أئمة) أى قادة للخير

(يهدون) بذلك الناس و يدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه (بامرنا) اياهم بذلك (لما صبروا) حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصي لما صبروا وحمزة وعلي أي لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرته امامة الناس (وكانوا بآياتنا) التوراة (يوقنون) يعلمون علما لا يخالجه شك (ان ربك هو يفصل) يقضي (بينهم يوم القيامة) بين الانبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين (فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهر المحق من المبطل (أولم) الواو للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف أي أولم يدع (يهد) يبين والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد (لهم) لاهل مكة (كم) يهدي لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وثمود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) أي أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم و بلادهم (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواعظ فيتعظوا (أولم يروا أنا نسوق الماء) نجري المطر والانهار (الى الارض الجرز)

أي الارض التي جرز نباتها أي قطع اما لعدم الماء أو لانه رعي ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله (فنخرج به) بالماء (زرعا تأكل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون) باعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه كائن (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلا ينفعكم الايمان أو استنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فانهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند الغرق (فاعرض عنهم وانتظر) النصرة وهلاكهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم ﴿سورة الاحزاب مدنية﴾ وهي ثلاث وسبعون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (يهدون بامرنا) أي يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) أي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون) أي أنها من الله تعالى (ان ربك هو يفصل) أي يقضي ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الانبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى (أولم يهد لهم) أي نبين لهم (كم أهلكنا) أي كثرة من أهلكنا (من قبلهم من القرون) أي الامم الخالية (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) أي آيات الله ومواعظه فيتعظون بها ۞ قوله عز وجل (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي أرض باليمن وقيل هي أبين (فنخرج به) أي بذلك الماء (زرعا تأكل منه أنعامهم) أي العشب والتبن (وأنفسهم) أي من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون) أي فيعتبروا ۞ قوله تعالى (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح و يحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو بدر وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) أي لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ليتوبوا و يعتذروا (فاعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) أي موعدي لك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الانسان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طاوس تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية﴾

وثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال أبي بن كعب رضي الله عنه لذر كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي ان ذلك من جملة مانسخ من القرآن وأما مايحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض (ياأيها النبي) وبالهمز نافع أي ياأيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا الى أحبابنا وانما لم يقل يامحمد كما قال يا آدم ياموسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بانه رسول الله (اتق الله) أثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لايدرك مداه (ولاتطع الكافرين والمنافقين) ولاتساعدهم على شئ واحترس منهم فانهم أعداء الله والمؤمنين وروى ان أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله بن أبي وأعطاهم النبي الامان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تنفع وتشفع ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ولاتطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا (ان الله كان عليما) بخبث أعمالهم (حكيما) في تأخير الامر بقتالهم (واتبع مايوحى اليك من ربك) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله) الذي يوحي اليك (كان بماتعملون خبيرا) أي لم يزل عالما بأعمالهم وأعمالكم قيل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالياء أبو عمرو أي بمايعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وماجعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم

۞ قوله عزوجل (ياأيها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى ياأيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولاتنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولاتطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أباسفيان وعكرمة وأبا الاعور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (ان الله كان عليما) أي بخلقه قبل أن يخلقهم (حكيما) أي فيما دبره لهم (واتبع مايوحى اليك من ربك) أي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بماتعملون خبيرا وتوكل على الله) أي ثق بالله وكل أمرك اليه (وكفى بالله وكيلا) أي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك ۞ قوله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ماحفظ أبو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ياأبامعمر ماحال الناس فقال انهزموا فقال له فمابال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ماشعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ماعنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألاترون ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للانسان في صلاته وقيل في معنى الآية انه لما قال الله تعالى ياأيها النبي اتق الله فكان ذلك أمرا بالتقوى فكأنه قال ومن حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالآخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لايخلو اما أن يفعل باحدهما مايفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا مالا يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لاتكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين ۞ قوله تعالى (وماجعل أزواجكم اللائي تُظاهرون منهن أمهاتِكم) وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت

وماجعل أدعياءكم أبناءكم) أي ماجمع الله قلبين في جوف ولازوجية وأمومة في امرأة ولابنوة ودعوة في رجل والمعنى انه تعالى كما لم يجعل لانسان قلبين لانه لايخلو اما أن يفعل بالآخر فعلا من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا غير مايفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم يحكم أيضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية لاغير ولايجتمع في الشئ الواحد ان يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فاكذب الله قولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجوف للتأكيد اللائي بياء بعد الهمزة حيث كان كوفي وشامي اللاء نافع ويعقوب وسهل وهي جمع التي تظاهرون عاصم من ظاهر اذا قال لامرأته أنت علي كظهر أمي تظاهرون

علي وحمزة وخلف تظاهرون شامي من ظاهر بمعنى تظاهر غيرهم تظهرون من أظهر بمعنى ظهر وعدي بمن لتضمنه معنى البعد لانه كان طلاقا في الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدي بمن والا فآلى في أصله الذي هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعي ولدا وجمع على أفعلاء شاذا لان بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي للتشبيه اللفظي (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي ان قولكم للزوجة هي أم وللدعي هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لاحقيقة له اذ وهو الابن يكون بالولادة وكذا الام (والله يقول الحق) أي ماهو الحق ظاهره وباطنه (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله) وبين ان دعاءهم بآبائهم هو أدخل الامرين في القسط والعدل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه ولد الرجل ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينهما ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية (فان لم تعلموا آباءهم) فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم (فاخوانكم في الدين ومواليكم) أي فهم اخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لااثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي (ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولكن الاثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لااثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يابني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطف على ما الاولى ويجوز أن يراد العفو عن الخطا دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده واذا وجد التبني فان كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا منه ثبت نسبه منه وعتق ان كان عبدا له وان كان أكبر سنا منه لم يثبت النسب وعتق عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وعتق ان كان عبدا (وكان الله غفورا رحيما) لايؤاخذكم بالخطا ويقبل التوبة من المتعمد

على كظهر أمي يقول الله وماجعل نساءكم التي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله في سورة المجادلة ۞ قوله تعالى (وماجعل أدعياءكم) يعني الذين تتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخ بها التبني (ذلكم قولكم بافواهكم) أي لاحقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعاء النسب لاحقيقة له (والله يقول الحق) أي قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد الى سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) أي الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو أقسط عند الله) أي أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله الآية (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين) أي فهم اخوانكم (ومواليكم) أي كانوا محررين وليسوا ببنيكم أي فسموهم باسماء اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قبل النهي فنسبتموه الى غير أبيه (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به ان تدعوه الى غير أبيه وهو يظن انه كذلك (وكان الله غفورا رحيما) (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير أبيه

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي أحق بهم في كل شئ من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فعليهم ان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه أو هو أولى بهم أي أرأف بهم وأعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤف رحيم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) في تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن (وأولوا الارحام) وذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أي الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون لابتداء الغاية أي أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أي الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) الاستثناء من خلاف الجنس أي لكن فعلكم الى أوليائكم معروفا جائز وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشئ فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي واذ كر التوارث بالارحام كان مسطورا في اللوح (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لانهم أولوا العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم

وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام ۞ قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لان أنفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعا أي عيالا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع ۞ وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لاخوانهن وأخواتهن هن أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم انما أنا أم رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني ان ذوي القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة أباح أن يوصى لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا أن توصوا الى قرابتكم بشئ وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة (كان ذلك) أي الذي ذكر من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورا) أي مكتوبا مثبتا ۞ قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على أن يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم (ومنك) يعني يا محمد (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى

وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أى الانبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله وليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم أممهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (وأعد للكافرين) بالرسل (عذابا أليما) وهو عطف على أخذنا لان المعنى ان الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على مادل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (يا أيها

الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) أى ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة (اذ جاءتكم جنود) أى الاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير (فارسلنا عليهم ريحا) أى الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنسوان فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وكان الله بما تعملون) أى بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبى صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البغى والسعى فى اطفاء نور الله

البغوى باسناد الثعلبى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعنى أخذ ميثاقهم لكى يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من أرسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم فى قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فارسلنا عليهم ريحا) يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه ﴿قوله تعالى (وجنودا لم تروها) يعنى الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما تعملون بصيرا)

﴿ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب﴾

قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا

غطفان٢ وقيساوعيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة ابن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لانحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى مايحيك فيها منا شئ قليل ولا كثير فرنا فيها بأمرك فانا لانحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها يعنى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضاء مابين لابتيها حتى لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها ما برق أضاء مابين لابتيها حتى لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيأ مارأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرأيتم مايقول سلمان قالوا نعم يارسول قال ضربت ضربتى الاولى فبرق البرق الذى رأيتم فاضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق البرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فاخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فاخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ماحيينا أبدا

٢ قوله غطفان الخ كذا بالاصل وفى المواهب خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان زاد شارحها بعين مهملة قال الجوهرى وابس فى العرب عيلان غيره اه مصحح

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ❊ ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا ❊ وثبت الاقدام ان لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا ❊ اذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطيه رجعنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤم انى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الا خوفا ان آكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نعمى الى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هرق ماؤه ويرعد ويبرق ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على ان أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحق أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم ربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة حذر عضل القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال أوس بن قيظي أحد بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل

والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن
عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمارة المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أشئ أمرك الله به لابد لنا من العمل به
أم أمر تحبه فتصنعه أم شئ تصنعه لنا قال بل شئ أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا انى قد رأيت العرب قد
رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول
الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون أن يأكلوا
منا ثمرة واحدة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم أموالنا مالنا بهذا من حاجة والله
ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول سعد
الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وعدوهم محاصر وهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود أخو بنى عامر بن لؤى
وعكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو
بنى محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بنى كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يا بنى كنانة
فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت
العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين
الخندق وسلع وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها
وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما
كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال على يا عمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك
رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احداهما قال أجل قال له على فانى أدعوك الى الله ورسوله والى
الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال انى أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخى فوالله ما أحب انى أقتلك فقال على
لكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على على
فتناولا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان
منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى
وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل اليه على فقتله
فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا حاجة لنا فى جسده وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق
فى حصن بنى حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا فى الحصن وذلك قبل أن
يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربة وهو يقول

* لا باس بالموت اذا حان الاجل * فقالت له الحق يا بنى فقد والله اخترت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله

لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم
فقطع منه الاكحل رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى فلما أصابه قال خذها وأنا ابن
العرقة قال سعد عرق الله وجهك فى النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها
فانه لا قوم أحب الى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا
وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية قال محمد بن
اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت فى فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع

النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت قالت فقلت ياحسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يابنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لا يمنعنى من سلبه الا انه رجل قال مالى بسلبه حاجة يابنت عبد المطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فامرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا على ان أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فاننا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة

البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد ابن كعب القرظى وروى غيره عن ابراهيم التيمى عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخى قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا وخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن أخى والله لقد رأيتنى ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقى فى الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لى بد من القيام حين دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته فأخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتينى بخبرهم ولا تحدثن شيأ حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهمى وشددت على اسلابى ثم انطلقت أمشى نحوهم كأنما أمشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال وأبو سفيان قاعد يصطلى فأخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فأردت أن أرميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسى فقلت من أنت فقال سبحان الله أما تعرفنى أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعل قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أمشى فى حمام فأتيته وهو قائم يصلى فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه فى سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفاء فأدنانى النبى صلى الله عليه وسلم فأنامنى عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدرى ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل (اذجاؤكم من فوقكم) أى من فوق الوادى من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزارى فى ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدى فى بنى أسد وحيى بن أخطب فى يهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعنى من بطن الوادى من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمى من قبل الخندق وكان الذى جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير من ديارهم (واذ زاغت الابصار) أى مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تنظر الى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) أى زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته واذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) أى اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون

أسفل الوادى من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روى ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انهم يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم فربو عمرو وحمزة الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدنى وشامى وأبو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف فى الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسولا والسبيلا

زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال أقلى اللوم عاذل والعتابا * وهن كلهن فى الامام بالالف

(هنالك ابتلى المؤمنون) امتحنوا بالصبر على الايمان (وزلزلوا زلزالا شديدا) وحركوا بالخوف تحريكا بليغا (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين فى قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشبه عليهم (ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا) روى ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ماهذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبد الله بن أبى وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لامقام لكم) و بضم الميم حفص أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فارجعوا) عن الايمان الى الكفر أو من عسكر رسول الله الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبى) أى بنو حارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ذات عورة (وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا اذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عوره تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم

النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) أى عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلزالا شديدا) أى حركوا حركة شديدة (واذ يقول المنافقون) يعنى معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبى وأصحابه (والذين فى قلوبهم مرض) أى شك وضعف اعتقاد (ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا) هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور ۞ قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) أى من المنافقين وهم أوس بن قيظى وأصحابه (يا أهل يثرب) يعنى يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها فى قديم الزمان وفى بعض الاخبار أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طيبة كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ (لامقام لكم) أى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أى الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبى) يعنى بنى حارثة و بنى سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى خالية ضائعة وهى مما يلى العدو يخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا) أى انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعنى لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحى المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أى الشرك (لآتوها) أى لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام (وماتلبثوا بها) أى مااحتبسوا عن الفتنة (الا يسيرا) أى لأسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا ۞ قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) أى لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم أحد ان يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم مانزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أى عنه فى الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) يعنى الذى كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لابد من ذلك (واذا لا تمتعون) أى بعد الفرار (الا قليلا) أى مدة آجالكم وهى قليل (قل من ذا الذى يعصمكم) أى يمنعكم

عرضة للعدو والسارق لانها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أى ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع (الفتنة) أى الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لاعطوها لأتوها بلا مد مجازى أى لجاؤها وفعلوها (وماتلبثوا بها) باجابتها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو مالبثوا بالمدينة (من بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعورار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وماتعللوا بشئ وماذاك الا لمقتهم الاسلام وحبهم الكفر (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم الى الاحزاب (لا يولون الادبار) منهزمين (وكان عهد الله مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) أى ان كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم لم تمتعوا فى الدنيا الا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قل من ذا الذى يعصمكم

من الله) أي مما أراد الله انزاله بكم (ان أراد بكم سوأ) في أنفسكم من قتل أوغيره (أو أراد بكم رحمة) أي اطالة عمر في عافية وسلامة أو من يمنع الله من أن يرحمكم ان أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ناصرا (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي من يعوق عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يمنع وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) في الظاهر من المسلمين (هلم الينا) أي قربوا أنفسكم الينا ودعوا محمدا وهي لغة أهل الحجاز فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يارجل وهلما وايارجال وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر وقرب (ولا يأتون البأس) أي الحرب (الا قليلا) الا اتيانا قليلا أي

يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أشحة) جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في يأتون أي يأتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو أو منه عليه السلام (رأيتهم ينظرون اليك) في تلك الحالة (تدور أعينهم) يمينا وشمالا (كالذي يغشى عليه من الموت) كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك (فاذا ذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم (سلقوكم بالسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام أي يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم (أشحة على الخير) أي خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) في الحقيقة بل بالالسنة (فأحبط الله أعمالهم) أبطل باضمارهم الكفر ما أظهروه من الاعمال (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أي لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد انصرفوا (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) البادون جمع البادي أي يتمنا المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال (يسئلون) كل قادم منهم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول

(من الله ان أراد بكم سوأ) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ناصرا يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا وانا نشفق عليكم فأنتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فأقبل عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا ما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ۞ وقوله تعالى (ولا يأتون البأس) يعني الحرب (الا قليلا) أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) أي في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الامن (بالسنة حداد) أي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشحة على الخير) أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فأحبط الله أعمالهم) أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي احباط أعمالهم مع ان كل شئ على الله يسير ۞ قوله تعالى (يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعني قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم (وان يأت الاحزاب) أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسئلون عن أنبائكم) أي عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا الا قليلا) يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب ۞ قوله عز وجل (لقد كان لكم في رسول

الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد أو فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخاف الله و يخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قال ولمن بدل من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة أي أسوة حسنة كائنة لمن كان (وذكر الله كثيرا) أي في الخوف والرجاء والشدة والرخاء (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب فلما جاء الاحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا ان الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم (الا ايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضائه وقدره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما في المثل صدقني سن بكره أي صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان ابن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أي مات شهيدا كحمزة ومصعب وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لان كل حي من المحدثات لا بد له ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أي نذره (ومنهم من ينتظر) الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبديلا) ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب كما مر في قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار

استعارة

لله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) أي في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أي قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) أي فيما وعدا وهو في مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة و بلاء فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الا ايمانا) اي تصديقا لله (وتسليما) أي لامره ۞ قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة أو النصر على الاعداء (وما بدلوا) يعني عهدهم (تبديلا) (ق) عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من اجره شيأ منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الاذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته وهذه

(ليجزى الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (و يعذب المنافقين ان شاء) اذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفو الحوبة جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) حال أي مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أي غير ظافرين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا عزيزا) قادرا غالبا (وأنزل الله الذين ظاهروهم)

عاونوا الاحزاب (من أهل الكتاب) من بني قريظة (من صياصيهم) من حصونهم الصيصية ما تحصن به روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا ياجبريل قال من متابعة قريش فقال يارسول الله ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف و بضم العين شامي وعلي ونصب (فريقا) بقوله (تقتلون) وهم الرجال (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي المواشي والنقود والامتعة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم في منازلكم (وارضا لم تطؤها) بقصد القتال وهي مكة أو فارس والروم أو خيبر أو كل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) قادرا

استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنيها و يقطفها * عن أبي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد * قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) أي فيهديهم الى الايمان و يشرح له صدورهم (ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا) أي من قريش وغطفان (بغيظهم) أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم ينالوا خيرا) أي ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) أي بالملائكة والريح (وكان الله قويا) أي في ملكه (عزيزا) أي في انتقامه * قوله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيهم) أي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف (فريقا تقتلون) يعني الرجال يقال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وقيل وخمسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها) يعني بعد قيل هي خيبر و يقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا)

﴿ذكر غزوة بني قريظة﴾

قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد الى بني قريظة فانهد اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال و بلبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار علي حتى اذا

دنا من الحصون وسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يارسول الله لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الاخابث قال أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم يارسول الله قال لوقد رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلمادنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال ياخوان القردة قدأخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا ياأباالقاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يارسول الله مر بنا دحية ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبى صلى الله عليه وسلم لايصلين أحد العصر الافى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخيرة فماعابهم الله بذلك ولاعنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن أخطب دخل على بنى قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يامعشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ماترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وماهن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله قد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فقالوا الانفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولانترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما فى العيش بعدهم خير قال فان أبيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا فعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن أحدث فيه من قبلنا لامن قد علمت فاصابهم من المسخ مالم يخف عليك قال مابات رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبالبابة بن عبد المنذر أخابنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره فى أمرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلمارأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم فقالوا ياأبالبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبولبابة فوالله مازالت قدماى حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبولبابه على وجهه ولم يأت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ربط فى المسجد الى عمود من عمده وقال والله لاأبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله لايطأ أرض بنى قريظة أبدا ولايرانى الله فى بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أمالوقد جاءنى لاستغفرت له فاما اذ فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل توبة أبى لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم ضحكت يارسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة فقلت الا أبشره بذلك يارسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت ياأبالبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلمامر عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج فى تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمنى من عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه و بعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يارسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا احلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يامعشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده فى خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤا له وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى الاشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ من كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فأنزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرس من نساء بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبى صلى الله عليه وسلم وأتى بحيى بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تتحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت و يلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت حدثا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي و لزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أريد أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة و بني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فاني أسألك بيدي عندك يا ثابت الا ما ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى ألقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا أبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم في ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفرس ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري أخا بني الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يتزوجها و يضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا الثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسر بذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب الي أن وجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيأ فابقني له وان كنت قد أقطعت الحرب بينه و بينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رحماء بينهم (خ) عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلي الاحزاب الآن تغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده

واختيار كن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقوله قام يهددني (أمتعكن) أعطكن متعة الطلاق وتستحب المتعة لكل مطلقة الا المفوضة قبل الوطء (وأسرحكن) وأطلقكن (سراحا جميلا) لاضرار فيه أردن شيأ من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها وروي أنه قال لعائشة اني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخيير في الطلاق أنه اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أن تقع تطليقة بائنة واذا اختارت

لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده ۞ قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) أي متعة الطلاق (وأسرحكن سراحا جميلا) أي من غير ضرر (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيأ وطلبن منه زيادة في النفقة آذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فأخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الامر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لأقولن شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ان لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا قوله واجما أي مهتما والواجم الذي أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا

زوجها لم يقع شئ وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن) من للبيان لا للتبعيض (أجرا عظيما

يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) سيئة بليغة في القبح (مبينة) ظاهر فحشها من بين بمعنى تبين و بفتح الياء مكي وأبو بكر قيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (يضاعف لها العذاب) يضعف لها العذاب مكي وشامي فضعف أبو عمرو ويزيد و يعقوب (ضعفين) ضعفي عذاب غيرهن من النساء لان ماقبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر (وكان ذلك) أي تضعيف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هينا (ومن يقنت منكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نؤتها) وبالياء فيهما حمزة وعلي (أجرها مرتين) مثلي ثواب غيرها (وأعتدنا لها رزقا كريما) جليل القدر وهو الجنة (يانساء النبي لستن كاحد من النساء) أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وأحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وماوراءه (ان اتقيتن) ان أردتن التقوى أو ان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) أي اذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات (فيطمع) بالنصب على جواب النهي (الذي في قلبه مرض) ريبة وفجور (وقلن قولا معروفا) حسنا مع كونه خشنا (وقرن) مدني وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فحذفت الراء تخفيفا وألقيت فتحتها على ما قبلها أو من قار يقار اذا اجتمع والباقون قرن من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن فرارا من التكرار ونقلت كسرتها الى القاف (في بيوتكن) بضم الباء بصري ومدني وحفص

شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون

﴿فصل في حكم الآية﴾ اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري أبويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا ❁التفريع على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس واذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الا أن عند أصحاب الرأي يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد ابن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي أنها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ (ق) عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيأ ❁قوله تعالى (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من أتت بفاحشة فان الله تعالى صان أزواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثلي أجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى أنهن أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعني الجنة قوله تعالى (يانساء النبي لستن كاحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي (ان اتقيتن) يعني الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله هو الاتقى (فلا تخضعن بالقول) أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولا معروفا) أي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى ❁قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون

(ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) أى القديمة والتبرج التبختر فى المشى أواظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية الاولى وهى الزمان الذى ولد فيه ابراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الاسلام (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) خص الصلاة والزكاة بالامر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلا لهما لان من واظب عليهما جرتاه الى ما وراءهما (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته وقال عنكم لانه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (و يطهركم تطهيرا) من نجاسة الآثام ثم بين أنه انما نهاهن وأمرهن و وعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض منها نقى كالثوب الطاهر وفيه تنفير لاولى الالباب عن المناهى وترغيب لهم فى الاوامر (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) أى السنة أو بيان معانى القرآن (ان الله كان لطيفا) عالما بغوامض الاشياء (خبيرا) عالما بحقائقها اى هو عالم بافعالكن وأقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله ولما نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت (ان المسلمين والمسلمات) المسلم الداخل فى السلم بعد الحرب

(ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفهما منه وقيل كان فى زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشى به وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم فى آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها أخرى (وأقمن الصلاة) أى الواجبة (وآتين الزكاة) أى المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أى فيما أمر وفيما نهى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الاثم الذى نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (أهل البيت و يطهركم تطهيرا) هم نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وهو رواية سعيد ابن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرحال و بالجيم المنقوش عليه صور الرجال عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت فى بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ۞ قوله تعالى (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله) يعنى القرآن (والحكمة) قيل هى السنة وقيل هى أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا) أى بأوليائه وأهل طاعته (خبيرا) أى بجميع خلقه ۞ قوله عز وجل (ان المسلمين والمسلمات) الآية وذلك

المنقاد الذى لا يعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله (والمؤمنين) المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به (والمؤمنات والقانتين) القائمين بالطاعة (والقانتات والصادقين) فى النيات والاقوال والاعمال (والصادقات والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيآت (والخاشعين) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات) فرضا ونفلا (والصائمين والصائمات) فرضا ونفلا وقيل من تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين (والحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن (والذاكرات) الله فحذف لدلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لان الاول نظير قوله ثيبات وأبكارا فى انهما جنسان مختلفان واشتركا فى حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف بينهما وأما الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) على طاعاتهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فابت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (امرا) نزلت من الامور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) ان يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها وانما جمع الضمير فى لهم وان كان من حقه ان يوحد لان المذكورين وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير الى المعنى لا الى اللفظ ويكون بالياء كوفى والخيرة ما يتخير ودل ذلك على ان الامر للوجوب

ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الآية عن أم عمارة الانصارية قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت مالى أرى كل شئ الى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشئ فنزلت ان المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ان أم سلمة بنت أبى أمية وأنيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبى صلى الله عليه وسلم ما بال الرب يذكر الرجال ولا يذكر النساء فى شئ من كتابه ونخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب فدخلت على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فاتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفى خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يراد به أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقانتين والقانتات) الرابعة الصدق فى الاقوال والافعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساء وسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع فى الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعنى عما لا يحل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبى رباح من فوض أمره الى الله فهو داخل فى قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل فى قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل فى قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على طاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل فى قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل فى قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو داخل فى قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام فى كل شهر أيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل فى قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أى بمحو ذنوبهم (واجرا عظيما) يعنى الجنة ﴿ق﴾ قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم)

(ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) فان كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام الذى هو أجل النعمة (وأنعمت عليه) بالاعتاق والتبنى فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة (٥٠١) (أمسك عليك زوجك) زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعدما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فلا تطلقها وهو نهى تنزيه اذ الاولى ان لا يطلق أو واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) أى تخفى فى نفسك نكاحها ان طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى وقيل الذى أخفى فى نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد اياها والواو فى وتخفى فى نفسك (وتخشى الناس) أى قالة الناس انه نكح امرأة ابنه (والله أحق أن تخشاه) والواو للحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية .

نزلت هذه الآية فى زينب بنت جحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا فى الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعنى عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعنى أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمرا يعنى نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أى الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) أى أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر ۞ قوله عز وجل (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت فى زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب فى درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت فى نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد وألقى فى نفسه كراهيتها فى الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال له مالك أرابك منها شئ قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فى أمرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذى أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه أى بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش (واتق الله) أى فيها ولا تفارقها (وتخفى فى نفسك) أى تسر وتضمر فى نفسك (ما الله مبديه) أى مظهره قيل كان فى قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقيل ود أنه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هى أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى لكتم هذه الآية واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

(فصل) فان قلت ما ذكروه فى تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم عندها ما رآها وارادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهى بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك فى تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما فى هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن على

ابن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال مايقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يارسول الله اني أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين
ليس كذلك فان الله عز وجل قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني أريد
أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون
من أزواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر
ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم
محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لايجوز ان يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على أنه انما
عوتب على اخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا ان التي تحتك وفي
نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع
الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولاعيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك
المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله
عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فان قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا
بامساكها قلت هو ان الله تعالى أعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في
نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح
مثل ذلك لامته وقيل كان في أمره بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذه اذا جوزنا القول
المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد وهو مثل ذلك لايقدح في حال الانبياء
مع أن العبد غير ملوم على مايقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وانه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه
لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها مالم يقصد مأثما لان الود وميل النفس من
طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا اثم فيه وقوله والله
أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم
له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشياء ۞ قوله
عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها
نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها (زوجناكها) قال
أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق
سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لأدل عليك بثلاث ما من امرأة من
نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد واني أنكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م)
عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق
زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر اليها لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يازينب أرسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم
حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يارسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته

(فلما قضى زيد منها وطرا) الوطر الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) روى انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك أخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يازينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار

(لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذاقضوا منهن وطرا) قيل قضاء الوطر ادراك الحاجة و بلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذى يريد أن يكونه (مفعولا) مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد أو قدر له من عدد النساء (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترابا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبى من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم و وسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد (٥٠٣) كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية (فى الذين خلوا من قبل) فى الانبياء الذين مضوا من قبل (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ولا وقف عليه أن جعلت (الذين يبلغون رسالات الله) بدلا من الذين الاول ووقف ان جعلته فى محل الرفع أو النصب على المدح أى هم الذين يبلغون أو أعنى الذين يبلغون (و يخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) وصف الانبياء بأنهم لا يخشون الا الله تعريض فى قوله وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بان تخشى منه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب و ولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وابراهيم توفوا صبيانا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم و وجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء و زيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه كحكمهم والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لا غير (وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أى آخرهم يعنى لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كانه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل شئ عليما

أن القوم قد خرجوا أم غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بينى و بينه ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفى رواية أكثر وافضل ما أولم على زينب قال ثابت بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه ۞ قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أى اثم (فى أزواج أدعيائهم) جمع الدعى وهو المتبنى (اذا قضوا منهن وطرا) يقول زوجناك زينب وهى امرأة زيد الذى كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان أمر الله مفعولا) أى قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى فى زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) أى فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) معناه سن الله سنة فى الانبياء وهو أن لا حرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحرائر والسرارى فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أى قضاء مقضيا ان لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) أى فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه الى من أرسلوا اليهم (و يخشونه) أى يخافونه (ولا يخشون أحدا الا الله) أى لا يخافون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) أى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم ۞ قوله عز وجل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعنى زيد ابن حارثة والمعنى انه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه و بينه ما يثبت بين الاب و ولده من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابنى هذا سيد قلت قد أخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلدهم (ولكن رسول الله) أى ان كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له و وجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أى ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبى بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكان الله بكل شئ عليما) أى دخل فى علمه أنه لا نبى بعده فان قلت قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل فى آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض أمته (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه وأجمله الا موضع

ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) اثنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخر النهار وخصا بالذكر لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم والفعلان أي اذكروا الله وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجاز أن يراد (٥٠٤) بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر وأصيلا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) لما كان من شأن المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حين يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروى انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يارسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونه) أي يرونه (سلام) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة (ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم على تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به أي مقدرا به الصيد غدا (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار

لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة المقفي هو المولى الذاهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي بعده * قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا (وسبحوه) معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم أن يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء (بكرة وأصيلا) فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولاقوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يارسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزل الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يرون الله يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة ۞ قوله عز وجل (ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا)

(وداعيا الى الله باذنه) بامره أو بتيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على انه القرآن فيكون التقدير وذا سراج منيرا أو وتاليا سراجا منيرا ووصف بالانارة لان من السرج مالا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته أو شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا وحجة ظاهرة لحضرتنا (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) ثوابا عظيما (ولا تطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه (ودع أذاهم) هو بمعنى الايذاء فيحتمل أن يكون مضافا الى الفاعل أى اجعل ايذاءهم اياك فى جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايذائهم أو الى المفعول أى دع ايذاءك اياهم مكافأة لهم (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) وكفى به مفوضا اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله و بشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لانه اذا ترك اذاهم فى الحاضر والاذى لابد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن

جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أى تزوجتم والنكاح هو الوطء فى الاصل وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه كتسمية الخمر اثما لانها سببه وكقول الراجز * أسنمة الآبال فى سحابه * سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن الآبال وارتفاع أسنمتها ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله تعالى الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان وفى تخصيص المؤمنات مع ان الكتابيات تساوى المؤمنات فى هذا الحكم اشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلوة الصحيحة كالمس (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على ان العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تفتعلون من العد (فمتعوهن) والمتعة تجب للتى طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها

أى لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أى الى توحيده وطاعته (باذنه) أى بامره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج مالا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) أى ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) قال ابن عباس اصبر على أذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) أى حافظا ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى تجامعوهن فى الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهى طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول على وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة و به قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبى وقتادة وأكثر أهل العلم و به قال الشافعى وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعى وأصحاب الرأى وقال ربيعة ومالك والاوزاعى ان عين امرأة وقع وان عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم فى الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهى طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذى بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخارى فى ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أى تحصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق (فمتعوهن) أى أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال

(وسرحوهن سراحا جميلا) أي لا تمسكوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم اذ لا عدة لكم عليهن (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن اذ المهر أجر على البضع ولهذا قال الكرخي ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وايتاؤها اعطاؤها عاجلا أو فرضها وتسميتها في العقد (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهي صفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ومع ليس للقران بل لوجودها الحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فانزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهاجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) وأحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا انكرها قال ابن عباس هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أو زينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغيران (ان أراد النبي أن يستنكحها) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلا مهر حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خاص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه وعدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره أي تكرير النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا من المهور على أمتك في زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق (وما ملكت أيمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله

لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن ۞ قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي من السبي فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله انا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب جماعة الى أنها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كما في حق سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم ۞ وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من

الاحكام

(لكيلا يكون عليك حرج) ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم جملة اعتراضية (وكان الله غفورا رحيما) بالتوسعة على عباده (ترجي) بلا همز مدني وحمزة وعلي وخلف وحفص وبهمز غيرهم تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء) تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه اما أن يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها وروي أنه أرجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) أي ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك في ذلك أي ليس اذا عزلتها لم يجز لك ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أي أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ شاذا كلهن بالنصب تأكيدا لهن في آتيتهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى ويحذر (لا تحل لك النساء) بالتاء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل فمع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما

الاحكام في ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع الى أول الآية معناه أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكي لا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أي للواقع في الحرج (رحيما) أي بالتوسعة على عباده ۞ قوله تعالى (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي اليك) أي تضم اليك (من تشاء) قيل هذا القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنات لا ينكحن أبدا وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا في انه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن روي عن أبي رزين قال لما نزل التخيير أشفقن ان يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فأرجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمسا أم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وصفية فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك الا يسارع في هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة (فلا جناح عليك) أي لا اثم عليك فأباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب الى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتهن) أي أعطيتهن (كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما) أي بما في ضمائركم (حليما) أي عنكم ۞ قوله تعالى (لا تحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن

كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التى مات عنهن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن فى من أزواج لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم (ولو أعجبك حسنهن) فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير فى تبدل أى تتبدل لا من المفعول الذى هو من أزواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هى أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبى طالب فانها من أعجبه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له ان يتزوج من النساء ما شاء يعنى ان الآية نسخت ونسخها اما بالسنة أو بقوله انا احللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (الا ما ملكت يمينك) استثنى ممن حرم عليه الاماء ومحل ما رفع بدل من النساء (وكان الله على كل شئ رقيبا) حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم

فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وللنسائى عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابى بن كعب لو مات نساء النبى صلى الله عليه وسلم أ كان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا أن تبدل بهن من أزواج) أى بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك أى من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل فى قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من أزواج أى تبادل بأزواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك أى لا بأس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحرائر فلا (ولو أعجبك حسنهن) يعنى ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعنى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهى عن ذلك (الا ما ملكت يمينك) قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شئ رقيبا) أى حافظا وفى الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبى هريرة ان رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان فى أعين الانصار شيأ قال الحميدى يعنى هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ﴿ وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية فى شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم هانئ تواظبنى على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل فى مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبى صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبى صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبى صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بينى و بينه بالستر وأنزل الحجاب زاد فى رواية قال دخل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحيى من الحق (ق) عن عائشة ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر رضى الله عنه يقول للنبى صلى الله عليه وسلم أحجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل

الى طعام غير ناظرين اناه) ان يؤذن لكم في موضع الحال أي لا تدخلوا الا مأذونا لكم أو في معنى الظرف تقديره الا وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين أي غير منتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا أيها المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وانى الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى وقيل اناه وقته أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج ويخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى (٥٠٩) الله عليه وسلم ليخرجوا فأطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) فتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) هو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب أي ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) من اخراجكم (والله لا يستحيي من الحق) يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق أي لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم هذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا (واذا سألتموهن) الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عارية أو حاجة (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويود ان ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة فنزل (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أي وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعد موته (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما

فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الارض والأفيح الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم يعني الا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلون (غير ناظرين اناه) يعني منتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانتشروا) أي فاخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) أي لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) أي فيستحيي من اخراجكم (والله لا يستحيي من الحق) أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وقيل بحسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم (واذا سألتموهن متاعا) أي واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسألوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي ليس لكم أذاه في شيء من الاشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت

(ان تبدوا شيأ) من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن (أو تخفوه) فى أنفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعاقبكم به ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) أى نساء المؤمنات (ولا ماملكت أيمانهن) أى لا اثم عليهن فى ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم

والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفى هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل (واتقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه (ان الله كان على كل شئ شهيدا) عالما قال ابن عطاء الشهيد الذى يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى قولوا اللهم صل على محمد او صلى الله على محمد (وسلموا تسليما) أى قولوا اللهم سلم على محمد او انقادوا لامره وحكمه انقيادا وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال ان الله وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ثم هى واجبة مرة عند الطحاوى وكلما ذكر اسمه عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبى وآله فلا كلام فيه وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو شعار الروافض

واحدة

قبله لئلا تنكح بعده (ان تبدوا شيأ) أى من أمر نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) أى فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) أى يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة مابالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن أيضا يارسول الله نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله عز وجل (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أى لا اثم عليهن فى ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولا نسائهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام فى المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من أجناسهن (ولا ماملكت أيمانهن) اختلفوا فى ان عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ماملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد (واتقين الله) أى أن يراكن أحد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) أى من أعمال العباد (شهيدا) ۞ قوله عز وجل (ان الله وملائكته يصلون على النبى) قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أى حيوه بتحية الاسلام

❁ (فصل فى صفة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفضلها) ❁ اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب فى العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب فى كل صلاة فى التشهد الاخير وهو مذهب الشافعى واحدى الروايتين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر ٢ واختاره الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد ومازاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ق) عن أبى حميد الساعدى قال قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن أبى مسعود البدرى قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلى عليك يارسول الله فكيف نصلى عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على

---

٢ قوله واختاره الطحاوى الخ ضعيف والمعتمد قول الكرخى انها واجبة مرة وأما كلما ذكر فمستحبة أفاده فى مجمع الانهر وبه تعلم ما فى كلام النسفى اه

واحدة صلى الله عليه بها عشرا ✽ عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات أخرجه الترمذى وله عن أبى طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر فى وجهه فقلت انا لنرى البشر فى وجهك قال أتانى الملك فقال يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام ✽ عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ✽ عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى الامى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد أخرجه أبو داود ۞ قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث أنه كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذى يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أى أنا الذى أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذى تنسبونه الى الدهر فى زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون فى أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبى هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أى يؤذون أولياء الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن أن يلحقه أذى من أحد وأما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أى من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) قيل انها نزلت فى على بن أبى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت فى شأن عائشة وقيل نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة فى درع وخمار فشكوا ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين) أى يرخين ويغطين (عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء

ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله كالكفر وانكار النبوة مجازا وانما جعل مجازا فيهما وحقيقة الايذاء يتصور فى رسول الله لئلا يجتمع المجاز والحقيقة فى لفظ واحد (لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) طردهم الله عن رحمته فى الدارين (وأعد لهم عذابا مهينا) فى الآخرة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان ذاك يكون غير حق أبدا وأما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل قيل نزلت فى ناس من المنافقين يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف ايذاء المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا) تحملوا (بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ظاهرا (يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زال الثوب عن وجه المرأة ادنى ثوبك على وجهك

ومن للتبعيض أى ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة أو المراد أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلاليب وأن لا تكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالامة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها وذلك ان النساء فى أول الاسلام على هجيراهن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن فى النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة لحسبان الامة فامرن أن يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى أولى وأجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) لفجورهم وهم الزناة من قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض (والمرجفون فى المدينة) هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت ويكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة (لنغرينك بهم) (٥١٢) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) فى المدينة وهو عطف على لنغرينك لانه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه (الا قليلا) زمانا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل الافعال التى تسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لا يجاورونك الا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا ينتصب عن أخذوا لان ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء أن يقتلوا أينما وجدوا (فى الذين خلوا) مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى لا يبدل الله سنته بل يجريها مجرى واحدا فى الامم (يسئلك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فامر رسوله بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين بقوله (قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا أو لان الساعة فى معنى الزمان (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) هذا يرد مذهب الجهمية لانهم يزعمون أن الجنة والنار تفنيان ولا وقف على سعيرا لان قوله خالدين فيها حال عن الضمير فى لهم (لا يجدون وليا ولا نصيرا) ناصرا يمنعهم اذكر (يوم تقلب

وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) أى لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقى القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس

﴿ قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أى عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) أى فجور وهم الزناة (والمرجفون فى المدينة) أى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وتفشوا الاخبار (لنغرينك بهم) أى لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) أى لا يساكنونك فى المدينة الا قليلا أى حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة (ملعونين) أى مطرودين (أينما ثقفوا) أى وجدوا أو أدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) أى الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) أى كسنة الله (فى الذين خلوا من قبل) أى فى المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ قوله عز وجل (يسئلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها فى التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعنى ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) أى أى شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) أى انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتحنين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب

وجوههم

وجوههم فى النار) تصرف فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر اذا غلت وخصت الوجوه لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يقولون) حال (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التمنى (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا) جمع سيد ساداتنا شامى وسهل ويعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوى الاسنان منا أو علماءنا (فأضلونا السبيلا) يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) للضلال والاضلال (والعنهم لعنا كبيرا) بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالثاء تكثيرا لاعداد اللاعن ونزل فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس (ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها أو اتهامهم اياه بقتل هرون فأحياه الله

تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبدا لله وجيها (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صدقا وصوابا أو قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسددوا قولهم فى كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تقف

وجوههم فى النار) أى تتقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أى فى الدنيا (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنى رؤس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيلا) يعنى عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعنى ضعفى عذاب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) أى لعنا متتابعا ۞ قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أى فطهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) أى كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أوذى به موسى فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخارى ومسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شئ من جسده استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص واما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل ورأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر الضرب ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح أى أسرع وقوله ثوبى حجر أى دع ثوبى يا حجر قوله وطفق أى جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح وأصله أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل فى معنى الآية ان أذاهم اياه انه لما مات هرون فى التيه ادعوا على موسى أنه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بنى اسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا فى القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم فى القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد أوذى باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ أحمر يصبغ به الاديم ۞ قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله

على سد بدالا ان جواب الامر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعاتكم أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يمحها والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ماهو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والامر مع اتباع النهى مايتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعى الى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) وهو يريد بالامانة الطاعة لله وبحمل الامانة الخيانة يقال فلان حامل للامانه ومحتمل لها أى لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذ الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها يعنى ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملنها) أى أبين الخيانة فيها وان لا يؤدينها (وأشفقن منها) وخفن من الخيانة فيها (وحملها الانسان) أى خان فيها وأبى أن لا يؤديها (انه كان ظلوما) لكونه تاركا لاداء الامانة (جهولا) لاخطائه مايسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الامانة أى خانا ولم يطيعا ومن أطاع من الانبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خان بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن الا على أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم

(يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أى ظفر بالخير العظيم ﴿ قوله عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التى فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على أنهم اذا أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل فى المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هى الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعكها فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له وفى رواية عن ابن عباس هى أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا فى شئ لا فى قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الأمانة على أعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن أتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها والقول الاول أصح وهو قول العلماء (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان) يعنى آدم قال الله عز وجل لآدم انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فتحملها آدم فقال بين أذنى وعاتقى قال الله أما اذا تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن لا تنظر الى ما لا يحل فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فأغلقه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله أنه فرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام وقواه وأشده أن يحمله ويستقل به فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن

أين تذهب لقال أسوى العوج واللام فى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) للتعليل لان التعذيب هنا نظير التاديب فى قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا (و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وقرأ الاعمش و يتوب الله بالرفع

ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا أى لا يدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل فى تفسير الآية أقوال أخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال على كل شئ وائتمن آدم وأولاده على شئ فالامانة فى حق الاجرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فابين أن يحملنها أى أدين الامانة ولم يخن فيها وأما الامانة فى حق بنى آدم فهى ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الانسان أى خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

﴿فصل﴾ فى الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل انما هو النقطات فى الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شئ (خ) عن أبى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاء اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب

قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى بما خانوا الامانة ونقضوا العهد (و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى يهديهم و يرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله و يظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير فى بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة سبأ وهى مكية﴾

﴿أربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة [٢] وألف وخمسمائة واثناعشر حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمد و يثنى عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذى له ما فى السموات وما فى الارض أى ملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) أى كما هو له فى الدنيا لان النعم فى الدارين كلها منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد

ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل و يبتدئ و يتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة و يتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافى كان نوعا من عذاب الغادر واللعاقبة أى حملها الانسان فآل الامر الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء (وكان الله غفورا) للتائبين (رحيما) بعباده المؤمنين والله الموفق للصواب

﴿سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد) ان أجرى على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود وان أجرى على الاستغراق فله لكل المحامد الاستحقاق (لله) بلام التمليك لانه خالق ناطق الحمد أصلا فكان بملكه مالك الحمد للتحميد هلا (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا وقهرا فكان حقيقا بان يحمد سرا وجهرا (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا اذ النعم فى الدارين من المولى غير أن الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكليف وانما يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر

[٢] قوله وثلاث وثلاثون كذا ببعض نسخ الخازن وفى بعضها بدون ثلاث وفى الخطيب ثلاث وثمانون وعلم الصواب من ذلك عند العليم الخبير اهـ

العظيم بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (وهو الحكيم) بتدبير ما في السماء والارض (الخبير) بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض (يعلم) مستأنف (ما يلج) ما يدخل (في الارض) من الاموات والدفائن (وما يخرج منها) من النبات وجواهر المعادن (وما ينزل من السماء) من الامطار وأنواع البركات (وما يعرج فيها) يصعد اليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بانزال ما يحتاجون اليه (الغفور) لما يجترؤن عليه (وقال الذين كفروا) أي منكر والبعث (لا تأتينا الساعة) نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة (قل بلى) أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ليس الامر الا اتيانها (وربي لتأتينكم) ثم أعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدني وشامي أي هو عالم الغيب علام الغيب حمزة وعلي على المبالغة (لا يعزب عنه) وبكسر الزاي علي يقال عزب يعزب ويعزب ذا غاب وبعد (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (الا في كتاب مبين) الا في اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الا بمعنى لكن أو رفعا بالابتداء والخبر في كتاب واللام في (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعلق بلتأتينكم تعليلا له (والذين سعوا في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معاجزين) مسابقين ظانين انهم يفوتوننا معجزين مكي وأبو عمرو

(٥١٦)

كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) أي الذي أحكم أمور الدارين (الخبير) أي بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج في الارض) أي من المطر والكنوز والاموات (وما يخرج منها) أي من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يعرج فيها) أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أي للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه ۞ قوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) معناه انهم أنكروا البعث وقيل استبطؤا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية (قل بلى وربي لتأتينكم) يعني الساعة (عالم الغيب) أي لا يفوت علمه شيء من الخفيات واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها آتية (لا يعزب عنه) أي لا يغيب عنه (مثقال ذرة) أي وزن ذرة (في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر الا في كتاب مبين) أي في اللوح المحفوظ (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) أي لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي في ابطال أدلتنا (معجزين) أي يحسبون انهم يفوتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني انه من عند الله (ويهدي) يعني القرآن (الى صراط العزيز الحميد) أي الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعني المنكرين للبعث المتعجبين منه (هل ندلكم) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبئكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم بأعجوبة من الاعاجيب وهي انكم (اذا مزقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا (انكم لفي خلق جديد) أي يقول انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد

أي مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها أو ناسبين الله الى العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب أي عذاب أليم من سيء العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (ويرى) في موضع الرفع بالاستئناف أي ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) أي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو في موضع النصب معطوف على ليجزي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان (ويهدي) الله أو الذي أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وقال قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نكروه مع انه كان مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم تجاهلا به وبأمره وباب التجاهل في البلاغة والى سحرها (ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) أي يحدثكم بأعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلاء كل ممزق أي يفرقكم كل تفريق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل في اذا ما دل عليه انكم لفي خلق جديد أي تبعثون والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل

ولايجوزانكم بالفتح للام فى خبره (أفترى على الله كذبا) أهو مفترعلى الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها (أم به جنة) جنون يوهمه ذلك و يلقيه على لسانه (بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون فى شئ وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنان فى وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلا كأنهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازى لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم) و بالادغام على للتقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الارض أو نسقط) الثلاثة (٥١٧) بالياء كوفى غير عاصم لقوله أفترى على الله كذبا (عليهم كسفا) كسفا حفص (من السماء) أى أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لايقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم الرسول و بما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الايكة (ان فى ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدل عليه من قدرة الله تعالى (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له اذ المنيب لايخلو من النظر فى آيات الله على انه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال) بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا ياجبال أو قلنا ياجبال (أوبى معه) من التأويب رجعى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفى هذا النظم من الفخامة مالايخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعارا بانه مامن حيوان الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة (أن اعمل) أن بمعنى أى او أمرناه أن اعمل (سابغات) دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم

ان تكونوا رفاتا وترابا (أفترى على الله كذبا) أى أهو مفترعلى الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (أم به جنة) أى جنون يوهمه ذلك و يلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون شئ وهو مبرأ منهما (بل الذين لايؤمنون بالآخرة) يعنى منكرى البعث (فى العذاب والضلال البعيد) أى عن الحق فى الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أى فيعلموا انهم حيث كانوا فى أرضى وتحت سمائى فان أرضى وسمائى محيطة بهم لايخرجون من أقطارها وأنا قادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) أى كما خسفنا بقارون (أو نُسقِطْ عليهم كِسَفا من السماء) أى كما فعلنا باصحاب الايكة (ان فى ذلك) أى فيما ترون من السماء والارض (لآية) أى تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) أى تائب راجع الى الله بقلبه ۞ قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعنى النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (ياجبال أوبى معه) أى وقلنا ياجبال سبحى معه اذا سبح وقيل رجعى معه اذا رجع ونوحى معه اذا ناح (والطيرَ) أى وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل أو فتور أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (وألنا له الحديد) يعنى كان الحديد فى يده كالشمع أو كالعجين يعمل منه مايشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لايعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ماتقول فى داود والى كم هذا أى رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ماهى ياعبد الله قال انه يأكل و يطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها و يطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لايأكل الا من عمل يده (أن اعمل سابغات) أى دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب فى الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر فى السرد) أى ضيق فى نسج الدرع وقيل قدر المسامير فى حلق

ما تقولون في داود فيثنوا عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتقصم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (صالحا) خالصا يصلح للقبول (إني بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا ورفع الريح أبو بكر وحماد والفضل أي لسليمان الريح مسخرة (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند (وأسلنا له عين القطر) أي معدن النحاس فالقطر النحاس وهو الصفر ولكنه أساله وكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب وسماه عين القطر باسم ما آل اليه (ومن الجن من يعمل) من في موضع نصب أي وسخرنا من الجن من يعمل (بين يديه بإذن ربه) بأمر ربه (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) الذي أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد أو مساكن قصورا

الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (إني بما تعملون بصير) ﴿ قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه أن مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند (وأسلنا له عين القطر) أي أذبنا له عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما أمرهم به (ومن يزغ) أي يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عمل له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفعه قامة رجل فأوحى الله اليه لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي اتمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا وأنزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أماكنها فأتي من ذلك بشيء كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلئ فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده بأساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بني اسرائيل وأعلمهم أنه بناه لله تعالى وان كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النسائي ولغير النسائي سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحو قوله لا ينهزه أي لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن

(وتماثيل) أي صور السباع والطيور وروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران باجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ (وجفان) جمع جفنة (كالجواب) جمع جابية وهي الحياض الكبار قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل كالجوابي في الوصل والوقف مكي ويعقوب وسهل وافق أبو عمرو في الوصل الباقون بغير ياء اكتفاء بالكسرة (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أي ارحموا أهل البلاء واسألوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا مفعول له أو حال أي شاكرين (٥١٩) أو اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا

قصورا وحصونا عجيبة من الصخر ۞ وقوله عز وجل (وتماثيل) أي ويعملون له تماثيل أي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل أن اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز أن يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس أظله النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من أراد الدنو منه (وجفان) أي قصاع (كالجواب) أي كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) أي ثابتات على اثافيها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمهن أو كان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عباديَ الشكور) أي قليلٌ العاملُ بطاعتي شكرًا لنعمتي ۞ قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك أنه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاي شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولاي شيء نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عمّ على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب شيأ ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا دأبا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ما دلهم على موته الا دابة الارض) يعني الارضة (تأكل منسأته) قال البخاري يعني عصاه (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه علمت

من حيث ان العمل للمنعم شكر له أو مفعول به يعني انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدي المعبود (وقليل من عبادي) بسكون الياء حمزة وغيره بفتحها (الشكور) المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن عباس رضي الله عنه من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وحكي عن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلهم) أي الجن وآل داود (على موته الا دابة الارض) أي الارضة وهي دويبة يقال لها سرفة والارض

فعلها فاضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة (تأكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لانه ينسأ بها أي يطرد ومنساته بغير همز مدني وأبو عمرو (فلما خر) سقط سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) وروي أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ربه أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت

المقدس لاربع مضين من ملكه وروى ان أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسد ان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعده أن يدنو منه (لقد كان لسبأ) بالصرف بتأويل الحي و بعدمه أبو عمرو بتأويل القبيلة (في مسكنهم) حمزة وحفص مسكنهم علي وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم (آية) اسم كان (جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهما آية ان أهلها لما أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا و يتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم أو جعلهما آية أي علامة دالة على قدرة الله واحسانه ووجوب شكره (عن يمين وشمال) أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستان كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بان يقال لهم ذلك ولما أمرهم بذلك أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط عندها فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها (فأعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي المطر الشديد أو العرم اسم الوادي أو هو الجرذ الذي نقب عليهم السكر لما طغوا واسلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرقهم

الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت و يظنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية انه ظهر أمر الجن وانكشف للانس أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين ۞ قوله عز وجل (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) عن فروة بن مسيك المرادي قال لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم و بجيلة أخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أي بمأرب من أرض اليمن آية أي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أي بستانان (عن يمين وشمال) أي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أي قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) أي من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيأ (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أي أرض مأرب وهي سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب أي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره ۞ قوله عز وجل (فأعرضوا) قال وهب أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذي لا يطاق قيل كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يحبس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان الذي يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا

(و بدلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (ذواتى أكل خمط) الاكل الثمر يثقل ويخفف وهو قراءة نافع ومكي والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك (وأثل وشيء من سدر قليل) الاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون الاكل وهو غير أبي عمرو ان أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف، وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ووجه أبي عمرو ان أكل الخمط في معنى البرير وهو ثمر الاراك اذا كان غضا فكأنه قيل ذواتى برير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وعن الحسن قال السدر لانه أكرم ما بدلوا لانه يكون في الجنان (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي جزيناهم ذلك (٥٢١) بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وهل يجازى الا الكفور) كوفي غير أبي بكر وهل نجازى الا الكفور غيرهم يعني وهل نجازى مثل هذا الجزاء الا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أو هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى الاثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام (وجعلنا بينهم) بين سبا (وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام (قرى ظاهره) متوصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهي أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر في قرية ويروح في أخرى الى أن يبلغ الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثمة ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك (ليالي وأياما آمنين) أي سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أي سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وان تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالي (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قالوا يا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح في التجارات ونفاخر في الدواب والاسباب بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكي وأبو عمرو (وظلموا) بما قالوا (أنفسهم فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا

عند ها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة جرذاء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد وحفرت حتى أوهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط) قيل هو شجر الاراك وثمره البرير وقيل كل نبت أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به (وأثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا أنه أعظم منه (وشيء من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوا مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل يجازى الا الكفور) أي هل يكافأ بعمله الا الكفور لله في نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى ويجزى بحسناته ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أي وقلنا لهم سيروا (فيها ليالي وأياما) أي في أي وقت شئتم (آمنين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيها وطلبوا الكد والتعب في الاسفار (فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا) وقرئ باعد بين أسفارنا أي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة (وظلموا أنفسهم) أي بالبطر والطغيان (فجعلناهم أحاديث) أي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق وقيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فأما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج

أيدى سبا وتفرقوا أيادى سبا فلحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) عن **المعاصى** (شكور) للنعم أو لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) بالتشديد كوفى أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وبالتخفيف غيرهم أى صدق فى ظنه (فاتبعوه) الضمير فى عليهم واتبعوه لاهل سبأ ولبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله (الا فريقا من المؤمنين) لقلتهم بالاضافة الى الكفار ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا (من سلطان) من تسليط واستيلاء بالوسوسة (الا لنعلم) موجودا ما علمناه معدوما والتغيير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ) محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركى قومك (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى زعمتموهم آلهة من دون الله فالمفعول الاول الضمير الراجع الى الموصول وحذف كما حذف فى قوله أهذا الذى بعث الله

استخففا لطول الموصول بصلته والمفعول الثانى آلهة وحذف لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه والتجؤا اليهم فيما يعروكم كما تلتجؤن اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك) وما لهم فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق ولا فى الملك (وماله) تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أى أذن له الله يعنى الامن وقع الاذن للشفيع لاجله وهى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمرو أى لاجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اذن له كوفى غير عاصم الا الاعمش (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أى كشف الفزع من قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن وفزع شامى أى الله تعالى والتفزيع ازالة الفزع وحتى غاية لما فهم من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم كانه قيل يتربصون ويتوقعون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم (قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى (وهو العلى الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى

ولحق آل خزيمة بالعراق (ان فى ذلك لآيات) أى لعبرا ودلالات (لكل صبار) أى عن المعاصى (شكور) أى لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر ۞ قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على أهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه فى أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن متقينا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) أى ما كان تسليطنا اياه عليهم (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) أى لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب (وربك على كل شئ حفيظ) أى رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ ۞ قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أى انهم آلهة (من دون الله) والمعنى أدعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) يعنى من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) أى للآلهة (فيهما) أى فى السموات والارض (من شرك) أى من شركة (وماله) أى الله (منهم) أى من الآلهة (من ظهير) عوين (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أى لمن أذن الله له فى الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى الا لمن أذن الله فى أن يشفع له (حتى اذا فزع عن قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذى قال (الحق وهو العلى الكبير) وللترمذى اذا قضى الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال الترمذى حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون

(قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله) أمره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فمالكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره أن يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين (٥٢٣) من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفى درجه بعد ما تقدم ماقدم من التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض ونحوه قولك للكاذب أحدنا لكاذب وخولف بين حرفى الجر الداخلين على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس فى ظلام لا يرى أين يتوجه (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) هذا أدخل فى الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور والعمل الى المخاطبين وهو مأمور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحقتموهم (به) بالله (شركاء) فى العبادة معه ومعنى قوله أرونى وكان يراهم ان يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الاشراك به (كلا) ردع وتنبيه أى ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشان (الحكيم) فى تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج معنى الكافة فى اللغة الاحاطة والمعنى أرسلناك جامعا للناس فى الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء

يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة أو ستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى الكبير أى ذو العلو والكبرياء ۞ قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والارض) يعنى المطر والنبات (قل الله) يعنى ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل أنت ان رازقكم هو الله (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف فى الحجاج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبى صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه فى ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء ۞ فشركما لخيركما الفداء

وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين (قل لا تسئلون عما أجرمنا) أى لا تؤاخذون به (ولا نسئل عما تعملون) أى من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعنى يوم القيامة (ثم يفتح) أى يقضى ويحكم (بيننا بالحق) أى بالعدل (وهو الفتاح) أى القاضى (العليم) أى بما يقضى (قل أرونى) علمونى (الذين ألحقتم به) أى بالله (شركاء) أى الاصنام التى أشركوها معه فى العبادة هل يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله (كلا) كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أى الغالب على أمره (الحكيم) أى فى تدبير خلقه فانى يكون له شريك فى ملكه ۞ قوله عز وجل (وما أرسلناك الا كافة للناس) أى للناس كلهم عامة أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة فى الحديث بيان الفضائل التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمس لم

الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أقر (ونذيرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة المشار اليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم وأما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول بعير سانية (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم اليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم انهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه (وقال الذين كفروا) أي أبو جهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى انهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم الى بعض القول) في الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب (يقول الذين استضعفوا) أي الاتباع (للذين استكبروا) أي للرؤس والمقدمين (لولا أنتم لكنا مؤمنين) لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى) أولى الاسم أي نحن حرف الانكار لان المراد انكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم أتوا من قبل اختيارهم (بعد اذ جاءكم) انما وقعت اذ مضافا اليها وان كانت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية لانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف اليها الزمان (بل كنتم مجرمين) كافرين لاختياركم وايثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) لم يأت بالعاطف في قال الذين استكبروا وأتى به في وقال الذين استضعفوا لان الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول (بل مكر الليل والنهار) بل مكركم بنا بالليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي أي الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على الحق (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباها والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد (وأسروا الندامة) أضمروا وأظهروا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما رأوا العذاب) الجحيم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال

تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافا تكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بأن يزاد في آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والانجيل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا أنتم لكنا مؤمنين) يعني أنتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أي أجاب المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا أنحن صددناكم) أي منعناكم (عن الهدى) أي عن الايمان (بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسروا الندامة) أي أظهروها وقيل أخفوها وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا)

(هل يجزون الا ما كانوا يعملون) فى الدنيا (وما أرسلنا فى قرية من نذير) نبى (الا قال مترفوها) متنعموها ورؤساؤها (انا بما أرسلتم به كافرون) هذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وافتخروا بكثرة الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) أرادوا انهم أكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى أحوالهم فى الدنيا وظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وأضيق عليهما فلا ينقاس عليهما أمر الثواب بقوله (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب على المصدر أى تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الارض نباتا (الا من آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم فى تقربكم يعنى ان الاموال لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرب أحدا الا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عباس الا بمعنى لكن ومن شرط جوابه (فاولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول فاصله أولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرأ يعقوب جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) بأعمالهم (وهم فى الغرفات) أى غرف منازل الجنة الغرفة حمزة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون فى آياتنا) فى ابطالها (معجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق) يوسع (لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم) ما شرطية فى موضع النصب (من شئ) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المطعمين لان كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى (ويوم نحشرهم جميعا)

أى فى النار الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى من الكفر والمعاصى فى الدنيا ۞ قوله عز وجل (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى رؤساؤها وأغنياؤها (انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعنى المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) يعنى لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا وأولادا (وما نحن بمعذبين) أى ان الله قد أحسن الينا فى الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا فى الآخرة (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى انها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى بالتى تقربكم عندنا تقريبا (الا) أى لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه منى (فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة (وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا) أى يعملون فى ابطال حججنا (معجزين) أى معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون) ۞ قوله عز وجل (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) أى يعطى خلفه اذا كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لا ينفد واما بالثواب فى الآخرة الذى كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أى خير من يعطى ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدى هؤلاء وهو الرزاق الحقيقى الذى لا رازق سواه ۞ قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى هؤلاء الكفار

ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) و بالياء فيهما حفص و يعقوب هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك أعني واسمعي ياجاره ۞ ونحوه قوله أأنت قلت للناس اتخذوني الآية (قالوا) أي الملائكة (سبحانك) تنزيها لك أن يعبد معك غيرك (أنت ولينا) الموالاة خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت الذي نواليه (من دونهم) اذ لاموالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أكثرهم) اكثر الانس أو الكفار (بهم) بالجن (مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون و يتنافعون والمراد انه لاضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) (٥٢٦) في الدنيا (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) اي المشركون (ما هذا) أي محمد (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الا افك مفترى وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن أو لامر النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بمثله (ان هذا) أي الحق (الا سحر مبين) بتوه على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أي ما أعطينا مشركي مكة كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين من قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتي الاولون من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال والاولاد (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله و بالياء في الوصل والوقف يعقوب أي فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل انما أعظكم بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير وهي ان تقوموا والنصب على تقدير أعني وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجمعهم عنده أو قيام القصد الى الشيء دون النهوض والانتصاب والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا (لله)

(ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك ۞ وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) أي مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعة (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) أي يقرؤنها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أي من الامم السالفة رسلنا (وما بلغوا) يعني هؤلاء المشركين (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية ۞ قوله عز وجل (قل انما أعظكم) أي آمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (أن تقوموا لله)

أى لوجه الله خالصا لالحية ولا عصبية بل لطلب الحق (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) فردا فردا (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران و يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه و ينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفة و يعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر و يعمى البصائر و يمنع من الروية و يقل الانصاف فيه و يكثر الاعتساف و يثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا (مابصاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا مابصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدى الساعة ثم بين انه لا يطلب أجرا على الانذار بقوله (قل ماسألتكم من أجر) على انذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط تقديره أى شئ سألتكم من أجر كقوله مايفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفى مسئلة

الاجر أسا نحو مالى فى هذا فهو لك أى ليس لى فيه شئ (ان أجرى) مدنى وشامى وأبو بكر وحفص و بسكون الياء غيرهم (الا على الله وهو على كل شئ شهيد) فيعلم انى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه (قل ان ربى يقذف بالحق) بالوحى والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد و يستعار لمعنى الالقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفيه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه و ينزله الى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه و يزهقه (علام الغيوب) مرفوع على البدل من الضمير فى يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (ومايبدئ الباطل ومايعيد) أى زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحى فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق و زهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه و يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد وقيل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل أو لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يبعثه فالمنشئ والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على نفسى) ان ضلالى منى وعلى (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) أى فبتسديده بالوحى الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فانما أهتدى لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولكن هما متقابلان معنى لان النفس كل ماهو و بال عليها وضار لها فهو بها و بسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع) لما أقوله لكم (قريب) منى ومنكم يجازينى و يجازيكم (ولو ترى) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة

أى لاجل الله (مثنى) أى اثنين اثنين (وفرادى) أى واحدا واحدا (ثم تتفكروا) أى تجتمعوا جميعا فتنظروا وتحاوروا وتتفكروا فى حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن (مابصاحبكم من جنة) ومعنى الآية انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران و يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر فى نفسه أيضا بعدل ونصفة هل رأينا فى هذا الرجل جنونا قط أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مابه من جنة بل قد علمتم انه من أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرصنهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال و يمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبى نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا أى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال مابصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ماسألتكم) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (فهو لكم) أى لم أسألكم شيأ (ان أجرى) أى ثوابى (الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق) أى يأتى بالوحى من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) أى خفيات الامور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل ومايعيد) أى ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدئ شيأ أو تعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس أحدا ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون أنتم فانما أضل على نفسى أى اثم ضلالتى على نفسى (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) أى من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) ۞ قوله عز وجل (ولو ترى) أى يا محمد

(اذفزعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلافوت) فلامهرب أوفلا يفوتون الله ولا يسبقونه (وأخذوا) عطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لافوت على معنى اذفزعوا فلم يفوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنابه) بمحمد عليه السلام لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة أو بالله (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد ان التوبة كانت تقبل منهم فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم مالا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع التناؤش بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص همزت الواو لان كل واو مضمومة ضمة لازمة ان شئت أبدلتها همزة وان شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وان شئت قلت ادؤر وتقاؤم وعن ثعلب التناؤش بالهمز التناول من بعد وبغير همز التناول من قرب (وقد كفروا به من قبل) من قبل العذاب أو فى الدنيا (ويقذفون بالغيب) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشئ الغائب

يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والثواب أو هو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما جاء به السحر والشعر وأبعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبى عمرو على البناء للمفعول أى تأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنابه على انه مثلهم فى طلبهم تحصيل ماعطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد ممن يقذف شيأ من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز ان يكون الضمير فى آمنابه للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من ان يعذبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحيل) وحجز (بينهم وبين مايشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله ارجعنا نعمل صالحا والافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه (كما فعل بأشياعهم من قبل) بأشباههم من الكفرة (انهم كانوا فى شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع فى الريبة من أرابه اذا أوقعه فى الريبة هذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله اعلم ﴿سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله) حمد ذاته تعليما وتعظيما (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (والارض جاعل

(اذفزعوا) أى عند البعث أى حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلافوت) أى لا يفوتوننا ولا نجاة لهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعنى عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذ فزعوا لرأيت أمرا تعتبر به (وقالوا آمنا به) أى حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وأنى لهم التناوش) أى التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أى من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعنى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كما فعل بأشياعهم) أى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أى لم تقبل منهم التوبة والايمان فى وقت اليأس (انهم كانوا فى شك) أى من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) أى موقع فى الريبة والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة﴾

﴿وهى مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) أى خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق (جاعل

الملائكة

الملائكة رسلا) الى عباده (أولى) ذوى اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا أو نعت له (أجنحة) جمع جناح (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرر بر الى غير تكرر وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة وطائفة أجنحتهم اربعة اربعة (يزيد فى الخلق) اى يزيد فى خلق الاجنحة وغيره (مايشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الرأى وذلاقة فى اللسان ومحبة فى قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفتح الله للناس من رحمة) نكرت الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك (فلا ممسك لها) فلا أحد يقدر على امساكها وحبسها واستعير الفتح للاطلاق والارسال ألا ترى الى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسل له) مطلق له (من بعده) من بعد امساكه وأنث الضمير الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره حملا على اللفظ (٥٢٩) المرجع اليه اذ لا تأنيث فيه لان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على أصل التذكير وعن معاذ مرفوعا لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الامة مالم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمة الله عليكم) وهى التى تقدمت من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفة لديه والزيادة فى الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وحمزة على الوصف لفظا (يرزقكم) يجوز ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون صفة لخالق (من السماء) بالمطر (والارض) بانواع النبات (لا اله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها (فانى تؤفكون) فبأى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له فى الانبياء قبله اسوة ولهذا نكر رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لان الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب بالتكذيب عن التأسى (والى الله ترجع الامور) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه ترجع بفتح التاء شامى وحمزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) كائن (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا)

الملائكة رسلا) أى الى الانبياء (أولى أجنحة) أى ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد فى الخلق مايشاء) أى يزيد فى خلق الاجنحة مايشاء قال عبد الله بن مسعود فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح وقيل فى قوله يزيد فى الخلق مايشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتميز (ان الله على كل شئ قدير) أى مما يريد أن يخلقه ۞ قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا ممسك لها) أى لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أى لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أى فيما أمسك (الحكيم) أى فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت أى لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك ۞ قوله عزوجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أى لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) يعنى المطر (والارض) أى النبات (لا اله الا هو فانى تؤفكون) أى من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أى فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه ۞ قوله تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد القيامة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) أى لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله

فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان فانه يمنيكم الامانى الكاذبة ويقول ان الله غنى عن عبادتك وعن تكذيبك (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته فى سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته هو ان يوردهم مورد الهلاك بقوله (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ثم كشف الغطاء فبنى الامر كله على الايمان وتركه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أى فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لانه صار من حزبه أى أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبيه عليه السلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) بتزيين الشياطين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه فلا تذهب نفسك يريد أى لا تهلكها حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلته (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح) الريح مكى وحمزة وعلى (فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت) بالتشديد مدنى وحمزة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فأحيينا به) بالمطر لتقدم ذكره ضمنا (الارض بعد موتها) يبسها وانما قيل فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها أثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية وهو بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف فى محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك أقمت ما يدل عليه مقامه وفى الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان ما يطلب به العزة هو

قوله وقيل مجاز الآية الخ يعلم بما ذكره الامام النسفى عن الزجاج انه غير ظاهر فليتأمل اه

(ولا يغرنكم بالله الغرور) أى لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصى (انما يدعو حزبه) أى أشياعه وأولياءه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) ۞ قوله عز وجل (أفمن زين لهم سوء عمله) قال ابن عباس نزلت فى أبى جهل ومشركى مكة وقيل نزلت فى أصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفى الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشا) ٧ وقيل مجاز الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تَذهبْ نفسُك عليهم حسراتٍ) فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا) أى تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجىء به (فسقناه) أى فنسوقه (الى بلد ميّتٍ فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) أى مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه ۞ قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله

الايمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله اليه الى محل القبول والرضا وكل ما اتصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود أو الى حيث لا ينفذ فيه الا حكمه والكلم الطيب كلمات التوحيد أي لا اله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه و بين واحده الا التاء يذكر و يؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العامل أي العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل و يشرفه أي من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فانه هو الذي يرفع العبد (والذين يمكرون السيآت) هي صفة لمصدر محذوف أي المكرات السيآت لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا في دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (لهم عذاب شديد) في الآخرة (ومكر أولئك) مبتدأ (هو) فصل (يبور) خبر أي ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أي يفسد و يبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى و يمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله (والله خلقكم) أي أباكم (من تراب ثم) أنشأكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) هو في موضع الحال أي الا معلومة له (وما يعمر من معمر) أي وما يعمر من أحد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه (ولا ينقص من عمره الا في كتاب) يعني اللوح أو صحيفة الانسان ولا ينقص زيد فان قلت الانسان اما معمر أي طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق أو تأويل الآية انه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (ان ذلك) أي احصاؤه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله يسير) سهل

وهو دعاء الى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولأوليائه المؤمنين (اليه) أي الى الله (يصعد الكلم الطيب) قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا للقائلهن حتى يجيء بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفي اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد أي يقبل الله الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني وليس بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة الى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا أن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال (والذين يمكرون السيئات) أي يعملون السيئات أي الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) أي يبطل و يهلك في الآخرة قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) يعني آدم (ثم من نطفة) يعني ذريته (ثم جعلكم أزواجا) يعني أصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم بعضا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) أي لا يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز أن يزاد ذلك وقرأ هذه الآية (الا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أي كتابة الآجال والاعمال على الله هين قوله

(ومايستوى البحران هذا) أى أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة وقيل هو الذى يكسر العطش (سائغ شرابه) مرئ سهل الانحدار لعذوبته و به يرتفع شرابه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذى يحرق بملوحته (ومن كل) ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) وهى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء أى شقته وهى جمع ماخرة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمه وعطائه و يحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل) يدخل من ساعات أحدهما فى الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وسخر الشمس والقمر) أى ذلل أضواء صوره لاستواء سيره (كل يجرى لاجل مسمى) أى يوم القيامة ينقطع جريهما (ذلكم) مبتدأ (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام التى تعبدونها من دون الله يدعون قتيبة (ما يملكون من قطمير) هى القشرة

الرقيقة الملتفة على النواة (ان تدعوهم) أى الاصنام (لايسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لانهم لايدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها (و يوم القيامة يكفرون بشرككم) باشراككم لهم وعبادتكم اياهم و يقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا ينبئك أيها المفتون باسباب الغرور كما ينبئك الله الخبير بخبايا الامور وتحقيقه ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذى أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما أخبرت به (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) قال ذو النون الخلق محتاجون اليه فى كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به و بقاؤهم به (والله هو الغنى) عن الاشياء أجمع (الحميد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذى هو مطعم الاغنياء وذكر الحميد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا منعما واذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره اليه فينبغى للعبد أن يكون مفتقرا بالسر اليه ومنقطعا عن الغير اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هى الذل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد وقال الواسطى من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غنيا بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغنى لان المذلة فى الفقر والكبر فى الغنى والرجوع الى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله فى كل شئ والفقر اليه فى كل شئ والرجوع اليه من كل شئ وقال الشبلى الفقر بحر البلاء و بلاؤه كله عز (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم فان غناه بذاته لا بكم فى القدم (و يأت بخلق جديد) وهو بدون حدكم حيد (وما ذلك) الانشاء والافناء (على الله بعزيز

تعالى (ومايستوى البحران) يعنى العذب والمالح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) أى طيب يكسر العطش (سائغ شرابه) أى سهل فى الحلق هنئ مرئ (وهذا ملح أجاج) أى شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعنى من البحرين (تأكلون لحما طريا) يعنى السمك (وتستخرجون) أى من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) أى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) أى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) أى تشكرون الله على نعمه (يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى الاصنام (لايسمعوا دعاءكم) يعنى انهم جماد (ولو سمعوا) أى على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم (و يوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها (ولا ينبئك مثل خبير) يعنى نفسه أى لا ينبئك أحد مثلى لانى عالم بالاشياء ۞ قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغنى) عن خلقه لا يحتاج اليهم (الحميد) أى المحمود فى احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أى لاتخاذكم أندادا وكفركم باياته (و يأت بخلق جديد) أى يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيأ (وما ذلك على الله

بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لايشرك به شيأ (ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى والوزر
والوقر اخوان ووزر الشئ اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لاتحمل الا وزرها الذى اقترفته لاتؤاخذ نفس بذنب
نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار وانما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر أخرى لان المعنى أن النفوس الوازرات لاترى
منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وارد فى الضالين المضلين فانهم يحملون أثقال اضلال
الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم مافيها شئ من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ (وان تدع مثقلة) أى نفس مثقلة بالذنوب احدا (الى حملها) ثقلها أى ذنوبها ليتحمل عنها بعض
ذلك (لايحمل منه شئ ولو كان) أى المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع (ذا قربى) ذا قرابة قريبة كاب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله
ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ان الاول دال على عدل الله فى حكمه وان لايؤاخذ نفسا بغير ذنبها
والثانى فى بيان أنه لاغياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار لو دعت الى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان
المدعو بعض قرابتها (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أى انما ينتفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من

الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر حيث لا اطلاع للغير عليه (وأقاموا الصلاة) فى مواقيتها (ومن تزكى) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) المرجع وهو وعد للمتزكى بالثواب (وما يستوى الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن أو
للجاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور) الحق الباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحار
كالسموم الا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) مثل للذين دخلوا فى الاسلام
والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لا لتأكيد معنى النفى والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع
من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الاسلام ممن لايدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وأما أنت فخفى عليك
أمرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لاينتفعون بمسموعهم (ان أنت الا نذير) أى ماعليك الا أن
تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك (انا أرسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو
محقين أو صفة للمصدر أى ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا) بالوعد (ونذيرا) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أمتك والامة الجماعة
الكثيرة وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما
السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الا خلا) مضى (فيها نذير) يخوفهم
وخامة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير فى آخر الآية بعد ماذكرهما لان النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر
النذارة على ذكر البشارة

بعزيز) أى بممتنع (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى ان كل نفس يوم القيامة لاتحمل الا وزرها الذى اقترفته
لاتؤاخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم
قلت هذه الآية فى الضالين وتلك فى المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم
وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها
(لايحمل منه شئ ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس
يعلق الاب والام بالابن فيقول يابنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا أستطيع حسبى ما على (انما تنذر الذين
يخشون ربهم) أى يخافون ربهم (بالغيب) أى لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم
بالغيب (وأقاموا الصلاة ومن تزكى) أى أصلح وعمل خيرا (فانما يتزكى لنفسه) أى لها ثوابه (الى الله المصير
وما يستوى الاعمى والبصير) أى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو
المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة والنار وقال ابن
عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعنى المؤمنين
والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعنى حتى يتعظ ويجيب (وما أنت بمسمع من فى
القبور) يعنى الكفار شبههم بالاموات فى القبور لانهم لايجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا
منذر تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أى بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر
(وان من أمة) أى من جماعة كثيرة فيما مضى (الا خلا) أى سلف (فيها نذير) أى نبى منذر فان قلت كم من أمة
فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير

(وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسلهم (جاءتهم رسلهم) حال وقد مضمرة (بالبينات) بالمعجزات (وبالزبر) وبالصحف (والكتاب المنير) أي التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم أسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بانواع العقوبة (فكيف كان نكير) انكاري عليهم وتعذيبي لهم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) بالماء (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها (ومن الجبال جدد) طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) جمع غربيب وهو تأكيد للاسود يقال أسود غربيب وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع الا أنه أضمر المؤكد قبله والذي بعده تفسير للمضمر وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولابد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد أي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف الوانه (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون أحدا الا الله وبينهما تغاير ففي الاول بيان ان الخاشعين هم العلماء وفي الثاني بيان ان المخشي منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضي الله عنهم انما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ والخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم الله من عباده العلماء (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا

الأن تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف (وبالكتاب المنير) أي الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تأكيدا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) يعني أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوه قيل يعني ألوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعني الخطط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) يعني منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرابيب سود) أي شديدة السواد كما يقال أسود غربيب تشبيها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أي خلق مختلف ألوانه (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية قولها فرخص فيه أي لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه أقوام أي تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عزيز) أي في ملكه (غفور) أي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى ۞ قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أي ويقيمون الصلاة في أوقاتها (وأنفقوا

مما

مما رزقناهم سرا وعلانية) أي مسرين النفل ومعلنين الفرض يعني لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يرجون) خبر ان (تجارة) هي طلب الثواب بالطاعة (لن تبور) ان تكسد يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يرجون في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفيهم تتعلق بيتلون وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق لهذا الغرض وخبر ان (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لاعمالهم أي يعطي الجزل على العمل القليل (والذي أوحينا اليك من الكتاب) أي القرآن ومن للتبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) فعلمك وأبصر أحوالك ورآك أهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال

(فمنهم ظالم لنفسه) وهو المرجأ لامر الله (ومنهم مقتصد) هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيأ (ومنهم سابق بالخيرات) وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين الآية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله الآية والحديث فقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه السلام السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن انه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء والاثر فعن ابن عباس رضي الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصري الظالم من رجحت سيآته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيآته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايذان بكثرتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان أول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق وقيل

مما رزقناهم) أي في سبيل الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) أي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعني ما لم تر عين ولم تسمع أذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا اليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) ﴿ قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما والمقتصد من يجتهد أن لا يأخذها الا من حلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (٥٣٦) (باذن الله) بامره أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أي ايراث الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) خبر ثان لذلك أو خبر مبتدا محذوف أو مبتدا والخبر (يدخلونها) أي الفرق الثلاثة يدخلونها أبو عمرو (يحلون فيها من أساور) جمع اسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) أي من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحفص عطفا على محل من أساور أي يحلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) لما فيه من اللذة والزينة (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا (ان ربنا لغفور) يغفر الجنايات وان كثرت (شكور) يقبل الطاعات وان قلت (الذي أحلنا دار المقامة) أي الاقامة لا نبرح منها ولا نفارقها يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وافضاله لا باستحقاقنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب وفترة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لغوب بفتح اللام وهو شيء يلغب منه أي لا نتكلف عملا يلغبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) جواب النفي ونصبه باضمار أن أي لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (كذلك) مثل ذلك الجزاء (يجزى كل كفور) نجزى كل كفور أبو عمرو (وهم يصطرخون

قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيآته والمقتصد من استوت سيآته وحسناته والظالم من رجحت سيآته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أي بالاعمال الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله (باذن الله) أي بامر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعني ايراثهم الكتاب واصطفاءهم ثم أخبر بثوابهم فقال تعالى (جناتُ عدن يدخلونها) يعني الاصناف الثلاثة (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وهموم الحصر والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد وروى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور شكور) يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذي أحلنا) أي أنزلنا (دار المقامة) أي الاقامة (من فضله) أي لا باعمالنا (لا يمسنا فيها نصب) أي لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) أي اعياء من التعب ﴿ قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي فيستريحوا مما هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أي من عذاب النار (كذلك نجزى كل كفور وهم

يصطرخون فيها) يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة واستعمل فى الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى أخرجنا من النار رددنا الى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطع بعد المعصية فيجاوبون بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) يجوز أن يكون ما نكرة موصوفة أى تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر تمكن منه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو المشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) ناصر يعينهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما عنكم (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تانيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله

عنه ذو بطن خارجة جارية أى ما فى بطنها من الحبل لان الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمعنى الصحبة (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يقال للمستخلف خليفة ويجمع على خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاء فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية (فعليه كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا) وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الاخسارا) هلاكا وخسرانا (قل أرأيتم شركاءكم) آلهتكم التى أشركتموهم فى العبادة (الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض) أرونى بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبرونى كانه قيل أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة أرونى أى جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله (أم لهم شرك فى السموات) أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أى معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل ان يعد) ما يعد (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضا) أى الاتباع (الاغرورا) هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) يمنعهما من أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أى بعد امساكه ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم

يصطرخون) أى يستغيثون و يصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أى من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى فى الدنيا من الشرك والسيآت فيقول الله تعالى توبيخا لهم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة و يروى ذلك عن على وهو العمر الذى أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين (وجاءكم النذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم و يقال الشيب نذير الموت وفى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) أى ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) يعنى انه اذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب كل شئ فى العالم ﴿ قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) أى يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما ينبغى ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) أى جحد هذه النعمة وغمطها (فعليه كفره) أى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا) أى غضبا وقيل المقت أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الاخسارا) أى فى الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم (أرونى ماذا خلقوا من الارض) يعنى أى جزء استبدوا بخلقه من الارض (أم لهم شرك فى السموات) أى خلق فى السموات والارض (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أى على حجة وبرهان من ذلك (بل انْ يَعِدُ الظالمون بعضُهم) يعنى الرؤساء (بعضا الاغرورا) يعنى قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله ﴿ قوله عز وجل (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أى لكى لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا هدا لعظم كلمة الشرك (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أى ليس يمسكهما أحد سواه (انه كان حليما غفورا) أى

كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الارض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي أقساما بليغا أو على الحال أي جاهدين في ايمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم) بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم أي من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة هي احدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازادهم الا نفورا) أي مازادهم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم الا تباعدا عن الحق وهو اسناد مجازي (استكبارا في الارض) (٥٣٨) مفعول له وكذا (ومكر السيء) والمعنى ومازادهم الا النفور للاستكبار ومكر السيء أو حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيء وأن مكروا السيء أي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله (ولا يحيق) يحيط و ينزل (المكر السيء الا باهله) ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لاخيه جبا وقع فيه مكبا (فهل ينظرون الا سنت الاولين) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا أن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) بين ان سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لابد لها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وان ذلك مفعول لا محالة (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) اقتدارا فلم يتمكنوا من الفرار (وما كان الله ليعجزه) ليسبقه و يفوته (من شيء) أي شيء (في السموات ولا في الارض انه كان عليما) بهم (قديرا) قادرا عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من لمعاصي (ماترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أي لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب

غير معاجل بالعقوبة بحيث أمسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) أي رسول (ليكونن أهدى من احدى الامم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مازادهم) مجيئه (الا نفورا) أي تباعدا عن الهدى (استكبارا في الارض) يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به (ومكر السيء) يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيء الا باهله) أي لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا من أشرك (فهل ينظرون) أي ينتظرون (الا سنت الاولين) يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنت الله تبديلا) أي تغييرا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى و بآثارهم وعلامات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) أي ليفوت عنه (من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ماترك على ظهرها) أي ظهر الارض (من دابة) أي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تم الجزء الثالث و يليه الجزء الرابع أوله سورة يس عليه الصلاة والسلام﴾

فهرست الجزء الثالث من تفسير القرآن الجليل للامام على بن محمد الخازن

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)